

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٣

١٧ شهر رجب سنة ١٣٧٢

محمد عبدة

(١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م)

ولد محمد عبده سنة ١٢٦٦ هـ وأبوه عبده خير الله من سكان قرية «محلة نصر» بمرکز شبراخيت من عمل البحيرة في مصر ، وأمه السيدة جنينة . كان والده من صفار الفلاحين وبذكائه وحسن تدبيره ملك بأخرة اربعين فدانا . وكان كريما يقري الضيوف ويؤوي الغرباء ، وكانت منزلة أمه بين نساء القرية لا تقل عن منزلة زوجها ، عرفت بذكائه الفؤاد ، ورقة القلب ، وير المعوزين والبيائسين . تعلم محمد القراءة والكتابة في منزل والده وأتم حفظ القرآن على حافظ خاص في عامين ولما يتجاوز العاشرة . وأراد ابوه أن يتعلم ولده تجويد القرآن فأرسله الى الجامع الأحمدي بطنطا ففضى في تجويده سنتين ، ثم بدأ في هذا المسجد بتلقى النحو فصرف في تعلمه سنة ونصف سنة فما أفلح ، وعزم أن يترك طلب العلم ويرجع الى بلده يعمل في الزراعة لكن والده أدرك ما عليه ابنه من

الذكاء فلم يرض الا أن يعود الى الأخذ عن مشايخ طنطا ، فأطاع والده وأخضر الحرب وذهب يفتني عند خوولة أبيه في « كنيسته اورين » من قرى شبراخيت . ومن الغد جاءه أحد اخوال ابيه الشيخ درويش وكان على شيء من العلم يجيد حفظ القرآن وفهمه ويحفظ الموطن وبعض كتب الحديث وينتحل النصوص ، فما زال بالفتي أياماً يقرأ له في كتاب تصوف ويشرح له حتى تألفه وردّه الى حظيرة العلم « ولم يأت على الفتى اليوم الا خمس من صحبة الشيخ الصوفي الا وقد انشرح صدره وأنتت نفسه ، وانقلبت في عشرته قيم الأشياء ، فأصبح اللهو والزهو أبغض شيء اليه ، وأضحت المطالعة والمدارسة أحب شيء اليه » . وتزوج الشيخ وهو في السادسة عشرة وبعد أربعين يوماً أنت على زواجه أرسله أبوه الى القاهرة ليأخذ العلم في الأزهر . وكان من علمائه الجامدون ومنهم المنورون في الجملة فألى التلميذ على نفسه ألا يحضر درس من لا يفهم شرحه وتقريره . ولعل هذا التلميذ كان أول شيخ اعترض على طريقة مشايخ الأزهر في التدريس وظل على رأيه حتى أصلحها عندما بلغ أشده وأصبحت كلته مسموعة .

كان الشيخ في المساحة الصيفية يعود الى محلة نصر فيجد الشيخ درويشاً قد سبقه اليها فيأخذ في مدارسة الشاب ومحاسبته على ما حصل من العلوم ، ويحثه على النظر في المنطق والحساب . فاذا قال له الطالب هذه علوم لا تقرأ في الأزهر . قال له الشيخ : طالب العلم لا يعجز عن تحصيله في كل مكان . فيؤثر فيه بآرائه وارشاده .

قرأ الشيخ في الأزهر جميع الكتب المقررة في ثلاث سنين . ومضت سبع سنين رأى بعدها الشيخ الصوفي ان مر بده كملت نفسه فأخذ يحثه على لقاء الناس ووعظهم ، وكان من قبل يشير اليه بالابتعاد عنهم ، فقال له بعد ذلك : الى متى هذه العزلة ؟ وما الفائدة من العلم ومن تحصيله اذا لم يكن لك نوراً تهتدي به وتهتدي به الناس ، ان من المكروه أن تتأثر بالفائدة دون أهل ملك ،

من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أم ثرة تقصد من غراس التهمة ، فمليك
تخالط الناس ومعظمهم وترشدتم الى الطريق القويمة والسنة الصالحة » .
ودع المجاور الأزهري شيخه ومرشده في بعض السنين وبكى هذا بكاء شديداً
ت في السنة الثانية . وعاد محمد عبده الى القاهرة وفي نفسه أشياء من طريقة
شيخ الأزهر وشروحه ومتونهم وحواشيهم وتقاريرهم على الشروح ، وأها بما
مع فيه الأتمار ولا يفتج عن تعليمها فائدة حتى قال : « كنت أسمع الشيخ
يدرس فأحبه بتكم بلغة أجنبية » والطلاب يحفظون ما لا يفهمون وربما
ن الأساتذة يلقون ما لا يصححون ولا يعلمون » .

وصف تلميذه الشيخ المراغي عصر محمد عبده وما فيه من انحطاط في الياصة
علم والأخلاق فقال : « نشأ الشيخ في عصر من العصور القائمة ، كل شيء
مض مؤلم للنفوس الحرة والفطر الصادقة : الأمم الاسلامية تخدر عتياً وسياسياً
جتماعياً الى أحط الدرجات ، وليس لطالب الحرية العقلية بينها متنفس ،
لدين يفهمه الناس على غير وجهه ، واللغة العربية اختلطت بغيرها من لغات
جهم ، والزلفى الى الله لها طرق لم يشرعها الله ، والزلفى الى الحكام لها طرق
يرضاها ذو مروءة . ذهب ربح المسلمين ، ونفلت من أيديهم زمام الحياة
مامة ، وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصاص ، وليسوا قلة بين
لأمم ، ولكنهم كفتاء السيل .

« ذهب يتعلم فتعلم كما يتعلم غيره قواعد جافة ليس لها حياة تصلها بتناهما
ن الكتاب الكبريم والسنة المطهرة ، ولا بأصولها من لغة العرب وأصاليهم
أديهم ، وتعلم القواعد في مختصرات رضية ذلك العصر المنظم ، لا تفهم الا بشرح
حواشي وصناعة خاصة ، فلا اللغة العربية بمسمدته على اجادة النظم والنثر والكتابة
الخطابة ، وحاجة الحكومات والدول في التشريع والتنظيم ، ولا دراسة الكلام
والمنطق بموصلة الى الاستدلال الصحيح الذي يطمئن اليه العاقل ، ويقنع الخصم

اشتهرت في الاجتهاد وتخير الأحكام لتطابق الأحكام حاجة العصر ، ولتلائم أصول الأمم وأحوال الأزمنة ، مبتدع مخالف لما أجمع عليه المحققون ، والداعي الى سيرة السلف الصالح داعٍ الى مخالفة سيرة العلماء المبرزين ، والداعي الى كتب الأوائل مقصر عن فهم كتب المحققين المتأخرين ، والمنادي بأن كتب الفقه وكتب التفسير وكتب الحديث ملئت بمعلومات خاطئة ، وبأوهام وقصص لفقها من قبل علماء الاسرائيليات ، مخالف لما درج عليه صالحو هذه الأمة وجهابذتها .

«عاش الشيخ في هذه البيئة العلمية ضيق الصدر مرير العيش ، فن من أصحاب الفطر الصادقة ، والنظر السليم ، يؤمن بالقرآن ويعتقد أن فيه هدياً وفيه شفاء ، وإن شريعة محمد ﷺ عامة للأمم كلها وللعصور كلها ، يؤمن بأن هذه الدراسة الدينية والعربية تخرج للناس اماماً يبتدون بهديه ، ويشفي أمراض المجتمع في علمه وخلقه ونظامه ، ويضع له القوانين الصالحة والنظم اللائمة ؟ » .

ثم قال : «عاملان من أقوى العوامل وقفا في طريق الشيخ ، عامل الحد وعامل البيئة ، ومن المحال أن يوجد رجل كالشيخ في صفاته وعلمه لا يُحسد ، ولو أنه لم يُحسد ولو أنه لم يُرمَ بالكفر والضلال ، ولو أنه لم يشتد حساده ، ولم يُقاوم أشد المقاومة بسبب الحد ، لما كان شيئاً يتحدث عنه ، ولما كان رجلاً من رجال التاريخ » .

قال وسبب ثالث له خطره « وهو بأن جهة من جهة ذات نفوذ (الخديوي) أظهرت عدم الرضا عن الشيخ وساعدت خصومه ، وأن جهة ذات نفوذ آخر (المحتلون) ساعدته وشدت أزره ، فظن القوم أنه رجل يريد انساد الدين وانساد العلم » ومن أشد مظاهر الحد اذ ذلك ان عالماً من كبار العلماء كتب سلسلة مقالات في جريدة المؤيد يحرم فيها الحساب والجبر والهندسة والتاريخ في الأزهر ، لأن الشيخ كان أول المبشرين بتعليم هذه العلوم في الأزهر ، « وكاد العناد يكون كفرة » .

قال المراغي : ترك الشيخ بذور اصلاح التعليم الديني ، وتعليم علوم العربية ، وبذور اصلاح القضاء الشرعي ، وبذور اصلاح المجتمع الاسلامي والامم الاسلامية ، وليس في رجال تفسير كتاب الله من يضارع الشيخ أو يقاربه في تطبيق آي القرآن على منن الاجتماع ، وفي تصوير هدي القرآن ، وفي فهم أغراض الدين عامة . قال ودعته ليلة سفري الى السودان لتولي قضاء مديرية دنقلة (نوفمبر ١٩٠٤) فما قال لي : أنصحك أن تكون للناس مرشداً أكثر من أن تكون قاضياً ، وإذا استطعت أن تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه الى الحكم ، فان الأحكام سلاح يقطع العلاقات بين الأسر ، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجراح . قال وداعبني مرة اثر خروجي من امتحان شهادة العالمية قائلاً : هل تعرف تعريف العلم ؟ فقلت له : نعم ، و كنت أحفظ اذ ذاك أكثر تعاريف العلم ، فسردت بعضها ، فقال : اسمع مني تعريفاً مفيداً ، العلم هو ما ينفعك وينفع الناس . ثم سأل : هل انتفع الناس بعلمك ؟ قلت له : لا ، قال : إذا أنت لست بعالم ، فانفع الناس بعلمك لتكون عالماً .

بقي محمد عبده في هذه البيئة العلمية انشطة مضطرب البال حتى وافى مصر الامام جمال الدين الأفغاني سنة ١٨٦٩ ثم ذهب الى الأستانة وعاد الى القاهرة سنة ١٨٧١ فلزمه وتلمذ له وقرأ الأفغاني لتلاميذه بعض الكتب العربية القديمة والكتب الأوربية المعربة في مختلف فروع الفلسفة والتصوف والتاريخ والسياسة والاجتماع فتفتحت عقولهم ومزقت حجب الأوهام عن عيونهم وأخذ يحثهم على الكتابة والخطابة . ولما قرأ محمد عبده «الخاصية على شرح العقائد العضدية» مال الى رأي المعتزلة دون رأي الأشاعرة نشاع ذلك في شيوخ الأزهر ، وفي يوم الامتحان لأخذ شهادة العالمية فارموه مقاومة ظالمة ، ومنهم الشيخ عليش والشيخ الجيزاوي ، ومع أن رئيس لجنة الامتحان شيخ الأزهر يومئذ الشيخ المبامي ، وكان على جانب كبير من العلم وحب التجدد ، قال لأعضاء اللجنة

أثناء المداولة انه لم ير في حياته أحداً في ذكائه وثبته من علمه ، وانه يستحق الدرجة الأولى ، بل لو كان فوقها درجة أعلى لاستحقها ، ومع ذلك لم نسمع اللجنة له الا بالدرجة الثانية وبعد ست وعشرين سنة من نيابه شهادة العالمية ، عادت مشيخة الأزهر فصححت خطأها ونقلته الى الدرجة الأولى (١٩٠٤) . ولم تحمل درجات العالمية دون تدريس الشيخ في الأزهر وأكثر ما كان يدرس كتباً في المنطق والتوحيد والأخلاق . وفي أواخر سنة ١٨٧٨ عين مدرساً للتاريخ في « دار العلوم » ومدرساً للغة العربية في « مدرسة الألسن » وبعد قليل عزله عن التدريس في هاتين المدرستين على أن يقيم في قريته لا يبرحها الى الحواضر المصرية وذلك لتغيير خاطر أمير البلاد عليه ثم عفا عنه (١٨٨٠) وعين محرراً في جريدة « الوقائع المصرية » الرسمية ثم رئيس تحرير فيها فاستعان بقوة الحكومة على تحسين لغة الكتابة ولغة الجرائد ، وأخذت الجريدة الرسمية تخوض في موضوعات تنقف وتعلم فكان في هذه الصحيفة معلماً ومصلحاً ، قضى على الطريقة القديمة المقيحة في الانشاء وأبطل السجع والازدواج ، وعلم الكتاب السلاسة في التعبير وعدم التكلف .

كان الشيخ يرى في شخص رياض باشا رئيس الوزارة صورة حسنة لمستبد العادل « مستبد يكره المتناكرين على التعارف ، ويلجئ الأهل الى التراحيم ، ويقهر الجيران على التناصف ، يحمل الناس على رأيه في منافعهم بالرهبة ، ان لم يحموا أنفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة » .

وكان رياض بماون الشيخ على مقاصده في الاصلاح ويستعين برأيه في بعض الشؤون . وسقطت وزارته بقيام الثورة العرابية ، وكان الشيخ يومئذ لا يقول بالثورة ويصرح ان الأمة غير مستعدة للحكم الدستوري وأن الواجب تعليمها وتهذيبها أولاً ويرى استشارة الأمة في بعض مجالس خاصة بالمديريات والمحافظات فقط تمهيداً لما يراد من تقييد الحكومة قال : « وليس من اللائق أن تفاجأ

البلاد بأمر قبل أن تستمد له فيكون من قبيل تسليم المال للناشي قبل بلوغ سن الرشد يفسد المال ويفضي الى الهلكة» . وقال: «أخشى أن يجر هذا الشغب على البلاد احتلالاً أجنبياً يستدعي تسجيل الامنة على مسببه الى يوم القيامة» . واحتل الانكليز مصر وأرادوا القضاء على الحركة الوطنية وشلوا سلطة دار الندوة وعملوا على التفريق بين الخديوي والأمة فتحول حينئذ مقام عرابي من قائد جيش الى قائد مصر ، وحينئذ أصبح محمد عبده والبلاد المصرية قاطبة من أتباع احمد عرابي . ورأى الشيخ ما كان يراه كل وطني صادق ان واجبه يقتضيه أن يكون مع الأمة على الانكليز وعلى الخديوي الذي أصبح آله في أيديهم ينفذون به أغراضهم . وأصبح الشيخ كما قال عميد الاحتلال روحاً مديراً للحركة وأصبح العراييون يلجأون اليه في كثير من أمورهم ، لا يرمون أمراً دون استشارته . فكان موقفه من الثورة العرابية كما قال الراجعي المؤرخ : «موقف الوطني الذي يثور لكرامة البلاد واستقلالها فدافع عنها بكل ماله من حول وقوة واخلاص» .

اضطر الشيخ الى ركوب مراكب السياسة وما كان يود أن يدخل فيها ، زج فيها رغم ارادته ولذلك رأيناه يتخلى عن السياسة بعد أن صفا له الجو ولم يرض للدخول في غمارها بالفعل واتقاب معلماً ومرشداً ، أي انه شارك في السياسة بالقدر الذي أراده ثم نفص يده منها الا قليلاً .

ولما قبض على من عرف لهم أثر في الثورة كان الشيخ في جملتهم انهموه بأنه أفتى بوجوب قتل الخديوي لخروجه على اجماع الأمة ، ففرّب من القطر المصري الى الشام ثلاث سنين ، ثم غادرها الى بايز لنشر مجلة «العروة الوثقى» مع صديقه وأستاذه السيد جمال الدين الأفغاني . وكانت العروة الوثقى جمعية سرية بقصد مهاجرة الاستعمار والمستعمرين وفي مقدمتهم الانكليز ، والغرض البعيد من الجمعية «اعادة الحكم الاسلامي وهداية الدين الى ما كانت عليه من الطهارة والعدل

والسكّال في العصر الأول ، بتأسيس حكومة اسلامية على قاعدة الخلافة الراشدة في الدين وما تقتضيه حالة العصر لمجد الاسلام في أمور الدنيا ، ويتبع هذا اتقاد المسلمين وغيرهم من الشرقيين من الاستعمار المذل لهم . وأما الغرض القريب فهو اتقاد مصر والسودان من الاحتلال » .

وضاق صدر المستعمرين من مقالات مجلة العروة الوثقى فمنع الانكيز دخولها الهند ومصر والسودان فلم تعش أكثر من ثمانية أشهر كانت مقالاتها ، وبكتيها محمد عبده بقلمه الساحر وبلي "بعض آرائها السيد جمال الدين الأفغاني ، أشبه بدساتير الأمة اذا جرت على بعضها نجت مما هي فيه من الانحطاط ومن الذل الذي صارت اليه بفعل ملوكها وأمرائها وزعمائها . وذهب متكرراً من باريس الى تونس فمصر ثم عاد الى بيروت (١٨٨٥) واستدعي للتدريس في المدرسة السلطانية فوضع لها برنامجاً جديداً أخذ على عاتقه منه علوم التوحيد والمنطق والمعاني والانشاء والتاريخ الاسلامي والمعاملات من الفقه الحنفي وظهرت آثار تعاليمه في التلاميذ آخر السنة ، وأرشد المعلمين الى الطريق القويم في التدريس وتهذيب ملكات الطلاب وتنقيف أخلاقهم . وزار خلال ذلك بعض مدن الشام وأفاض على كل من لقيه غرفة من علمه وبيانه . وبورك له بوقته فعلق على كتاب « نهج البلاغة » وعلى « المقامات » للهمذاني وغير ذلك .

وعني عن الشيخ فعاد الى وطنه فمبين قاضياً في المحاكم الأهلية الابتدائية فقال حين سمع خبر تعيينه : ما خلقت لأكون قاضياً بل لأكون معلماً ، وقد جربت نفسي في التعليم فنجحت . وقيل ان عميد الاحتلال بعد مدة أرادته على أن يتزع العامة فيكون رئيس وزراء مصر فقال له : خلقت معلماً وأريد أن أموت معلماً . وترقى في القضاء حتى صار مستشاراً في محكمة الاستئناف ، وكان يود ألا يدخل فيه وينقطع الى التدريس مع انه كان يعلم أنه يرتقي في هذا السلك الى أعلى الدرجات وان مجال التدريس ضيق محدود وطلب ان يعود

الى مدرسة دار العلوم فأبى الخديوي أن يجيبه الى طلبه مخافة أن يلقن تلاميذه من أفكاره السياسية . ولما نصب الخديوي عباس على امارة مصر داخله الشيخ وأقنمه بضرورة اصلاح الأزهر ولكن دسائس شيوخه وغيرهم حالت دون انفاذ هذه الأمنية وفي سنة ١٨٩٩ عين الشيخ مفتياً للديار المصرية فأصبح بحكم منصبه الجديد عضواً في مجلس ديوان الأوقاف الأعلى الذي أنشأه عميد الاحتلال للحد من تصرفات الخديوي في أموال الأوقاف ، وعين في الشهر الذي تولى فيه الافتاء عضواً في مجلس الشورى . ولم يلبث أن ظهرت المشادة بين الشيخ والخديوي فان هذا أراد أن يبدل مزرعة له بأراض للبناء في ضواحي الجيزة ووضع الثمن الذي راقه فأبى الديوان بإشارة الشيخ الا أن تسمى أرض الخديوي وأرض الوقف ، فكان من ذلك أن خسر الخديوي خمسين الف جنيه ، وبذلك انتقلت العداوة التي نشأت بين مترجنا والخديوي توفيق من أجل تقلبه في سياسته يوم الاحتلال الى ابنه عباس ، وظل هذا يمرض سفاء الأفاقين على الشيخ ويحمل زبائنه من الجوايس والكتاب على تسويد صحيفته في نظر الأمة ، ولكن الشيخ وجد له معتمداً من عميد الاحتلال فكان هذا يبعد نظره يدفع العوادي عنه ويوقيه غضب الأمير .

وكان أول ما ام في ذهنه تفتيش المحاكم الشرعية ففتش كل أرجاء القطر ولم يدع محكمة مديرية او مركز الا شاهداً بنفسه وبحث أعمالها بحثاً دقيقاً ، وتعرف حال قاضيا من قوة أو ضعف ، وضبط العمل والاهمال فيه ، فوضع تقريره وصادف من وزارة العدل معاضدة على انفاذ أكثره ، فأخرج القضاء من دركات التدني التي كان غاصاً فيها . ثم استقال من ادارة الأزهر وظل على العناية بما يصلحه . ورضيت الحكومة أن تفتح مدرسة بتخرج فيها القضاء والكتاب والمحامون الشرعيون وبذلك أبقى للشريعة بعض بيئاتها الذي كان المشايخ الفقهاء السبب في ذهابه ، واضطرار الخديوي اسماعيل الى العمل بقوانين فرنسا .

بعد أن اقترح على أهل الأزهر أن يؤلفوا كتاباً في الحقوق والعقوبات موافقاً لحال العصر فرفضوا لا تدبنا بل عجزاً . ووضع لأئمة لاصلاح المساجد ليكون أئمتها وخطبائها من أهل العلم بالدين فعارضه الخديوي أيضاً لحقنه على الشيخ يوم عرض على الأوقاف استبدال أراضي البناء التابعة للأوقاف في الجزيرة بمزرعة الخديوي المعروفة باسم مشتمر . قاوم الخديوي الشيخ في هذا المشروع أيضاً وغفل عن مصلحة المسلمين في تقريره وانفاذه وبذلك صح ما قاله ان مصيبة هذه الأمة بفساد أخلاقها أكبر من جميع مضائبيها ، وقوله انه لم يعمل عملاً لمصلحة المسلمين ووجد له من ممارسه فيه من غير المسلمين ، لا من الأفرنج ولا من التبسط ، ولا من السوريين .

كانت طريقة الشيخ السير الى جانب الدين مع مراعاة أحوال الدنيا او تطبيق أمور العالم على الشريعة ولذلك كان في فتاويه يفتي على وجهين ، الوجه الأول : الفتوى الرسمية بتقيد فيها بمذهب الحنفي وغير الرسمية تختلف باختلاف طلب المستفتي فمن المستفتين من يسأل عن حكم الله تعالى «وعلى المفتي أن يجيبه بما يعلم من حكم الله تعالى في كتابه وما ثبت عنده من سنة رسوله ﷺ نصاً او اقتضاء» . وكانت عادة المفتين في مصر الوقوف عند حد فتاوى الحنفية ومذهب أبي حنيفة مذهب السلطان الذي كان يخفق علمه على القطر .

وكان للشيخ بحكم منصبه ما جعل منه أحسن أداة يستخدم في النهوض بالأمة شأن كل كفؤ من الرجال لا يفلت من يده فرصة لنفع غيره . ومن ذلك انه لم يكتف باصلاح الأزهر واصلاح المحاكم الشرعية بل توفر مع أصحابه على انشاء جمعية سموها الجمعية الخيرية الاسلامية غرضها التعاون على تربية أولاد الفقراء والمساكين من المسلمين واعانة العاجزين منهم على الكسب . قال في احتفالها السنوي مرة : لم تنشأ الجمعية لأخذ الشهادات والاعتماد للوظائف بل من أهم مقاصدها أن تنزع من النفوس اعتقاد أن التعليم لا فائدة فيه الا

الاستخدام في الحكومة ، والجمعية توطن نفوس التلاميذ في مدارسها على أن يحمل الواحد منهم عمل أبيه باتقان وبميش مع الناس بالأمانة والاستقامة ، فولد النجار يكون نجاراً ، وولد الحداد يكون حداداً ، وولد الفراش يكون فراشاً ، والتربية والتعليم يسعدان كلاً على اتقان عمله وصناعته فيكون أكثر كسباً لأنه أكثر اتقاناً للعمل مع الأمانة والاستقامة . وأصبح الشيخ في سنة ١٩٠٠ رئيساً للجمعية الى يوم وفاته ، فجمع لها من كرام المصريين أموالاً عظيمة ووقف عليها مزارع وارااضي وأنتجت ما كان يعقد عليها أمهه من الخير في تربية أبناء الفقراء تربية حرة طاهرة .

وهو الذي ألف شركة طبع الكتب فطبعت أسفاراً مفيدة واشترك في تصحيح عدة كتب قديمة ومنها المخصص لابن سيدة .

فطر الشيخ على بث العلم ، وكان معلماً في كل مكان دخله ، معلماً في الجريدة الرسمية ، ومعلماً في دار العلوم وفي مدرسة الألسنة ، ومعلماً كل يوم في دروسه في الأزهر منذ حدائته الى آخر أيامه ، ومعلماً في القضاء على اختلاف الدرجات التي تولاهها ، ومعلماً في الانشاء وفي مجلس الأوقاف الأعلى وفي مجلس شورى القوانين وفي الجمعية الخيرية الاسلامية وفي غير ذلك من الأعمال بهمة تملو على المهتم المالية . انتبه من نفسه الى فساد طريقة التعليم الأزهرى وهو في العقد الثاني من عمره وظل طول حياته يجارب تدريس الحواشي والشروح والحواشي والتقاير ويقول ان أهل الأزهر يتعلمون كتباً لا علماء ، وغرامهم في حل عبارات المؤلفين والمهمشين والمحشين .

قاوم الجامدون من مشايخ الأزهر الشيخ وما كفوا عن مقاومتهم حتى أصبح غرة شاذخة في الاسلام وعندها خافوا على مناصبهم منه . فصانعه وتألفوه . قال له الشيخ البحيري مرة في مجلس ادارة الأزهر مدافعاً عن نفسه : « اننا نعلم الطلاب كما تعلمنا » . فقال الأستاذ : « وهذا الذي أخاف منه » .

قال الجبيري مستكراً : « ألم تتعلم انت في الأزهر وقد بلغت ما بلغت من صراقي العلم ، وصرت فيه العلم المفرد » . فأجاب الامام : « ان كان لي حظ من العلم الصحيح الذي تذكره ، فاني لم أحصله الا بعد أن مكثت عشر سنين أكنس من دماغي ما علق به من وساخة الأزهر ، وهو الى الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة » .

وشرح مرة طريقته في التدريس فقال ان الكتب لا تفيد القلوب العمي الا اذا صادفت قلوباً متيقظة عالمة بوجه الحاجة اليها واذا وصل الى ايدي هؤلاء العلماء كتاب فيه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه واذا عقولوا منه شيئاً يردونه ولا يقبلونه ، واذا قبلوه حرفوه الى ما يوافق علمهم ومشربيهم .

قال ان الكلام المسموع 'يؤثر في النفس اكثر مما يؤثر الكلام المقروه لان نظر المتكلم وحركاته واشاراته ولحجه في الكلام ، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ، وايضاً يمكن السامع ان يسأل المتكلم عما يخفى عليه من كلامه ، فاذا كان مكتوباً فمن يسأل ؟ ان السامع يفهم ٨٠ في المائة من مراد المتكلم ، والقارئ لكلامه يفهم منه ٢٠ في المائة على ما اراد الكاتب . وعلى ذلك كنت أقرأ التفسير وكان يحضره بعض طلبة الأزهر وبعض طلبة المدارس الأميرية ، وكنت أذكر كثيراً من الفوائد التي تحتاج اليها حالة العصر فما اهتم لها أحد فيما أعلم ، مع أنها كان من حقها ان تكتب ، وما علمت أحداً كتب منها شيئاً خلا تلميذين قبطين من مدرسة الحقوق ، وكانا يراجماني في بعض ما بكتبان وأما المسلمون فلا » .

وقال الأستاذ المراغي : كانت دروس الأستاذ كالفيث وكانت مثلاً عالياً في طريقة الالتقاء والتفهم وفي العبارات الفصيحة المختيرة النافذة الى القلوب وكانت دائرة ممارف يجد اللغوي فيها حاجته ، والفقير رغبته ، والمتكلم بغيته ، ويجد علماء الاجتماع فيها تطبيق آي القرآن على ممارفهم .

لم تترك واجبات المناصب وقتاً كافيّاً للأستاذ ينقطع فيه الى التعليم والتأليف واضطرته حالة الأمة الى الدخول في غمار الثورة العراقية وكذلك كان حاله بعد أن عاد الى مصر يتولى أعمال القضاء والافتاء . كان يكره السياسة ويقول انها ما دخلت في شيء الا أفسدته ، وفي كتابه الاسلام والنصرانية : « فان شئت أن تقول ان السياسة تضهد الفكر أو العلم أو الدين فأنا معك من الشاهدين ، أعوذ بالله من السياسة ، ومن لفظ السياسة ومن معنى السياسة ، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ، ومن كل خيال يختر بيالي من السياسة ، ومن كل أرض تذكر فيها السياسة ، ومن كل شخص يتكلم او يتعلم أو يُعجن أو يعقل في السياسة ، ومن ساس ويسوس وسانس ومسوس » .

وبعد فان تأليف الشيخ صغيرة الحجم حجة الفوائد وله تقارير في الاصلاح كان يقدمها الى الحكومة لتنفيذها أو اكثرها ، وكتب أكثر ما كتب لدواع وبواعث دعت الى وضعها وما كان ينشرها الا بعد درس وتحقيق وبتشها في صدره أولاً شأنه في دروسه . نشأ نشأة صوفية على يد شيخه ونسبه الشيخ درويش في قريته فكان من الطبيعي أن يكون اول تأليفه « الواردات » رجع عن بعض ما كان قرره فيها ، ورسالة في « وحدة الوجود » بين فيها مراتب الوجود وتعددتها من وجوه نظامها العام ووحدتها من وجه آخر ، و « تاريخ اسماعيل » لم يطبع ، و « فلسفة الاجتماع والتاريخ » ، و « حاشية على عقائد الجلال الدواني » ، و « شرح نهج البلاغة » ، و « شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني » ، و « شرح البصائر النصيرية » ، و « نظام التربية والتعليم » ، و « رسالة التوحيد » ، و « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » ، و « تفسير سورة العصر » ، و « تفسير جزء عم » ، و « تأليفه التي تجلي فيها علمه وبيانه « رسالة التوحيد » . هذا الى تقريره في اصلاح الأزهر وفي اصلاح المحاكم الشرعية ودفاعه عن الاسلام اذا طعن طاعن عليه ومنها ما كان ينشره في الصحف في آخر أيامه خلواً

من تربيته أو بوعز الى خاصته ليكتبوا فكره ويقدم عليه فينشرونه بأسمائهم .
 - حفلت حياة الشيخ بأمر كذا تدور على النهوض بالمسلمين وتنشيطهم ثقافة
 تجعل منهم أمة متحضرة ، ولذلك كان في بعض فتاويه يسير مع العقل ولا يجيد
 عن طريق السلف ، بدأ صوفياً وانتهى مجتهداً لا يقول الا بما يقول به علماء الظاهر
 أمثال الامامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية . ولكم بورك له بساعات عمره
 وبحق ما وصفه قاسم أمين عندما قال : « يطالع ويعلم ويعلم وينقي ويجلس في
 جلسات مجلس شورى القوانين ومجلس الأوقاف الأعلى ويترأس على الجمعية الخيرية
 الاسلامية وينفع التشريعات للأزهر والمحاكم الشرعية » ويتحن طلبة العلم
 وتلامذة المدارس ويؤلف الرسائل الدينية وينشر المقالات الفلسفية ويدافع عن
 الدين اذا ضمن عدو عليه ، ويراسل علماء المسلمين في جميع الأقطار التي يسكنونها ،
 وينادى رجال الحكومة لتنفيذ مقاصده . وكان مع كل ذلك يجد وقتاً ليزور
 أصحابه ويشاركهم في جميع أفراحهم وأتراحهم » ، قال انه وصل الى مقام الامامية
 بأوسع معانيها . وقالوا انه كان اذا دُعي الى حفلة عامة أو مأدبة خاصة
 وحالت صحته او قلة وقته دون الاجابة اليها يبحث بكتاب بقلبه فكان صاحب
 الدعوة بين عاملين في قبول دعوته او الضفر منه بكتاب اعتذار يقرؤه على
 أصدقائه وأهله ، وان فاته الاستمتاع بحديثه اذا حضر . وكان ما يكتبه في
 شكر المؤلفين الذين يهادونه بكتبهم صيباً في رواجها ، لأن الشيخ لا يقول
 جزافاً ، وكتبه من هذا القبيل كثيرة يتألف منها جزء لطيف .

حضرت دروسه في الرواق الميامي في الأزهر ، ومجالسه الخاصة في داره
 في عين شمس أو في دور بعض مربيهه ، وصحمت بعض خطبه في الجمعية الخيرية
 الاسلامية فكت أقول : سبحان من خصه من بين معاصريه ببلاغة اللسان
 وبلاغة القلم .

وصفه العلامة الشيخ ابرهيم اليازجي في مجلة «الضياء» بقوله : كان متوقفاً
 الفؤاد ، ثاقب البصيرة ، قوي الحججة ، ذرب اللسان ، بليغ العبارة ، اذا وقف
 للخطابة كان كأنما يتلو عن ظهر قلبه فلا يتوقف ولا يتلصك ، ولا تجذب في كلامه
 لفظة ركيكة ولا تركيباً سخيفاً ، حتى لو كتبت لفظه الذي يقوله على البدهة
 وجدته كأحسن ما ينشئ المترسلون من الفصحاء . وكان آية من آيات الله
 في قوة الحفظ وسرعة التناول حتى انه تعلم اللغة الفرنسية وهو فوق الأربعين
 فلم يأت عليه الا أشهر حتى كان يجيد فهمها ، ثم كان يتكلم فيها كأحد أهلها ،
 ولم يرو مثل ذلك الا عن أستاذه السيد جمال الدين . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .
 كان الامام يتوخى في دروسه ألا تكون جافة اذا طال بجشته وتقديره
 فيشغفها في الحال بشيء من دعابته الخلوة يفرغ عليها من روحه الصافي ما يجيب
 الى النفوس الرجوع الى سماع ما يحاول القاء عليهم من المسائل والمشاكل .
 وما حضرت له درساً ولا مجلساً ولا خطبة الا تمنيت لو يطول القاؤه أكثر
 مما طال ووددت ان أكون كلي آذاناً تسمع وقلوباً تعي وتفهم . وما شككت
 قط ان كل ساعة من ساعات حياته كانت نفعاً وخيراً ، وان كل من كتب له
 الاتصال به أفاد من علمه وتجاربه ونصائحه وهديه وتأثر به عقله وروحه .
 عطف عليّ منذ تشرفت بالاجتماع اليه في القاهرة فقال في الملاء من أصحابه
 انه قرأ ما كتبت في الصحف في مشروع السكة الحجازية فما قدر جلالة الموضوع
 حتى نشرت في مجلة المقتطف مقالة فيه فاطلع فيها على ما لم يطلع عليه من قبل .
 فبدأ لي بهذه الشهادة سبيل التعرف الى طائفة من رجال مصر في العلم والقضاء
 والادارة والسياسة والأدب ، وهذا جل ما يتطلبه ناشئ مبتدي من العون والتنويه .
 قالوا ان الأستاذ تعلم اللغة الفرنسية وهو في الرابعة والأربعين لما اشتدت
 حاجته اليها أيام تقلد القضاء وشاهد رفاقه يستمينون في أحكامهم بالقانون الفرنسي

فما وسعه الا تعلم اللغة الفرنسية وأتقنها من دون كبير عناء في وقت قصير ، فكان يحضر في الصيف دروساً في هذه اللغة في كلية جنيف ويترن على الكلام فيها والفهم في السباحات وقد صاح في اوربا وافريقية وآسيا كثيراً . وأذكر أنني صحبت أحد علماء المشرقيات من الألمان لزيارته في داره وكان الحديث بالفرنسية في موضوع التربية والتعليم فما غلط الأستاذ غلطة واحدة في الساعة التي قضيناها في حديثه وأبان عن بديهة مؤاتبة دهش لها صاحبي الألماني وبقي أياماً يتحدثني بأثر تلك الزيارة في نفسه .

ذكر السبب الذي دعاه الى تعلم الفرنسية قال : ثم ان الذي زادني تعلقاً بتعلم لغة اوربية هو اني وجدت انه لا يمكن لأحد أن يدعي انه على شيء من العلم يتمكن منه من خدمة امته وبقدر به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي الا اذا كان يعرف لغة اوربية كيف لا وقد اصحبت مصالح المسلمين مشتبكة مع مصالح الأوربيين في جميع اقطار الأرض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغل للاستفادة من خيرهم او للخلاص من شر الأشرار منهم . واخترع الأستاذ لنفسه طريقة لتلقف اللغة الفرنسية فكان يتلو أمام استاذة قصة لاسكندر دوماس والمعلم يصلح له النطق وينسر له الكلام ثم تعلم نحوها بالتدريج . وكان الشيخ عملياً في تلقن العلم وتلقيته منذ حضر درس النحو في الجامع الأحمدي في طنطا وتأفف من طريقة تعليمه : كان في القضاء قاضي المدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم ، قال عن نفسه : « اني كثيراً ما أنظر في قضية فأستخرج من التحقيق الطويل وجوهاً كثيرة للحكم بالادانة مثلاً ، حتى اذا ماتت المحاكمة وأردت النطق بالحكم تقوَّض كل ذلك البناء الذي كنت بنيت في ذهني من وجوه ترجيح الادانة وظهر لي بقية أن المتهم يريه حتماً فأحكم بالبراءة » وكان يفضل أبداً ان يجري الصلح بين المتخاصمين حتى لا تتأصل العداوات بين الناس اذا فضت المحاكم الشجار بينهم .

كان الشيخ رأساً في كل ما عانى من أعمال المجتمع لا يلبث ان يظهر فضله الباهر في الأيام الأولى من توليه عملاً من الأعمال وتخاذل قوة الأسماء والطفنة أمام عقله ، كان اخديوي عباس يبغضه لأنه لم يوافق على مد يده الى الأوقاف ، ويشدد في مقاومته بكل ما اتصل اليه قوته من ضروب المقاومة فاذا ما وقع في مأزق لا يتأخر عن دعوته لارشاده الى الطريق الواجب سلوكها علماً منه بسمة عقله وصحة علمه ، كان يبيع عليه العلماء والأدباء كل حين ويوم الجد لا يعتمد على غير رأيه وحكمه ، والشيخ بما عرف من كرم أخلاقه يتجاهل كل ما يصيبه من أذى يبغضه .

كان الشيخ كريماً يتصدق في السر وقد خص بعض الخاويج المستورين برواتب يقبضونها من راتبه الكبير من الأوقاف وكان ينفقه كله في هذه الوجوه من البر . كان نصير المظلومين والضعفاء ولطالما سعى لجلب الخير الى من كان يتذف فيه ويمادبه من دون سبب ، بقصد بذلك ان يعلمه ويعلم غيره كيف تكون الأخلاق الطاهرة وان هذا هدي الاسلام وطريقة صاحبه .

قيل انه نظم آياتاً في مرضه الأخير أبان فيها عن غرضه من الحياة وهي :

ولست أبالي أن يقال محمد أبلء أو اكتظت عليه المآثم
ولكن دينا قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العائم
وللناس آمال يرجون نيلها اذا مات ماتت واضمحلت عزائم
فيا رب ان قدرت رُجعي قرية الى عالم الأرواح وانقض خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشداً رشيداً يضيء النهج والليل قائم

قالوا ان لسانه لم ينطلق بقول الشعر الا في آخر أيامه وفي الحبس لما سجن

مع المرابين .

أجاب الشيخ رجلاً من الشاميين هناك تنصب الافتاء ومما جاء في جوابه

م (٢)

يصف موقفه من الأمة المصرية : «أما قومي فأبدهم مني أشد مني قرباً مني
وما أبعد الانصاف منهم ، يظنون الظنون ، بل يترهبون بي رب المنون ،
تسرعاً منهم في الأحكام وذهاباً مع الأوهام ، وولماً بكثرة الكلام ،
وتلذذاً بلوك الملام ، أقول فلا يسمعون ، وأدعو فلا يستجيبون ، وأعمل
فلا يهتدون ، وأريهم مصالحهم فلا يبصرون ، وأضع أيديهم عليها فلا يحسون ،
بل يفرون الى حيث يهلكون ، شأنهم الصياح والمويل ، والصخب والتهويل
حتى اذا جاء حين العمل صدق فيهم قول القائل في مثلهم :

لكن قومي وان كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وان هانا

وأقول ولا من الخير .

«وانما مثلي فيهم مثل أخ جهله اخوته ، أو أب عقته ذريته ، أو ابن لم يحن
عليه أبواه وعمومته ، مع حاجة الجميع اليه ، وقيام عمدتهم عليه ، يهدمون منافهم
بايدائهم ، ولو شاءوا لاستبقوا باستبقائه ، وهو يسعى وبدأب ، ليطعم من يلهو
وبلعب . على اني أحمد الله على الصبر وسعة الصدر اذا ضاق الأمر ، وقوة
العزم وثبات الحلم ، وان كنت في خوف من حلول الأجل قبل بلوغ الأمل ،
خصوصاً عندما أرى العمل في أرض ميتة لو ذابت عليها السماء مطراً ، لما أنبتت
زرعاً ، ولا أطلعت شجراً ، أفزع لذكرى ذلك وأجزع ، وبكاد قلبي بتقطع ،
ثم أرجع الى الله فأعلم انه مع الصابرين . وانه لا يضيع أجر العاملين ، فيشجع
صدري وأمضي في جهادي الدائم ، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ...»

«ليتني كنت أشكو الى الله جهل العالمين وحمق المعلمين في مثل هذه الجاهلية
التي بعث النبي لمحو أحكامها وازالة ايامها . تلك جاهلية كان الضلال فيها بعيداً
ولكن كان فهم القوم جديداً لذلك عندما لاح لهم ضوء الهدى أبصروه ، وعندما
فرع أسماعهم صوت الداعي أجابوه ، كان القرآن يصدع أفتدتهم فيلين من

شدتهم ، وبغل من شريتهم ، ويفجر من صخر القسوة بنايع الحنان والرحمة ،
وما كان أهل العناد فيهم الا قليلاً عرفوا الحق فأنكروه ، وطائفة كانوا
يفرون منه خوف ان يعرفوه ، ولو سمعوا لفهموا ثم لم يجدوا بداً من أن ينصروه .
وان الجحود مع الفهم كاليقين مع العلم ، كلاهما قليل في بني آدم . أما اليوم
فانما أشكو من قلة الفهم وضعف للعقل ، واختلال نظام الادراك ، وفساد
الشعور عند الخاصة ، فلا تجذبهم فصاحة ولا تبلغ منهم بلاغة ، وغاية ما يطلبون
ان يحمدا بما لم يفعلوا ، وان يوصفوا بالعلم وان لم يعقلوا ، وان تقضى حاجاتهم
اذا سألوا ، وان ترفع مكاناتهم وان تنزلوا »

وهذه من أجمل الصفحات التي كتبها الأستاذ الامام في النهي على قومه فساد اخلق
والعناد على سماع الحق ولو كتب له أن يكتب كتاباً في حاضر المصريين
لكان أجمل كتاب يصدر عن مثله .

رسم الأستاذ الامام ، وهو اللقب الذي أطلق عليه في أواخر أمره ، خطة لنفسه
في الحياة منذ كان في العشر الثاني من عمره وبقي على تحقيقها لا يثنيه شيء عنها
وما حاد عما رسم في الدرس والتدريس ولم يبرد غرامه بحمل النور الى العقول
الى آخر ساعة ، وهذا قلما عهد في الشرق الاسلامي . ولا غرو ان اضطلع
وحده بعمل مئات من أمثاله من المشايخ مجتهدين ذلك لأن أكثرهم يحصلون العلم
ليعيشوا في الدنيا ويتولوا المناصب في الدول ، أما هو فتعلم العلم ومارسه لينفع به
الناس في دينهم ودنياهم ، ويخرج من هذا الجسم المنحط ناشئة قوية تفيد الاسلام
والمسلمين . كان مفرداً في أمته لم ينبغ فيها مثله منذ قرون ولعل القرون
تتوالى حتى ينشأ رجل فذ من عياره يستوفي شروط الامامة وتعزف قسه
عن المطامع والمظاهر .

والسر في تفوقه على غيره انه كان من أول نشأته يستعمل عقله ويكره الجمود والمنهجية ، ويعرف وقته ومعرفة ثاقبة ويسير بما يلائمه ويبسر على أمته . عرف ان الشريعة مرنة تصلح لكل زمان ومكان فانتفع وتفع بهذا الرأي ، وكان اذا جاءته المضلات جرد لها من عقله مخارج فحلها بقانون الشريعة وقانون العقل مما ، فقد مثل في ذبيحة النصارى فأحلها ، واستفتي في جواز لبس التبعة فأجازها ، وسئل في ابداع المال في ضاديق التوفير فأفتى به . وفي تفسيره القرآن فسر أموراً غامضة لا يفهمها كل الناس وقربها من الأذهان فأفنع غير المتمتئين كسألة الجن والملائكة فسرهما بما لم يسبق لفسر على ما نظن . ومن قرأ دروس تفسيره يدرك انه عالم لا كالعلماء يقول أنبدأ : « لا امام سوى العقل » . لم يخاف الامام مالاً تمش به أسرته من بعده ، « عاش عظيمًا فقيرًا ومات فقيرًا عظيمًا » خلد اسماً يذكر بالاعجاب والتقديس كما ذكره الذاكرون .

محمد كرد علي

جزيرة العرب

قال صلاح الدين خليل بن ابيك الصفي في الجزء الثامن والثلاثين من التذكرة قلت وقد أمرني المخدم الناصري بنظم حد جزيرة العرب في شهر ربيع الآخر من شهور سنة خمسين وسبعمائة :

جزيرة هذه الأعراب حدت بحمد علمه للخشر باق
فأما الطول عند محقيقه فمن عدن الى ريف العراق
وماحل جده ان سرت عرضاً لأطراف الشام على اتفاق

بعض اسرار اللغة العربية

أو

تصويب لهجة من اللهجات العامية

لغة العامية جوانب مختلفة من البحوث . ومن طريفها أن العرب لم يورثونا ألفاظ لفهم التي دونها في معاجمنا فقط . بل ورثونا أيضاً بعضاً من غرائزهم في تفریع الألفاظ . وتشقیق بعضها من بعض . فقلدناهم في طریقتهم هذه من دون شعور منا .

فالعرب بنابل من سلائقهم والأوضح أن نقول بسائق من غرائزهم يضعون أو يرتجلون فعلاً ثلاثياً صالماً كفعل (قطع) مثلاً ثم نجدهم يضعون أو يرتجلون بواسطة تلك الفريزة فعلاً ثلاثياً غير سالم بل هو مضاعف مشابه للأول (أي فعل قطع) في اللفظ والمعنى . مشابهة تامة حيناً أو مقارنة حيناً آخر . فيقولون (قَطَّ) كما قالوا قطع . ومعنى (قط) هو معنى (قطع) . حذفوا لام الفعل وشدوا عينه . فلم يسر فعلاً (قطع وقط) في طريق الاستعمال متدايرين كفعلي (ضرب ونصر) مثلاً . بل متأخين متعاقبين .

وأي الفاعلين المذكورين (قطع وقط) نطق به العرب أولاً؟ أو هُدموا إليه أولاً؟ لا بد أن يكون وقع بين فقهاء اللغة خلاف في ذلك شأنهم في معظم المسائل اللغوية . غير أن الأظهر أن يكون (قطع) هو الأصل لاعتبارات لا يسع المقام بسطها : أي أنها أن تكون (قط) هي المختزلة من (قطع) تخفيفاً أو تسهيلاً أو تفادياً من طول الصيغة وامتداد الصوت بها . وعلى نمط (قطع وقط) جاءت أفعال كثيرة مدونة في معاجم اللغة أسرد منها ما صر يبالى عفواً :

- ١ - (قطع) : استطالوها فاخترلوها وقالوا (قط) .
- ٢ - (زلق) : = = = (زل) .
- ٣ - (كح) : = = = (كد) .
- ٤ - (بتر) : = = = (بت) .
- ٥ - (زحل) : = = = (زح) .
- (في كتب الالفه : زحل الرجل عن مكانه تنحى وزحه عن مكانه اذا نجاه عنه) .
- ٦ - (شخب) : استطالوها فاخترلوها وقالوا (شخ) .
- (في كتب الالفه هما (أي الشخب والشخ) بمعنى واحد . في اللسان الشخ صوت اللبن اذا خرج من الضرع . وشخ بيوله مدّه به وصوت . وشخب اللبن وكل مائع سال وجبرى عند الحلب) .
- ٧ - (مرق) استطالوها فاخترلوها وقالوا (مرّ) .
- ٨ - (قَسَسَ) = = = (قَم) .
- (في كتب الالفه (قس) جمع القماش من هنا وهناك . والقماش فئات الأشياء المنشورة على وجه الأرض . و (قم) جمع القامة بالمقمة أي المكنته . قال الزمخشري : (وينادى بمكة على المسكنس : المقام المقام : بتشديد الميم) .
- ٩ - (أَلْحَفَ) : استطالوها فاخترلوها وقالوا (أَلَحَّ) .
- ١٠ - (حَدَجَ) : = = = (أَحَدَّ) .
- (قال علماء الالفه (حدجه) يبصره اذا حدق فيه النظر . ومنه قول بعض العقلاء (حدثت الناس ما حدجوك بأبصارهم) و (أحد) اليه النظر اذا بالغ في النظر اليه) .
- ١١ - (رَصَفَ) : استطالوها فاخترلوها وقالوا (رص) .
- (في كتب الالفه رصه اذا ألصق بعضه ببعض . قال تعالى : (كأنهم بنيان مرصوص) ورصفت الحجاره في المسيل ضمّاً بعضها الي بعض) ومنه الرصيف .

ما سر كلّه في الأفعال ومثال الأسماء (الصَّرْد : البرد) . أرض صَرْد .
يوم صَرْد . (الصِرْت) البرد . ريح صِرْت أي باردة . وكذا الشطء للنهر كالشاطئ .
وقالوا الشطّ وجمعها شطوط . و (الحِرْحِر) . قالوا فيه (الحرّ) بتمويض راه
من الخاء وهو الأصل كما يفهم من المصباح . قال وقد يستعمل استعمال بد
ودم من غير تمويض . أي من غير حاء ولا تشديد .

هذا ما وسعني التمثل به من تحويل العرب للفعل السالم الى فعل مضاعف
اختزالاً أو تخفيفاً . ولا بد أن يصحب هذا التحويل أحياناً شيء من تغيير
وتبديل : كأن يكون الفعل لازماً فيصبح متعدباً (كزَحَل) وزحّ .
أو ثلاثياً فيصبح رباعياً (كهَدَج) وأحدّ . أو يكون معنى الفعل عاماً فيصبح
خاصاً كقطع وقطّ الذي خصّوه بالقطع المرّضي أو بقطع الشيء الصلب .
وكمرق ومرق فقد خصوا المروق بما كان مروره كالهم في السرعة . وقسّ
وقمّ . خصوا الأول بما جلّ من الفئات ولم يكن مستقذراً بينما هم يستعملون
فعل (قمّ) فيما دقّ من الفئات واستقذروا غالباً . كفعل (كَتَس) .

أثبت بهذا التفريق بين فعلي (قَسَسَ وقَمّ) من عند تقسي . لما لاحظته
في قولهم قماش البيت أي أمتعته المنفرقة فيه هنا وهناك ، وهي غير مستقدرة .
ومنه جاء استعمالنا لكلمة القماش بمعنى الأثواب المنسوجة . لما أنها تصبح قماشاً
مبشراً في جنبات البيت . وهكذا نرى العرب يتحدثون ببعض التغيير في بعض
هذه الأفعال المضاعفة التي حولوها عن الفعل الثلاثي السالم .

**

وتنتقل الآن الى اللغة العامية او اللهجة العامية . ونذكر طريقتها في بعض
الأفعال السالمة والمضاعفة .

قلنا آنفًا إنا ورثنا من أسلافنا العرب الأفعال المذكورة الأصلية السالمة والفرعية المضاعفة وهي قَطَعَ وَقَطَّهَ وَبَتَّرَ وَبَتَّهَ وَكَدَحَ وَكَدَّهَ . وقد تكرر نطقنا بها واستعمالنا لها فأوحى لنا هذا التكرار والاستعمال الطويل طريقة أسلافنا أو غيرهم فيما كان على مثالها من الأفعال حتى أحدث التغيير والتبديل فيها . هم قالوا زلق وكح وقطع ثم ساقطهم غيرهم إلى استطالتها . فمدلوا عنها إلى زلَّ وكدَّ وقطَّ .

هذه الفريضة نفسها انتقلت إلينا من حيث لا نشعر وجعلتنا نحن العامة نستطيع صيغ بعض الأفعال السالمة الفصيحة فنحوها إلى أفعال مضاعفة مولدة أي غير موروثه عن العرب ولا يعرفونها . طبق ما فعلوا ثم حتى أحدث التغيير والتبديل فيها . استطلتنا فعل (تفل) فاخترناه وقلنا (تَفَّ) . كما قالوا هم في بتر ، بتَّ . فعل (تفل) هو الفصيح المدون . أما فعل تَفَّ الذي هو بمعنى (تفل) تمامًا أي البصق الخفيف فدخيل مولد . ولدته الفريضة الموروثة المستقرة في طبقات تقوسنا معشر العرب الخالفين . ولا يمكننا أن نعرف أول من هدته سلبقته إلى فعل (تَفَّ) . وإنما نعرف أن شخصية الأمة المعنوية الخالفة نطقت به واهتدت إليه بغيريتها الموروثة عن أمة العرب السالفة .

وقد وقع لنا أربعة أفعال دخيلة من قبيل ما ذكرنا :

١ - (تفل) : استطالها العامة فاخترلوا منها (تَفَّ) .

٢ - (بصير به) : استطالها العامة فاخترلوا منها (بَصَّ) .

(تستعمل العامة بصَّ بمعنى نظر إلى الشيء ولا يوجد هذا المعنى لبصَّ في اللغة الفصحى وإنما معناه فيها برق ولمع . تقول نظرت في الظلمة عينًا تبص أي تلمع . ولها بصيص أي لمعان .

٣ - (قح) : استطالها العامة فاخترلوا منها (قَحَّ) .

وفعل (قَحَّ) قد نكون ولدناه وحاكينا به صوت السعال . على أن فعل (قَهَبَ) نفسه قد يكون من محولات الصوت . أي من الأفعال التي حوكت فيها الصوت واستوحى لفظها منه . وهي كثيرة في اللغة كفعل (رَنَّ) مثلاً الذي قالوا انه محول من صوته أي صوت الرنين .

(طَمَرَ) : استطالها العامة فاخترلوا منها (طَمَّ) .

وفي كتب اللغة (طمر الشيء) دفنه وخبأه تحت التراب . والمطامر حفر تحفر في الأرض تخبأ فيها الحبوب . وعامتنا تقول (طمَّ) الشيء بالمعنى نفسه . وليست (طمَّ) في اللغة الفصحى بهذا المعنى أي معنى الطمر . وإنما تجيء بمعنى غمر الشيء بالماء وبمعنى ملأ الحفرة بالتراب ثم دكها وسواها . وطمت الجارية شعرها جزئته . ومنه المطحومات . فطم الشيء بمعنى دفنه تحت التراب من لغة العامة وهو محول من فعل طمر الفصحى .

هذه الأمثلة من الأفعال ومصادرهما أما مثال الاسم فإنه قول العامة (نَصَّ) في (نِصْف) . فالأفعال الأربعة : (نَفَّ ، وَبَصَّ ، وَقَحَّ ، وَطَمَّ) والاسم الأخير أعني (نصف ونص) من أعدل الشهود على أن العرب الخالفين الذين نسيمهم عامة وعواماً ورثوا غريزة أصلافهم العرب فنطقوا بتلك الأفعال الأربعة وبالاسم (نصف) بعد أن حولوها عن أصولها تخفيفاً . واستعملوها مطمئين الى حسن صنيمهم واثقين من أنهم فيه انما يجرون على مقياس قاس به أصلافهم . ويحسن أن نعترف بأن لهذه الأفعال الأربعة المولدة ومثلها الاسم وهو (نص) المختزلة من نصف منزبة على سائر الألفاظ العامية الأخرى لما أن تولدها أشبه بتولد كلمات اللغة الفصحى .

فلا غرو اذا عددناها وأمثالها من الفصحى وأثبتنا لها حقاً في الحياة وتدويناً في المعاجم اللغوية الجديدة عملاً بالقاعدة الماثورة : ما قبس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

وما قامت العامة على كلام العرب وتصرفت فيه تصرفهم في تحويل الفعل الصحيح الى مضاعف قولهم في جحمت النار أي اضطرت جحمت النار لكن لا بمعنى اضطرت واشتعلت بل بضم هذا المعنى فهم يريدون من جحمت خمدت وتحويل جرهما الى ضم^(١) .

ويشبه الأثر المذكور في مضاعف الفعل الثلاثي السالم اثر آخر ورثنا طريقته من العرب ولهذا الأثر علاقة (بالثنائية) التي يدعو اليه العلامة الأب مرمرجي : ذلك أن العرب يحتزلون من الاسم الثلاثي اسماً ثنائياً بمعنى الأول بحذف حرف منه فيقولون في (بدي) بد وفي (دمو) دم وفي (ابو) أب . ثم هم أي العرب في لغاتهم أو قبائلهم يعودون (وكانهم قدموا على ثلاثيتهم المطبوعة عليها لغتهم) فيعمدون الى هذه الثنائيات : (بد) (دم) (أب) فيشدون أواخرها فتصبح ثلاثية كما كانت في أصل وضعها . ويقولون بدث (لغة في اليد كما في التاج ومثل له بقول الشاعر :

(جازوهم بما فعلوا اليكم مجازاة القروم بدأ يدي)

ويقولون دم بالتشديد (وهي لغة كما في مستدرک التاج) ويقولون أب بالتشديد (قال في المصباح وفي لغة قليلة تشدد الباء عوضاً عن المحذوف) . هكذا كان يفعل العرب . وقد أخذنا نحن العرب المتأخرين نحذو حذو أسلافنا ونقلدهم في طريقتهن المذكورة من حيث لا نشعر . فقلنا في (قبة) من الرقاحة (قبة) بتشديد الحاء . وفي (جمعة) التي أصلها (جمو) جمعة بالتشديد أيضاً كأن سليقتنا تأتي الا الثلاثية كما كانت تأتي ذلك سليقة أسلافنا في بعض ألقاب لغتهم .

وفي اللهجات العامية أسرار آخر ينبغي تنبها ولا يحسن إغفالها .

الغربي

www.alukah.net

(١) جعت لهجة سورية ساحلية أما في دمشق فيقولون جحرت النار بزيادة راء .

الخزائن العامة في استانبول

وأشهر مخطوطاتها

الضايه باخزائن :

عني العرب عناية كبيرة بالتأليف والتدوين والنقل والترجمة منذ فجر حضارتهم ، وأخذوا لذلك يجمع الكتب والأصفار ، وسهلت في أعينهم الرحلات الطويلة للحصول عليها ، حتى اجتمعت لديهم خزائن كثيرة كانت تنص بها الغرف والمقاصير حتى كانت تملؤها إلى السقوف .

وكان الخلفاء والأمراء والوزراء يشاركون العلماء هذا الاحساس فأسسوا دور الكتب العامة يختلف اليها المطالعون منذ القرن الثاني للهجرة . وقد وصف ابن النديم ما كانت تحويه هذه الدور ، وفهرس بعضها ، ووصل اليها كتابه فعرفنا عناية القوم بالجمع والحفظ ، وعرفنا غرامهم بالخزائن وعشقهم الكتب . ولم يكن العرب المفازية في الأندلس أقل عناية من المشارقة بالكتب وارتداد الخزائن ، فكانت قرطبة تنافس بغداد ، وغرناطة تزهي بكثرة ما تملك منها في خزائنها العامة . وسرت عدوى الكتب في الأفراد فتسابقوا إلى اقتنائها .

واسنوي في ذلك العالم الفقير والجاهل الغني . فقد كان الأغنياء والموسرون يجدون من أسباب الفخر أن يفتنوا نسخة فريدة أو كتاباً نادراً ولو أن كثيراً منهم لم يكن يفقه شيئاً من أمر الكتب والنسخ .

واقترنت القاهرة بأختها بغداد وقرطبة فخصت جانباً كبيراً من نشاطها العلمي بجمع الكتب وعمارة الخزائن ، حتى لقد قدر المقرئزي وابن خلكان عددها

في بعض الخزائن بعشرات الآلاف . ولم يكن الشام مختلفاً في هذا الميدان وإنما أنشأ المدارس ، وجعل فيها الخزائن ، وأغناها بنوادير الكتب . ولكن هذه الخزائن جميعاً أصابها ما أصاب أصحابها من نكبات وخسائر على مدى الزمن ، فقد توالى الغارات وتتابعت الحروب ، واختلفت الدول ، فهدت ذلك من جوانب النشاط الثقافي ، وفقرت همم القوم ، وتهدمت من بنيانهم ما كان عامراً ، وتفرقت من ثروتهم ما كان مخزوناً ، فتلقتوا إلى معاشهم ، واقتصروا على تدبير حياتهم ، وانصرفوا عن لذة العلم إلى النضال والكفاح ، لذلك أقوت المدارس وأقبرت الخزائن ، فسقط عليها التراب والأرضة ، وعيثت بها الأيدي وتقاذفها حب التجارة ، وأصبح أمر الكتب إلى قوامين لا يفقهون غناها ومدبرين لا يعرفون عظمة مقتناها ، فتفرقت شذر مذر ، وسافر بعضها بعد فتح السلطان سليم إلى الأمانة ، وحُمل بعضها الآخر بعد حملة نابوليون إلى باريز وبرلين ولندن ورومة وثينا واكسفورد ولندن ولندن وتوبينغن وكوبنهاغ وإسبانيا . وربما يمت هذه المخطوطات النفيسة بدرهم معدودات ، أو أهديت كما تهدي الأثواب المزركشة والثياب المزخرقة ، فقد مات عنها جامعوها ، وقضى عنها واقفوها ، وليس للورثة علم بأمرها أو تقدير ثمنها . أما المخطوطات التي سافرت إلى أوروبا ، فقد اتخذت مكانها الجميل في عواصمها ، وخصت بها الأيدي الرحمة الشفيقة ، فعطفت عليها وأحبتها ووقفت منها موقف الميراث القومي ، فوضعتها للعلماء وأعلنت لهم أرقامها وأسماءها وأوصافها . وجعلتها في قصور عاصمة ، ومتاحف فاخرة ، أو في قلب الجامعات ؛ فأصبحت تزهي كل حاضرة منها بما اقتنته من نوادر الجواهر ونفائس الذخائر من كتبنا العربية .

خزائن استانبول :

أما خزائن استانبول فقد تولتها السادة واحتضنها الفتي منذ فتوحات السلطان سليم الأول (١٥١٢ - ١٥١٩ م) ، واستيلاء جيوشه على الممالك المغلوبة

نجحت خير ما فيها ، وصاقت أسلابها الى عاصمة الملك . وقام العلماء بجمع المخطوطات العربية النادرة من عواصم العرب وحواضرهم وساقوها كذلك الى متاحف القسطنطينية وقصورها وجوامعها ومدارسها ارادة أن تصبح الأمانة قبله العالم الاسلامي كله .

وتنافس السلاطين في اقتناء هذه النفائس وانشاء الخزائن فقام السلطان سليم والسلطان سليمان والفاخر بجمعها والعناية بها ، واقتدى بهم شيوخ الاسلام كفيض الله وولي الدين وعاشر وعارف حكمت ، وسار على خطتهم وزرأهم مثل محمود باشا ، وأميرة كوبريلي ، وراغب باشا وعمومه حسين باشا ، وشهيد علي باشا ، وحذت حذوهم زوجات السلاطين والعلماء حتى كثرت أسماء دور الكتب ؛ وفضل المراجع في التمييز بينها ومعرفة مكاتبها ، واختلفت عناوينها ، وتبدلت مساكنتها ، فقلت الاستفادة مما فيها ووقف كثير دون الحصول على معلومات عنها . والحق ان في هذا الخزائن أصول مخطوطات العالم العربي والغربي . ويندر أن يقع في العالم مخطوط لا أثر في خزانه من خزائن استانبول لأمه أو أصله أو مصدره أو نسخة جميلة صحيحة قديمة منه . فاذا حدث ذلك فمردّه الى ضياع كثير من هذه المخطوطات ، فقد اختلفت عليها أسباب السرقة والتلف ، وتناقلتها الأيدي المجرمة ، وأصابها العوادي والحدثان من حريق وزلازل .

ولم تقع في اللغة العربية على كتاب يهديننا الى أماكن هذه الدور وما تحويه من أسماء الخزائن المختلفة^(١) نرجع اليه فيسهل علينا معرفة ما نريد في سرعة

(١) جاء في مجلة للتبصير ج ٥ ص ١٥٦ ان العالم أحمد زكي باشا قد كتب تقريرا بالعربية والتركية لتنظيم خزائن الكتب العامة في استانبول . ولو وصل الينا هذا التقرير لكان من ورائه خير لنا واصلاح لما قد نخطي فيه من أسماء الخزائن وجامعها . وقد قمنا على وصف دخوله الى طوبقبوسراي في كتاب الاستاذ فيليب طرازي « خزائن الكتب العربية في الحاققين » وفيه خمس خزائن استانبول بست صفحات ٢٥١ - ٢٥٧ .

ويسر ، وبين لنا ما آلت اليه حال هذه الخزائن ، ويصف ما استقرت عليه هذه الدور ، وإدارتها وطريقة الاستفادة منها .

ولقد خيل لكثير من العلماء أن دون الوصول الى هذه المخطوطات مصعب ومشقات ؛ مع أنها في تنظيم جميل ، ويسر كبير ، وهي مفتحة الأبواب ، انتقلت خلال الحرب الأخيرة الى مخابيئ أمينة في الأناضول ، كما انتقلت زميلاتها من برلين الى بيروت ، ومن لندن الى الضواحي ، ومن دار الكتب المصرية الى جبل المقطم ، ولكنها عادت كلها الى قواعدها مع مسكون العاصفة وهدوء المدافع .

وكانت هذه الخزائن موزعة قديماً في نيف وأربعين داراً ترتبط بوزارة الأوقاف كما هي الحال في الشام كلها . ثم ألحقت بوزارة المعارف ، وهذه وحدتها ، وجمعتها في خمسة عشر داراً ، ومنها ما جعل في قصور السلاطين والجوامع والمدارس والجامعة .

وقد زارها الأب شينو سنة ١٩٠٤^(١) فقد رعددها بثلاثين ألفاً من المخطوطات ، وأنى له أن يقف على حقيقة احصائها ، ولم تكن في ذلك الحين سهلة الاكشاف ، فقد وقف أحمد زكي باشا بعد خمسة وعشرين عاماً دون أن يستطيع الدخول الى بعضها إلا « بفرمان شاهاني » فكتب يصف طوبقو يومئذ^(٢) :

« فيها خزانتان لا تزالان الى الآن : احدهما مشحونة بنفائس الكتب والدفاتر . والثانية مرصودة لغوالي الذخائر ونوادير الجواهر . فأما الأولى فكان محظوراً على الناس كلهم أن يدخلوها سوى أمير المؤمنين بجاشيته ورجال دولته في مواسم اثنين لا ثالث لهما : يوم الجلوس على العرش وليلة القدر .

أما الثانية فكان فيها ولا يزال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ولكن الدخول لم يكن مباحاً إلا بإرادة سنية » .

(١) انظر مجلة للشرق ، ١٠٦٤/٧ ، سنة ١٩٠٤ م .

(٢) مجلة الأمار الشرقية ، ٧١/٤ ، سنة ١٩٢٩ م .

ذلك ما حال دون معرفة هذه الخزائن وما ضمت وعدد ما فيها من الأصفار .
وقد دلّ إحصاء أخير لهذه المخطوطات الشرقية سنة ١٩٥١ أنها تقرب من مئة
وعشرين ألف مخطوطة .

وهذه المخطوطات لا يتسع لها مبنى واحد ، ويتمذر حشرها جميعها في مكان بعينه
مخافة عوادي الدهر ومصائب الحروب . ولولا ذلك لكان من الخير أن تجتمع
المخطوطات العربية كلها في بناية واحدة وتوزع على أنواع العلوم فتجمع كتب
التاريخ من الخزائن كلها في جناح واحد ، وترتب دواوين الشعر وكتب الأدب
في جناح آخر ، وتجعل مراجع الفقه والسنن في جناح ثالث وهكذا . ولكن
فقر الأتراك بالرجال المعنيين بالعربية وقلة من يهتمون بالوقوف على مخطوطاتها
دعا المفهرسين الى أن يعملوا في حذر وبطء . ولا تظهر نتائج جهودهم الا في
سنوات بعيدة إذا لم يعمل علماء العرب جنباً الى جنب في الافصاح عن هذه
الكنوز والكشف عن مزايا هذه الخرائد .

فهارس الخزائن :

وما يزال الباحثون يعتمدون على الفهارس القديمة التي طبعتها نظارة المعارف
بين سنة ١٣٠٠ - ١٣١٢ هـ في أربعين جزءاً ونيفاً ، بعنوانين تركية وتعليقات
بالتركية ومقدمات موجزة جداً . فجاءت في هذه الدفاتر عناوين الكتب
مشفوعة بذكر الأجزاء وأسماء المؤلفين على شكل قوائم . وذكر في الملاحظات
ما للخلاف من زخرفة وما في الصحف من مداد . فهي جرائد لاحصاء ما في
هذه الخزائن . وقد تجاوز في السطور والصفحات ذكر الكتب المخطوطة والمطبوعة ،
واختلقت اللغات التركية والفارسية والعربية فلم تفرد فيها لغة عن لغة ومخطوط
عن مطبوع مما يجعل الرجوع اليها عقيماً . وليس هذا فقط فقد أصابها تصحيف
وتحريف يعتمى على الباحث سبيل الاهتداء الى الصحيح . ويبدو أن من صنع

هذه الدفاتر من لم يقفوا على أصرار هذه الصناعة ولم يتقنوا العربية ومصادرهما اتقاناً بقريهم من الصواب . وقد سجل المفهرسون في سجلاتهم ما شاهدوه على ظهر المخطوطات من عناوين وأسماء ، بل نقلوا غالباً عن الورقة الأولى ما يحويه الكتاب من عنوان كتب يبد متأخرة أو جاهلة فارتكبوا بذلك خطأ فادحاً . وقد يكون على الورقة ما ليس في الكتاب ، فيقع في الشعر ما يحل التاريخ ، ويقع في الفقه ما مكانه الأدب ، ناهيك بما أصاب الأسماء من أخطاء مطبعية فاحشة .

وهذه الفهارس على ضعفها وخطئها نافعة أشد النفع فهي وحدها عمادنا في معرفة محتويات الخزائن ، وهي وحدها كانت عوناً للعالم الكبير كارل بروكين في تاريخه عن الأدب العربي ؛ ففيها صواب كثير وخطأ لا بد منه ؛ ويجس نبأ أن نحتاج في قراءتها حتى تتم فهارسها العلمية .

قام عدد من علماء المشرقيات بزيارة هذه الخزائن فبالتهم كثرة الأخطاء وشدة التصحيف في الفهارس ونزلوا استانبول ، وعاشوا على مقربة من هذه الكتب ، ووقفوا أجمل أيامهم على تصفحها وقراءتها ووصفها . فأرادوا أن يعملوا لها ما عمل زملائهم خزائن أوروبا وحواسرها كبرلين ولندن وباريز ومدريد وتويننغن وليدن ورومة وكوبنهاغ ، يذكرون عدد الأوراق والسطور ، ويرسمون الأبعاد والحجوم ، ويجلون فواتح النسخ وخواصها ثم يصفون النسخة وما تقلب عليها ؛ ويقربون أحياناً بينها وبين أخواتها من خزائن العالم .

وأكثر هؤلاء الباحثين فيما نعلم جاءوا من ألمانيا مدرسين ومعلمين فاهتموا بهذه النوادر والفرائد ، وكتبوا نتاج دراساتهم وبحوثهم في مجلات أوروبا وصحفها بلفتهم ، ونشروها منذ خمسين عاماً وما يزالون ينشرون إلى اليوم في هذه المجلات ملاحظاتهم ودراساتهم لهذه المخطوطات .

ويصح أن تعتبر محاولاتهم نواة لفهرس عام علمي منظم ، وإذا ما جمع بعضها الى بعض - كونه جزءاً مهماً من فهرس المخطوطات التي لم توصف الى اليوم . وهذا ما صنعناه ، فقد جمعنا مقالات هؤلاء العلماء من صحف مختلفة ، بعضها قديم نادر ، ومنها ما طبع خلال الحرب فأصبح نادراً . واستقصينا ما ظهر في هذه الخزائن فجاءت في صفر غير صغير ، حاولنا أن نظهر عليه قراء العربية ، وأن نشرك العلماء في السرور بهذه المعرفة ، وبخاصة من لا تصل يده الى هذه الصحف ، أو من يقف دون جمعها وفهمها وتفتر همته دون ترجمتها .

وأرى من الواجب هنا ترجمة الثناء الكريم على المستشرق الأستاذ رشر O. Rescher فقد تفضل ودفع البنا نسخة الخاصة التي اقتطعها من الصحف القديمة ورجانا في تواضع علمي أن لا يذكر على منحه هذه ، واكتنا نأبي إلا أن نعلن فضل العالم على المتعلم والمحسن الى السائل .

وسنضم بحوث الأستاذ رشر الى مقالات غيره من المشتغلين بالمشريات في وصف المخطوطات العربية ، ثم نذيل ذلك بما وقعنا عليه من مخطوطات استانبول نصفها كما وصف المستشرقون أخواتها . وقبل أن نشرع في الترجمة نحب أن نصف حال هذه الدور ومواقعها من استانبول كما رأيناها منذ شهور ، ونذكر عدد مخطوطاتها وما تحويه من خزائن اجتمعت فيها ، معتمدين في ذلك على ما نشره الأستاذ يوسف شاخت Joseph Schacht في سنتي ١٩٢٧ و ١٩٣٢^(١) من قوائم الخزائن كما رآها لذلك الزمن ؛ ناقلين عن الأستاذ مظفر گوكن M. Gökman^(٢) مدير خزانة بيازيد العمومية جداول الخزائن واحصاء

(1) Zeitschrift für Semitistik und verwandte Gebiete, Leipzig. 1927 Bd V, 288—293 ;Bd. VIII, 120—121.

(2) Istanbul Kütüphaneleri Rehberi, M. Gökman, Bayazit Umumi Kütüphane Müdürü, Istanbul 1951. 28 pages

المخطوطات في كل منها • فهو خبير في الموضوع • وعارف بجيرانه مديري
الخزائن وما عندهم من كنوز •

مواقع الخزائن في استانبول

تقع جلّ الخزائن في القسم الغربي من استانبول أي في القسم الأوربي
من القارة ، وتحتل الأماكن القديمة التاريخية كقصور السلاطين والجوامع
الأثرية والمدارس • وكأنها تمتد من طرف البحر شرقاً إلى داخل المدينة غرباً ؛
لذلك ننمذ إلى وصفها متابعين سيرنا من الشرق إلى الغرب ؛ في إيجاز يضطرنا
إليه ضيق المجال • ولكننا لن نقفل عن الإشارة إلى محتوياتها وغناها حين
نصف المخطوطات •

١ - طوبقو مصراي : تحتل هذه الخزانة أحد الأبنية الفخمة من مصراي
طوبقو الشهير ، وقد حوّلته الدولة إلى متحف أثري ؛ فخصت بمخلفات
السلطان احمد الثالث وبغداد كوشكي وأمانت وغيرها ؛ وعدد المخطوطات الشرقية
فيها يزيد على سبعة عشر الف مخطوطة وهي لم تفهرس إلى اليوم في « دفاتر »
مطبوعة شأن غيرها لأنها كانت محرّمة على الجمهور • ولكن السجلات الخطية
معروضة يرجع إليها الباحث اليوم في معرفة الأرقام والأجزاء ؛ وهي تابعة لمدير
المتحف ؛ وفيها خزنة ومناولون ، وتقع في مكان جميل في قلب الحدائق يجتاز إليها
المطالع مسافة غير قليلة تحت الأشجار في عمشى حجري طرفته سنابك الخيول
وعربات السلاطين وشهد المجد والحكم •

٢ - أياصوفيا : وهي تقع على مسافة قريبة من الأولى ، في جامع أياصوفيا
وهو اليوم متحف أيضاً شهد القدم والمعظمة • والخزانة في قلب الجامع إلى أقصى
اليمين في غرف محاطة بسياج وأبواب من حديد • وهي تحوي ما يقرب من
خمس آلاف مخطوط ؛ لها فهرس مطبوع ومدير وخازنان يقومون بخدمة المطالع

وفيه مجموعة غنية من الكتب القديمة رائعة التجليد مزخرفة موشاة ، كتبت أكثرها بأقلام مؤلفيها ، وهي من مخلفات السلطان محمود الثاني والسلطان الفاتح وغيرهما .

٣ - كوبريلي : وتقع على مسافة غير بعيدة ، قد جعلت في مدرسة صغيرة تشرف على الشارع العام ، خلفتها أسرة كوبريلي ومحمد عاصم بك والسلطان احمد . وتبلغ عدد نسخها قرابة (٢٥٠٠) مخطوطة . ولها فهرس مطبوع ، وقاعة للمراجعة يحجب بينها وبين جدران الخزانة فاصل خشبي ، ولها خازن ومناول ، وفيها كتب قديمة نادرة .

٤ - نور عثمانية : وتقع في الطرف الأيمن المقابل يصل بينها شارع غير طويل . وهي في إحدى غرف جامع نور عثمانية أنشأها السلطان عثمان الثالث سنة ١٧٥٥م ، وفيها مخطوطات السلطان محمود الأول ، ويبلغ عدد ما فيها قرابة خمسة آلاف مخطوطة ولها خازن يقوم برعايتها وفهرس مطبوع قديم .

٥ - ييازيد : وهي إلى الطرف الأيمن من ساحة ييازيد قبالة باب جامعة استانبول ، وتسمى المكتبة العمومية ، وفيها قرابة ثمانية آلاف مخطوط ، يرتادها المطالعون والطلبة لقربها من الجامعة ، يقرءون فيها كتبهم ويراجعون دروسهم ، وهي منظمة على طراز حديث ، تجبز فيها الأماكن ، وتتوفر فيها الفهارس على جزازات عالية وهي في ذلك شبيهة بجامعات الغرب . ويقوم على إدارتها عالم متخصص هو الأستاذ مظفر گوكن M. gökman ، وبماونه في مهنته عدد غير قليل من خزنة وموظفين .

٦ - ولي الدين : إلى الطرف الأيمن من جامع ييازيد بجوار المكتبة العمومية السابقة . وهي في غرفة متواضعة يزيد ما فيها على ثلاثة آلاف مخطوطة أكثرها

قديم ونفيس ولها خازن يقوم عليها ، وفيها خزانه شيخ الاسلام ولي الدين وجودة باشا وغيرهما .

٧ - جامعة استانبول : وهي خزانه حديثه في بناء مستقل يفصله عن الجامعة وقاعاتها شارع ضيق . وفي هذه الخزانة سبعة عشر الف مخطوطة كلها مفيضة على جزازات لم يطبع منها إلا الجزء الأول فقط في المصاحف والقراءات (١) نشره مدير الخزانة العام الأستاذ فهمي أدم قرهطاي ؛ وتحوي نفائس من مخطوطاتنا وفرائد من كتبنا بعضها حديث وأكثرها قديم نادر . ويقوم في البناء نفسه المعهد الشرقي للكلية الآداب بجامعة استانبول ويرأسه الأستاذ احمد آتش Ahmed Ates ، وهو يعني بنشر الكتب القديمة والمخطوطات النافعة .

٨ - سليمانية : الى مقربة من خزانه الجامعة ، يفصل بينها وبين جامع السليمانية الشهير شارع عريض . وهي في مدرسة جميلة تجمت فيها خزائن غنية تعد من أغنى خزائن استانبول وأعظمها ، وفيها أربع وعشرون خزانه قديمه ، يزيد عدد ما فيها على إحدى وثلاثين ألف مخطوطة فهي أهم خزائن تركيا . ولأكثر خزائنها فهارس مطبوعة ، وفيها قاعة صغيرة للمطالعة وموظفون يعملون ليل نهار في فيرسة المخطوطات على أسلوب عتي حديث بماونهم في ذلك الأستاذ O. Rescher . ويرأسها الدكتور مصطفى كويمن Dr. Mustafa Köymen وفي هذه الخزانة أكبر آلة لتصوير المخطوطات .

٩ - عاطف افندي : وتقع خلف السليمانية بنحدر اليها الزائر في أزقة ضيقة ، وهي في مدرسة صغيرة لطيفة تحوي ما يقرب من ثلاثة آلاف مخطوط يديرها خازن ومناول ؛ وكتبها من مخلفات الدكتور دار عاطف افندي ، وفيها نفائس وفرائد .

(1) Istanbul üniversitesi Kütüphanesi. Arapça Yazmalar Katalogu, Fehmi Edhem Karatay, Istanbul 1951, 136 pages.

١٠- فاتح : تقع في الشمال الغربي من المدينة بجوار جامع الفاتح المشهور .
وفيها ما يقرب من ستة آلاف مخطوط ، من مخلفات السلطان الفاتح ومحمود الثاني ،
وفيها مدير وخازنان وغرفة ضيقة للمطالمة .

١١- ملّت : تقع غير بعيد عن الفاتح وفيها ما يزيد على عشرة آلاف
مخطوط ، تحوي أشهر الخزائن كفيض الله افندي وولي الدين جار الله بيرتو باشا
وعلي أميري افندي وحكيم أوغلي علي باشا ، وأكثرها لم ينشر في فوارس مطبوعة ،
وانما وضع على جزازات واضحة حسنة . ولها قاعة للمطالمة ومدير وخازن .

١٢- -- مراد ملّا : جعلت على مقربة من ملّت ، وفيها من مخلفات السلطان
عبد الحميد الأول وبعض شيوخ الاسلام نفائس الكتب ونوادرها ما يقرب عدده
من خمسة آلاف مخطوطة . وفيها من يقوم بالفهرسة وخدمة الباحثين .

١٣- راغب باشا : غربي يازيد على الشارع العام في بناية لالهلي أسيا
الوزير راغب باشا سنة ١٧٦١ م . وهي تحوي ما يقرب من ألفي مخطوطة
أكثرها مفهرس معلوم .

*
*
*

ويسود في هذه الخزائن الهدوء والنظام وتبدو فيها النظافة والعناية ، ويرتادها
الطلبة الدارسون لا يجدون غيرها لمراجعة بحوثهم . وقلما تقع فيها على باحث عن
المخطوطات العربية لبعدها عن هذه اللغة ، وعزوفهم عن مباحثها ، وقلّة تعلقهم
بها . فالمستعربون قلّة في هذه الربوع ما نكاد نعرف من أصاتيذهم فيها
إلا الأستاذ مكرم بن خليل والأستاذ فؤاد سوزكين والأستاذ أحمد آتش ، وقد
تفضل هذا الأخير فرافقنا في أكثر هذه الرحلة فله علينا اليد البيضاء الواسعة .
بقي من هذه الخزائن العامة اثنتان هما خزنة سليم آغا بأبوب ، وخسرو باشا
بأسكدار ، لم نستطع لضيقة الوقت قراءة ما فيها ومطالمة نفائسها . وعذرنا في
هذا التقصير أن الطريق - كما ذكرنا - لم تمهد قبلنا في وصف هذه الخزائن بأسباب .

وكل ما نعرف عن هذه الخزائن مختارات وقوائم قام بنشرها وإعلانها في الجمهور العربي أستاذنا الرئيس محمد كرد علي وشيوخنا في هذا الباب أحمد تيمور باشا والشيخ طاهر الجزائري وأحمد زكي باشا ؛ قرأناها في مجلات الهلال والمقتبس ومجلة المجمع العلمي العربي . وهي نوادر وفرائد حبذا لو قام المخلصون من شبابنا في العمل لها والسعي لنشرها نشرًا عظيمًا صحيحًا في مقدمات نافعة وفهارس واسعة وتعليقات وافية تُميد إلى الأحفاد كنوز الأجداد ويكون من آثار الخلف ما يقف لآثار السلف ، ويعود للغة العربية سالف مجدها وقديم عزها فستعيد مكانتها ويكتب لها البقاء والخلود .

وسنبسط في الجداول الآتية تفصيلًا لما أجملنا ، وتوضيحًا لما أوجزنا فنجمل في الجدول الأول قائمة بالدور الموجودة وإلى جانبها ما تحويه من خزائن ، مع ذكر عدد المخطوطات التي تحويها كل منها .

وفي الجدول الثاني رتبنا الخزائن الصغيرة على حروف الألفباء يرجع إليها المطالع ليعرف مكان وجودها من الدور العامة اليوم .

وجعلنا في الجدول الثالث قائمة الفهارس المنشورة حتى الآن ، لعل القارئ يعود إليها في معرفة ما يطلبه من مخطوطات ، ليقف على ما بقي منها طي الجزايات من غير فهرس منشور أو دفتر مطبوع .

وقد أغفلنا ذكر الخزائن التي تحوي مخطوطات شرقية وتندر فيها المخطوطات العربية الهامة وهي خزنة البلدية وخزانة التراكيمات وخزانة المتحف ؛ كما ضربنا صفحًا عن الخزائن التي تحوي المطبوعات فقط .

وبعد انتهاء هذه الجداول نشرع في التعريف بالمخطوطات كما وصفها المسترربون من علماء المشرقيات خدمة للدارس الباحث . والله من وراء القصد .

* * *

المجلد الأول :

خزائن استانبول وعدد مخطوطاتها

(مرتبة على حروف الألفباء)

١ - أياصوفيا ^(١) : عدد المخطوطات

٤٨٦٣

(١) خزانة السلطان محمود

١١٣

(٢) سعد الدين الجبتي

٢٢

(٣) لواقف مجهول

ب - ييازبد (عمومية) ^(٢) :

٦٧٨٧

(٤) من واقفين مختلفين

(٥) حكيم اوغلي وادريس باشا

(٦) عمر افندي (رئيس الأطباء)

(٧) الطرايزهني (حين افندي)

(٨) مناسترلي (اسماعيل حقي)

(٩) نامق بك وبزمي عالم سلطان

(١٠) ثابت بك

(١١) وزارة المعارف

(١٢) محمد أشرف

٦٠

(١٣) حسن فهمي باشا

١٧

(١٤) لطفي بك

٥٠

(١٥) محمد ذهني أفندي

٥٢

(١٦) توفيق باشا

(١) عنوانها : Sultanahmed, Ayasofya Müzesi

(٢) عنوانها : Beyazit Imaret cad. No 21

عدد المخطوطات

١٣٠	(١٧) عارف بك المزوي
٣١	(١٨) حافظ داود باشا
١٦	(١٩) علي حيدر أفندي
١٧	(٢٠) سليمان توفيق
٩١	(٢١) خليل شريف باشا
٢٩	(٢٢) چركس (شيخ توفيق)
١٣	(٢٣) ترناوه لي (محمد)
١٩	(٢٤) عبد النافع أفندي
٤٨٣	(٢٥) قره مصطفى باشا
٤	(٢٦) ذهني باشا
١٠	(٢٧) اسماعيل فني ارطغرل

ج - جامعة استانبول^(١) :

(٢٨) مخلقة (بيلديز ، خالص ، صاحب ملا) ١٧٧٤٨

د - خسرو باشا^(٢) :

٤٩٨	(٢٩) خسرو باشا
٢٠٠	(٣٠) بشير آغا
١٩٢	(٣١) جامع أيوب
٤٤٣	(٣٢) مهرشاه سلطان
٤٣٨	(٣٣) اسميخان سلطان
٦٠	(٣٤) حسن حسني باشا

(١) عنوانها : Bayazit Süleymanie cad.

(٢) عنوانها : Eyüp Bostan Iskelesi No 7

عدد المخطوطات

هـ - راغب باشا (١) :

١٥٠٣	(٣٥) راغب باشا
٣٥٥	(٣٦) توفيق يحيى (مدرسة)
٧٠	(٣٧) مصلى (مدرسة)
٥٩	(٣٨) يكي مدرسة

و - سليم آغا (٢) :

١٢٣٩	(٣٩) حاج سليم آغا
٧٥٠	(٤٠) هدائي افندي
١٠١	(٤١) هاشم باشا
٦٩٥	(٤٢) كيانكش أمير خوجه
٣٠	(٤٣) يعقوب آغا
٩	(٤٤) حسين كاظم
١٥٧	(٤٥) نوربني سلطان
١٠١	(٤٦) گولنش والدة سلطان

ز - سليمانية (٣) :

١٠٣٩	(٤٧) سليمانية
٤٥٦	(٤٨) عموجه حنين باشا
٤٧	(٤٩) نظيف افندي
٤٧١	(٥٠) عامر افندي (شيخ الاسلام)

(١) عنوانها : Laleli Ordu Cad. No 225

(٢) عنوانها : İsküdar attamatasi Cad. No 21

(٣) عنوانها : Elmaruf Mah Ayse Kadın Sok. No 35

عدد المخطوطات

١٢٣٩	(٥١) مصطفى افندي
٤٧٥	(٥٢) حفيد افندي
١٥٥٧	(٥٣) بغدادلي وهي
٥٩٤	(٥٤) بشير آغا
٣٨٣	(٥٥) عبد الله جلي
١٤٢٦	(٥٦) جورليلي علي باشا
١١٥٢	(٥٧) داماد ابراهيم باشا
٢٦٧	(٥٨) دوكلبي بابا
٣٧٣٥	(٥٩) اسمد افندي
٦٩	(٦٠) گولنش سلطان
٣٦	(٦١) حافظ احمد باشا
٨٢٤	(٦٢) حالت افندي
٣٦٣	(٦٣) قره جلي حسام الدين
١٨٠	(٦٤) أزميرلي اسماعيل حقي
١٠٣٠	(٦٥) قليج علي باشا
٣٨١٠	(٦٦) لاللي
٢٦٠٠	(٦٧) محمود افندي
٣٧٧	(٦٨) محمود باشا
٦٠	(٦٩) أزميرلي مصطفى افندي
١٦٣	(٧٠) رسم باشا
٣٧٢	(٧١) يوسف آغا
١٦٦	(٧٢) جامع محمد آغا

عدد المخطوطات

٥٦٩	(٧٣) قاضي زاده محمد أندي
١١٣	(٧٤) مسيح باشا
١٥١٨	(٧٥) نافذ باشا
٣٣٥	(٧٦) پرتو نيال
١٠١	(٧٧) صاحبة خانم
١٧	(٧٨) خوجه سيد
١٠٠٨	(٧٩) سراز
٢٥٠	(٨٠) سروبي
٢٨٧٠	(٨١) شهيد علي باشا
١٢٠	(٨٢) شاه زاده
٧٠	(٨٣) والدة سلطان
١١٩٧	(٨٤) بيكي جامع
٣٣٦	(٨٥) ترخان سلطان
١٤٣	(٨٦) زهدي بك
	ح - <u>طوپقپو سراي</u> ^(١) :
٢٠١٨	(٨٧) روان كوشكي
٢٠٢٢	(٨٨) خزينة
٤٦٩	(٨٩) بغداد كوشكي
٥٦٦	(٩٠) مدينة
٣١٦٠	(٩١) أمات

(٩) عنوانها : Topkapi Saray.

عدد المخطوطات

٢٠٧٠	(٩٢) قوغوشلو
٤٧٦٣	(٩٣) احمد الثالث
٢٥٠٩	(٩٤) من خزائن مختلفة
	ط - <u>عاطف افندي</u> ^(١) :
٢٦٨١	(٩٥) الدفتردار عاطف افندي
	ي - <u>فاتح</u> ^(١٢) :
٥١٥٣	(٩٦) فاتح (جامع)
٤٠٣	(٩٧) حافظ كتب ابراهيم
٢٨٩	(٩٨) ترنازهلي محمد
	ك - <u>كوبريلي</u> ^(١٣) :
١٦٠٨	(٩٩) كوبريلي محمد باشا
٣٨١	(١٠٠) فاضل احمد باشا
٥٥٦	(١٠١) محمد عاصم بك
١٠٧	(١٠٢) جامع سلطان أحمد
	ل - <u>مراد ملا</u> ^(١٤) :
١٨٤٥	(١٠٣) مراد ملا
٩٤	(١٠٤) محمد عارف

- (١) عنوانها : Sehzadebasi, Vefa Cad. No 44
 (٢) عنوانها : Fatih Kirmasti Mh. Cami
 (٣) عنوانها : Divanyolu Cad.
 (٤) عنوانها : Fatih, çarsamba. Murat molla Cad. 14

عدد المخطوطات

١٥٠٢	(١٠٥) حميدية
٧٥٦	(١٠٦) لالا اسماعيل افندي
١٠٥	(١٠٧) حافظ مراد
٣٩	(١٠٨) غاليبولي طاهر
٤٩٣	(١٠٩) دار المثوى مراد

م - ملئت ^(١) :

٢١٩٨	(١١٠) فيض الله أفندي
١١٧٨	(١١١) رشيد افندي
٢١٢٩	(١١٢) ولي الدين جار الله
٦٨٧	(١١٣) يرتو باشا
٣٣٧١	(١١٤) علي أميري افندي
٩٤٧	(١١٥) حكيم أوغلي علي باشا

ن - نور عثمانية ^(٢) :

٢٩٤٨	(١١٦) نور عثمانية (محمود وبيرام باشا)
------	---

س - ولي الدين ^(٣) :

٣٣٣١	(١١٧) ولي الدين افندي
٨٤	(١١٨) جودة باشا
٦٦	(١١٩) خالد بك
٢٥	(١٢٠) علي رضا أفندي

* * *

(١) عنوانها : Fatih Macar Kardasler No 85

(٢) عنوانها : Nuruosmaniye Camii avlusu

(٣) عنوانها : Bayazid Camii

المجموع الثاني :

الخزائن الخطية وأماكن وجودها اليوم
(مرتبة على حروف الألفباء)

اسم الخزانة قديماً موقع الخزانة الآن

(١)

فاتح	—	يرهيم حافظ كتب
جامعة استانبول	—	يرهيم حتي باشا
سليم آغا	—	احسان افندي
طوبقبو	—	احمد الثالث
ييازيد (عمومية)	—	ادريس باشا
سليمانية	—	ازميرلي اسماعيل حتي
≈	—	ازميرلي مصطفى افندي
≈	—	اسعد افندي
≈	—	اسعد بك (دكتور)
≈	—	اسماعيل آغا
ييازيد (عمومية)	—	اسماعيل حتي بك
≈	—	اسماعيل في أرطغرل
خسرو باشا	—	اسميخان سلطان
طوبقبو	—	أمات (خزينة)
سليم آغا	—	أمير خوجه كانكش
أياصوفيا	—	أياصوفيا
خسرو باشا	—	أيوب (جامع)
≈	—	أيوب (سلطان)

موقع الخزانة الآن

اسم الخزانة قديماً

(ب)

ملتت	—	پرتو باشا
سليمانية	—	پرتو نيال
بيازيد (عمومية)	—	بزمي عالم سلطان
خسرو باشا	—	بشير آغا
سليمانية	—	بشير آغا
طوبه قيو سراي	—	بغداد كوشكي
نور عثمانية	—	بيرام باشا

(ت)

سليمانية	—	ترخان سلطان
فاتح	—	ترناوه لي (محمد افندي)
بيازيد (عمومية)	—	توفيق باشا
==	—	توفيق بك
راغب باشا	—	توفيق يحيى (مدرسة)

(ث)

بيازيد (عمومية)	—	ثابت بك
-----------------	---	---------

(ج)

سليمانية	—	چلي عبد الله
ولي الدين	—	جودة باشا
سليمانية	—	چورليلي علي باشا

موقع الغزاة الآن

اسم الغزاة قديماً

(ح)

صلبانية	-	حافظ أحمد باشا
ينازيد (عمومية)	-	حافظ داود باشا
صلبانية	-	حالت افندي
ء	-	حسام الدين قره چلي
خسرو باشا	-	حسن حسني باشا
ينازيد (عمومية)	-	حسن فهمي باشا
ء	-	حسين الطرايزوني
صليم آغا	-	حسين كاظم بك
صلبانية	-	حنيد افندي
ينازيد (عمومية)	-	حكيم أوغلي
ملتت	-	حكيم أوغلي علي باشا
مراد ملا	-	حميدية
صليم آغا	-	حيدر

(خ)

ولي الدين	-	خالد بك
جامعة استانبول	-	خالص افندي
خسرو باشا	-	خسرو باشا
ينازيد (عمومية)	-	خليل شريف باشا
مراد ملا	-	خوجه سيّد

(د)

مراد ملا	-	دار المشوي شيخ مراد
----------	---	---------------------

موقع الخزانة الآن	أمم الخزانة قديماً
— سلجانية	داماد ابراهيم باشا
— =	ديوركلي سليم
— =	دوكلي بابا
(ز)	
— بيازيد (عمومية)	ذهني باشا
(ح)	
— راغب باشا	راغب باشا
— سلجانية	رستم باشا
— ملتي	رشيد أفندي
— جامعة استانبول	رضا باشا
— طوبقو منزاي	روان كوشكي
(ز)	
— سلجانية	زهدي بك
(س)	
— سلجانية	سراز
— =	سرديلي
— أباصوفيا	سعد الدين مبتقي
— كوبريلي	سلطان أحمد (جامع)
— سليم آغا	سليم آغا (حاج)
— بيازيد (عمومية)	سليمان توفيق بك

م (٤)

اسم اخزانة قديماً	موقع الخزانة الآن
سليمان سرّي أفندي	— سليمانية
سليمانية	— =
(س)	
شاه زاده	— سليمانية
شبيد علي باشا	— =
شيخ مراد	— مراد ملا
(ص)	
صاحب ملا	— جامعة استانبول
صالحة خاتون	— سليمانية
(ط)	
طاهر افندي (غالبولي)	— مراد ملا
طيفور آغا	— فاتح جامعي
(ع)	
عارف بك	— ييازبد (عمومية)
عارف بك المنزوي	— = =
عاشر افندي (شيخ الاسلام)	— سليمانية
عاطف افندي (الدقردار)	— عاطف افندي
عبد النافع أفندي	— ييازبد (عمومية)
عثمان آغا	— سليمانية
علي اميري افندي	— ملت
علي باشا شبيد	— سليمانية

موقع اخزانة الآن	اسم اخزانة قديماً
------------------	-------------------

بيازيد (عمومية)	علي حيدر أفندي
ولي الدين	علي رضا أفندي
بيازيد (عمومية)	عمر أفندي (رئيس الأطباء)
صلبانية	عموجه حسين باشا

(ف)

فاتح (جامع)	فاتح
كوپربلي	فاضل أحمد باشا
صلبانية	فوزي باشا
ملئت	فيض الله أفندي
مراد ملا	فيض الله أفندي

(ق)

صلبانية	قاضي زاده محمد
بيازيد (عمومية)	قره مصطفى باشا
صلبانية	قليچ علي باشا
طويقومسراي	قوغوشلر
صلبانية	قيوجي مراد باشا

(ك)

صليم آغا	كانكش أمير خوجه
كوپربلي	كوپربلي محمد باشا
صلبانية	گونلش سلطان
صليم آغا	گونلش والدة سلطان

موقع الخزانة الآن

اسم الخزانة قديماً

(ل)

—	مراد ملاً	—	لالا اسماعيل أفندي
—	سليمانية	—	لاله لي
—	بيازيد (عمومية)	—	لطفى بك

(م)

—	بيازيد (عمومية)	—	محمد أشرف بك
—	سليمانية	—	محمد آغا (جامع)
—	بيازيد (عمومية)	—	محمد ترناوه لي
—	طوبقبو سراي	—	محمد خميس
—	بيازيد (عمومية)	—	محمد ذهني بك
—	مراد ملاً	—	محمد عارف أفندي
—	كوپريل	—	محمد عاصم بك
—	سليمانية	—	محمد قاضي زاده
—	مراد ملاً	—	محمد وجيه باشا
—	سليمانية	—	محمد أفندي
—	ء	—	محمد باشا (مدرسة)
—	طوبقبو سراي	—	مدينة
—	مراد ملاً	—	مراد حافظ
—	ء	—	مراد املاً (قاضي مسكر)
—	سليمانية	—	مسيح باشا
—	ء	—	مصطفى أفندي (رئيس الكتاب)
—	راغب باشا	—	مصل (مدرسة)
—	بيازيد (عمومية)	—	معارف (وزارة)

اسم الخزانة قديماً	موقع الخزانة الآن
--------------------	-------------------

مهرشاه سلطان	— خسرو باشا
	(ع)
نافذ باشا	— سلجانية
نامق بك	— ييازيد (شمومية)
نظيف أفندي	— سلجانية
نور بني سلطان	— سليم آغا
نور عثمانية	— نور عثمانية
	(هـ)
هاشم باشا	— سليم آغا
هدائي أفندي	— = =
	(و)
والدة سلطان	— سلجانية
ولي الدين أفندي	— ولي الدين
ولي الدين جار الله	— ملئت
وهي أفندي بغدادلي	— سلجانية
	(ي)
محيي أفندي	— سلجانية
يعقوب آغا	— سليم آغا
بكي جامع	— سلجانية
بكي كتيبخانة	— طوبقوسراي
بكي مدرسة	— راغب باشا
يوسف آغا	— سلجانية
ييلديز	— جامعة. استانبول

الجمهور الثالث :

الفهارس المطبوعة لخزائن استانبول العامة

(مرتبة على حروف الهجاء)

منة الطبع	تاريخ تأسيس الخزانة	اسم الخزانة ^(١)
—	١٢٦٢	١ - اسعد أفندي
١٣١٠	٩٠٩	٢ - أسميخان
١٣٠٠	١١٣٥	٣ - أمير خوجه كاتكش
١٣٠٤	١٢٥٠	٤ - أياصوفيا
١٣١١	—	٥ - أيوب (جامع)
١٣٠٣	١١٥٥	٦ - بشير آغا (باب عالي)
١٣٩٠	—	٧ - بشير آغا (أيوب)
١٣٠٤	—	٨ - يازيد
١٣١١	—	٩ - چلي عبدالله أفندي
١٣٠٣	١١٢٠	١٠ - چورلبي علي باشا
١٣١٢	١٢٤٤	١١ - حات أفندي
١٣١١	١١٤٥	١٢ - حكيم أوغلي علي باشا
١٣٠٠	—	١٣ - جميدية
١٣١٢	—	١٤ - خالد أفندي
—	١٢٥٥	١٥ - خسرو باشا
١٣١٢	—	١٦ - داماد ابراهيم باشا
١٣١١	١١٨٩	١٧ - داماد زاده قاضيصكر مراد

(١) نشرت هذه الفهارس بعنوان تركي وتلميحات تركية كما قلنا ، واكتفينا هنا بذكر اسم الخزانة قديماً كما على النلاف مع ترك الاضافات التركية ، تقريباً لأذهان قراء المرية ، والتواريخ المذكورة هي بالهجري .

سنة الطبع	تاريخ تأسيس الخزانة	اسم الخزانة
١٣١٠	—	١٨ - دوكلبي بابا
١٣١٠	١١٥٥	١٩ - راغب باشا
١٣١١	—	٢٠ - مرويلي
١٣١٠	١١٩٧	٢١ - سليم آغا
١٣١٠	١٢٨٠	٢٢ - سليمانبة
١٣١١	١٢٢١	٢٣ - صليحية
١٣٠٦	١١٥٤	٢٤ - عاشر أفندي
١٣١٠	١١٥٤	٢٥ - عاطف أفندي
١٣١٠	١١٦٨	٢٦ - عموجه حسين باشا
—	—	٢٧ - عمومية
—	١١٥٥	٢٨ - فانه
١٣١٠	—	٢٩ - فيض الله أفندي وشيخ مراد
١٣٠٠	—	٣٠ - قره چلبلي زاده حسام الدين
١٣١٠	—	٣١ - قره مصطفى ومصطفى وحكيم أوغلي وفيوجي
١٣١١	—	٣٢ - قليچ علي باشا
—	—	٣٣ - كوپريلي زاده محمد باشا
١٣١١	١٢١٧	٣٤ - لالهلي
١٣١٠	—	٣٥ - محمد آغا وأسمد أفندي وبني مدرسة
١٣١١	—	٣٦ - محمود باشا ورستم باشا
١٣١٠	١٢١٠	٣٧ - مهرشاه سلطان
—	١٢١١	٣٨ - نور عثمانية
—	١٢١١	٣٩ - والده سلطان
١٣٠٤	١١٧٥	٤٠ - ولي الدين
—	—	٤١ - بكلي جامع
١٣١٠	—	٤٢ - يحيى أفندي

الدكتور سامي الدهان

دمشق :

من كتاب

الأشباه والنظائر للخالديين (*)

[ص ١١٧ : تناحر الشعراء في شعر العوام بن عقبة]

قال العوام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبي نسيب (١) :

(١) وَخُبِّرْتُ لَيْلَى بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرٍ إِلَيْهَا أُعْوِدُهَا
هَذَا الْبَيْتَ تَنَاحَرَ (٢) الشُّعْرَاءُ فِيهِ ٤

(*) تابع لما نشر في الجزء الرابع من المجلد ٢٦ والجزء الأول من المجلد ٢٧ من هذه المجلة .

(١) القائل هو العوام ، انظر المرزباني ٣: ١ واللاي ٣٧٣ : لا ابو العوام كما ورد في البصرية ١٨٤ والمعيني ٤/٤٥٧ ولعل منشا هذا الوم ان عقبة والموام كليهما علما باسراء واحدة على التوالي (انظر شرح الحماسة ٦٢٠) وقد خلط التالي ٤٣/١ وغيره بين آيات من شعر ابن الدمينة وآيات من شعر الحسين بن مطير وآيات مجهولة كما نبه على ذلك البكري في اللآي ١٧٨ - ١٧٩ والنبيه ٣١ وقد روى بعض الآيات لكثير أيضاً كما نبه عليه صائب البصرية ، ولعل في اشارة الخالدين الى « تناحر الشعراء » دليلاً على ان الآيات التالية ليست للعوام وحده ، ومما لا شك فيه ان الآيات ١ - ٤ و ١٦ للعوام [الحماسة ٦٢٠ واللاي ٣٧٤ والمرزباني ٣٠١ وشذ ورود الأولين في د المجنون ٢٧] والآيات ٧ و ١٠ و ١٧ و ١٨ للحسين بن مطير [الحماسة ٤٤٣ و ٥٩٧ والتالي ١/١٦٥ - انظر اللآي ٤٣٥ والطبقات لابن المعتز ص ٤٨ وللرتضى ٢/٩٠ والحصري ٤/١١٧ ومجموعة للماني ١٤٦ والزجاجي ١٢٤] والبيتان ١١ و ١٢ لكثير [غ ٨٦/٧ - ٨٧ و ٣٩/٩ والكامل ٣٨٥ والمقد ٤/١٢١ و د كثر ١/٧١ | اما الآيات ١٣ و ١٤ و ١٤ فقد ثبتت في د ابن الدمينة ٤٣ والبيت ٦ مضافاً الى البيتين ١٣ و ١٤ له عند الخالدين ايضاً فيما بعد ص ١٧٦ .

(٢) ا « سادر » ؛ ب « تناظر » . والتناحر التابع على الطريق وغيره وهو مجاز ، كذا في التاج .

- (٢) فوالله ما أدري اذا أنا جئتُها
 (٣) ألا ليت شعري هل تفسر بمدنا
 (٤) وهل أخلقت أثوابها بمد جديدة
 (٥) خليلي قوما بالعامة واعصبا
 (٦) ولن بلبث الواشون ان يصدعوا العصا
 (٧) لقد كنت جلده أقبل أن تُوقد النوى
 (٨) ولو تركت نار الهوى لتضرممت^(٤)
- (٩) وقد كنت أرجو أن تموت صابتي
 (١٠) فقد جعلت في حبة القلب والحشا
 (١١) وكنت اذا ماجئت ليلي أزورها
 (١٢) من الحفبرات البيض ود جليتها،
 (١٣) خليلي اني اليوم شاك اليك
 (١٤) حزازات شوق في الفؤاد وعبرة
 (١٥) وتحت مجال انسمع حر^(٦) بلابل
 (١٦) نظرت اليها نظرة ما يسرني
 (١٧) اذا جئتيا وسط النساء منجئيا
- أبترتها من دائها أم^(١) أزيدها
 ملاحه عيني أم يجي وجيدها
 ألا حينما خلقتها وجديدها
 على كبيد لم يبق الا عميدها^(٢)
 اذا لم يكن صلبا على البرمي^(٣) نودها
 على كبيدي نارا بطيئا خمودها
 ولكن شوقا كل يوم يزيدها
 اذا قدومت آياتها^(٥) وعهودها
 عياد الهوى تولى بشوق يزيدها
 أرى الأرض تطوى لي وبدنو بعيدها
 اذا ما قضت أحدوثه لو تميدها
 وهل تنفع الشكوى الى من يزيدها
 أظن بأضراف البنان أذودها
 من الشوق لا يدعى لخطب وليدها^(٧)
 بها حمر أنعام البلاد وسودها
 صدودا كأن النفس ليس^(٨) تريدها

(١) م «أو» .

(٢) روي للمجنون - د ٣٩ - :

خليلي قوما بالعصاة فاعصبا

على كبد لم يبق الا رميمها

(٣) ب «الرأي» .

(٤) ب «لتضرمت» ومنه بيان للشراء انظر اللالي ٤٣٥ .

(٥) الرواية «أياها» .

(٦) ا «جر» .

(٧) يقال : هذا امر لا ينادى وليده، يضرب في الخير والشر .

(٨) كذا والرواية «ليست» وفي البصرية «كأن القلب ليس يريدها» .

(١٨) ولي نظرة بمدّ الصدود من الجوى كمنظرة ثكلى قد أصببَ وحيدُها
 (١٩) رفعت^(١) عن الدنيا المني غيرَ وجهها فلا أسأل الدنيا ولا أستزبدُها
 هذه الأبيات من جيد غزل الأعراب ونادره ، وفيها أشياء لها نظائر نحن
 نذكر بعضها ، فمن ذلك قوله : « وقد كنت أرجو أن تموت صبايتي » البيت
 وقوله : « فقد جعلت في حبة القلب والحشا » البيت وهذا المعنى جيد ، يقول :
 كنت أرجو أن تذهب صبايتي اذا تطاولت الأيام ، فلما اشتدت وتطاولت
 زادت صبايتي ، وشبيه بهذا قول الشاعر وهو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر^(٢) :

(١) م. « دفعت » .

(٢) سهو من الخالدين فان البيتين ليسا له بل هما لبعض الأعراب ، انما ضمها
 احمد بن سليمان بن وهب كتاباً كتبه الى ابي احمد عبيد الله بن [عبد الله بن]
 طاهر ، كذا في الموشح ٣٥٣ وجاء فيه ايضاً ان ابا احمد اجابه جواباً يقول فيه :
 اما البيتان اللذان ذكرتهما وحدثت بها علي الرقاء فقد استعصمتها واحتجت الى
 الاستبانت في قوله « ترد علينا بالمشي للراميا » وأي شيء أراد بالرامي ؟
 فان الذي يبرف ان المرامي جمع صرمى والمرى المقذف وهو مصدر رمى رمياً كما ترى ،
 فان كان اراد بالرامي النبل فهو موجود في كلام العرب وله شاهد . وكان قوله
 « شبّ بنو ليلى وشبّ بنو ابنها » يقتضي ان يكون قال شب بنو ابنها منه أو من
 غيره فانه لم يقدم ذكراً للملكة اياها وانها أم ولده ، وان كانوا يتكلمون على علم
 المخاطب ويروى ان البلاغة لغة دالة ، وكان من صمم البيتين مع استعصانتنا جيباً
 اياها وقت على قوله « بقايا حب ليلى » وأراد منه ألا يكون ذكر البقايا
 وان يكون احتال حتى جعل مكافهاً لول الافتتاح وان كان لم يكذب في هذا خاصة
 فرّ بي عند هذا ما لم يقين لي فيه مطمئن وهو قول بعضهم :

وعهدي بتمم أول المهد أنها كذاب فزادتي سباً وتماييا
 فقد شاب منها نسلنا وتناسلوا وعادت بقايا حبّ نهم بواديا
 انتهى قول ابي احمد والبيتان من غير عزو في الراغب ٢٢/٢ وقد ورد للجنون (د ٨) :
 وعهدي بليلى وهي ذات مؤصد ترد علينا بالمشي اللواشيا
 امل المراد بـ « للراميا » هو « اللواشيا » (التي تمن وتذهب بيدياً في السروح)
 لا غير وذلك يوافق حياة البدو تماماً .
 فشاب بنو ليلى وشاب ابن بنتها وحرقة ليلى في النؤاد كما هي

(١) وَعَلَيْتُ لَيْلِي وَهِيَ ذُوَابَةٌ تَرُدُّ عَلَيْنَا بِالْعَثِيّ الْمَرَامِيَا
(٢) فَشَابُ بَنُو لَيْلِي وَشَابُ بَنُو ابْنَيْهَا (١) وَهَذِي بَقَابَا حَبَّ لَيْلِي كَمَا هِيَ
وَقَالَ آخِرُ مَثَلِهِ :

فَشَابُ بَنُو لَيْلِي لِصُلْبِي (٢) وَأَدْرِكُوا وَشَابُ بَنُوهُم (٣) وَفِي مَالِكَةَ قَلْبِي
فَأَمَّا قَوْلُهُ : « وَكَانَتْ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلِي أَرْوَرُهَا » الْبَيْتُ فَقَدْ أَخَذَهُ أَبُو نُوَاسٍ
فَقَالَ (٤) :

قَالَتْ : لَقَدْ أَبْعَدَ (٥) الْمَسْرَى فَنَقَلْتُ لَهَا : مِنْ عَاجِ الشُّوقِ لَمْ يَسْتَبِعِدِ الدَّارَا
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ (٦) :
وَإِذَا أَتَيْتُكَ زَائِرًا مَشْوِقًا فَصِرَ الطَّرِيقُ وَطَالَ عِنْدَ رَجْوِعِي
وَقَالَ اسْمُ بَنِي إِبْرَاهِيمَ الْمُوصَلِيِّ : قَلْتُ لَزَهْرَاءِ الْأَعْرَابِيَّةِ : كَمْ بَيْتَنَا وَبَيْنَ
مَنْزَلِكِ ؟ فَقَالَتْ (٧) :

أَمَّا عَلَى كَسْلَانِ وَإِنِّ فَنَازِحُ وَأَمَّا عَلَى ذِي حَاجَةٍ فَتَقْرِبُ
وَأَمَّا قَوْلُهُ : « مِنْ أَخْفَرَاتِ الْبَيْضِ » الْبَيْتُ فَأَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي مِثْلِهِ ، وَقَدْ

(١) فِي الْمَوْشَحِ « شَبَّ » بِدَلِّ « شَابَ » فِي الْمَوْضِعِ وَاسْتَعْمِنُ « فَشَابُ
بَنُو لَيْلِي وَشَبَّ بَنُو ابْنَيْهَا » .

(٢) قَوْلُهُ « لِصُلْبِي » يَدْفَعُ اعْتِرَاضَ أَبِي أَحْمَدَ عَلَى الْقَوْلِ السَّابِقِ .

(٣) ب وَ م « بَنُوهُم » .

(٤) د ٢٨٣ وَقَالَ الْمُبَاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ :

سَتَقْرَبُ الدَّارَ شَوْقًا وَهِيَ نَازِحَةٌ مِنْ عَاجِ الشُّوقِ لَمْ يَسْتَبِعِدِ الدَّارَا

انظُر د ٧٣ وَالْوَسَاطَةَ ٢٨٣ وَالرَّاعِبَ ١٥/٢ .

(٥) صَحَّحَتْ فِي ب « بَعَدَ » مِنَ الْمَجْرَدِ كَمَا فِي د .

(٦) مِثْلُهُ لِلْمُبَاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :

أَرَى الطَّرِيقَ قَرِيبًا حِينَ اسْلُكَهُ إِلَى الْحَيْبِ بَعِيدًا حِينَ أَنْصَرَفُ

انظُر التَّوْبَرِيَّ ٨٤/٣ .

(٧) الْبَيْتُ لِأَعْرَابِيٍّ فِي الْوَسَاطَةِ ٢٣٨ .

تركنا نظائر كثيرة له [في صدر هذا الكتاب] ^(١) ونحن نذكر هنا شيئاً مما لم نذكره هناك ، فمن ذلك قول الشاعر ^(٢) :

كأنما سَلَ رجمانُ منطقتها لو ان رجع كلامي ^(٣) يشبه العسلا
آخر ^(٤) :

(١) وأنا ليجزي بيننا حين نلتقي حديث له وشي كوشي المطارف
(٢) حديث كوقع القطر في المصهل يشتفي به [من] ^(٥) جوى في داخل القب شاغف
لبنار ^(٦) :

(١) ولها مضحك كفر ^(٧) الأقاخي وحديث كالوشي وشي البرود
(٢) نزلت في السواد من حبة القلب ونالت زيادة المستزيد
ذو الرمة ^(٨) :

ونلنا سقاطاً من حديث كأنه جنى السهل ممزوجاً بماه الوقائع
آخر ^(٩) :

- (١) بدله في ١ « وذكرنا في صدر الكتاب شيئاً منها » .
(٢) للحكم بن ربحان من بني عمرو بن كلاب في البيان ٢٧٩/١ ومن غير عزرو
في العقد ٢٩/٤ .
(٣) هذه هي الرواية وفي ١ يمكن أن تقرأ السكدة « كلام » وهو عندي
ممن لطيف .
(٤) نسباً الى ابن ابراهيم في التشبيهات لابن ابي عون ١١٠ ومما من غير عزرو
في مجموعة للمعاني ١٧٩ وزاد في البصرية ١٤٦ « وتروى لذي الرمة » ونسب
الي بيت الأول الى بنار في العقد ٢٩/٤ وزاد في البصرية ١٤٦ « وتروى
لذي الرمة » ونسب الي بيت الأول الى بنار في العقد ٢٩/٤ .
(٥) سقط من ١ وم وبدله في ب « ذو » .
(٦) ما مع ذلك له في للرتضى ٩٨/١ .
(٧) كذا في للرتضى وفي الأصول « كخفر » وسياتي « كنور » .
(٨) د ٣٥٨ وانظر للرتضى ١٨٧/١ والبيون ٨٣/٤ وابن ابي عون ١١٠ .
(٩) هذا البيت ايضاً لذي الرمة ، انظر د ٢١٢ واللائي ٢٥٥ و ٤٠٨
وللرتضى ١٠/١ و ١٥٩/٢ .

لها بَشَرٌ مثل الحرير ومنطقٌ رقيقٌ الحواشي لا هراء ولا تزُرُّ
وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي^(١) :

وحديثه بمثله فنزل العُصمُ رخيماً يشوب ذلك حلماً
النايفة^(٢) :

(١) لو أنها عرّضت لأشمت راهب عبيد الإله ضرورة متمبّد
(٢) لرتنا ليهجتها وحسن حديثها ونخاله رُشداً وان لم يَرُشد
كثير عزة^(٣) :

(١) وأدنتني حتى إذا ما استببيني^(٤) بقولٍ يُحيلُ العُصمَ سهل الأباصح
(٢) تباعدت عني حين لا لي ملجأ^(٥) وختيت ما خلت بين الجوارح
آخر^(٦) :

(١) ظلننا بيوم عند أمّ محلم نشاوى ولم نشرب طلاء ولا خمرًا

(١) دق ٤/٩٧ .

(٢) المقدم الثمين ص ١١ والحصري ١٦/١ وجاء في الشراء ٧٣ - ٧٤
والوساطة ١٥٣ ان ربيعة بن مقروم اخذ قول النايفة برمتها ما عدا النايفة « متبتل »
بدل « متمبّد » .

(٣) انشد القالي ٢٢٨/٢ الشعر لكثير (١٠٨/١د) وهو له في الحماسة
واللرزباني ٣٥٠ والمختار من بشار ٣٤ وخاص الخاص ٨٤ والمدة ٩٤/٢ والرافع
٣٣/٢ وقال البكري « هذا الشعر لمجنون بني عامر لا لكثير ، ولا أعلم احداً
رواه ولا وقع له في ديوانه » ت القالي ١١٨ ، انظر أيضاً الآلي ٨٥٠
والشعر للمجنون في د ٦٧ و غ ٩٠/٢ والحصري ٢٤٩/٢ والشراء ٣٦٣
والميون ٧٨/٣ و ١٣٩/٤ والمقد ٤/٤ .

(٤) « سيفني » .

(٥) « حيث لالي حيلة » وثبت بالهامش « حين لا لي ملجأ » .

(٦) لسم [« سالم » خطأ] الحاصر في الاشبهي ٢٣/٢ :

ظلننا فبتنا عند أمّ محمد بيوم ولم نشرب
البيت والذي بعده .

(٢) اذا صمت عنا اذنتنا^(١) بصمتها وان نطقت حاجت لا لباننا سكرنا^(٢)
آخر^(٣) :

(١) وتري لها دلاً اذا نطقت تركت بنات^(٤) فؤاده صمرا
(٢) كتساقط الرطب الجني من ال (م) أفتاء لا تثرأ^(*) ولا تزرا
ولأعرابي :

(١) يارب عيش بالشباك وخذ من تمر برني وزبد جعد
(٢) وفتيات صادقات الوعد حديثهن مثل طعم الشهد
أبو حية النيري^(٥) :

(١) حديث^(٦) اذ لم نخش عيننا^(٧) كأنه
(٢) لو انك تشقني به بعد سكرة
وقال الأخطل^(٨) :

وقد تكون بها سلمى تمهتني تساقط الحلي حاجاتي وأسراري
جران العمود^(٩) :

حديثاً لو ان اللحم يولى بعضه غريضا أتى أصحابه وهو منضج

(١) كذا في الأصول « اذنتنا » ويمكن « اذينا » فان في الاشبه « ضجرتنا » .

(٢) « ذكرنا » بدل « سكرنا » .

(٣) هو ابو دهب الجمعي كذا في غ ١١٩/٧ ومجالس ثعلب ٤٧٦/٢ وابن ابي عمير
١٠٩ والسان (صر) وفي للرتضى ١٥٩/٢ « ابو هذيل ؟ » .

(٤) او م « بنان » . ب « يات »

(٥) في غ « بترأ » وهو الكثير .

(٦) ما له في المصري ١٥/١ والمختار من بشار ٣٩ ومهما آيات أخرى

في للرتضى ١٠٤/٢ .

(٦) في المختار من بشار وللرتضى « حديثاً » .

(٧) كذا في ب وفي ا « عيباً » كما في للرتضى .

(٨) د ١١٢ والبيون ٨٢/٤ ومجموعة اللداني ١٨٩ وابن ابي عمير ١٠٩ .

(٩) سيجي الكلام على البيت فيما بعد .

أبو حية النميري^(١) :

إذا هن ساقطن الحديث كأنه سقاط حصي المرجان من كف ناظم
وتبيه بقول الأعرابي^(٢) :

نظرت إليها نظرة ما يسرني ، وإن كنت مكيناً بها ألف درهم^(٣)
وهذا الأعرابي على ضفه ومسكته كانت نظرته الى من يجب أكثر عنده
من ألف درهم .

[ص ٣١ : في ذكر الحديث وحسنه]

أما قول جبران العود في ذكر الحديث وحسنه :

(١) يُنَازِعُنَا لَدَا رَحِيماً كَأَنَّمَا عَوَائِرُ^(٤) مِنْ قَطْرِ حِدَاهِنِ صَيِّفٌ
(٢) رَفِيقُ الْهَوَاشِي لَمْ تَسْمَعْ رَاهِبٌ بِبُطْنَانَ فَوَلَا مِثْلَهُ ظَلٌّ يَرْجِفُ
فهو حسن نادر إلا ان الشعراء في الحديث أكثر وامن جيده ومن حسنه^(٥)
قول القطامي^(٦) :

(١) فَمَنْ يَنْبِذَنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبُنْ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْفُلَّةِ الصَّادِي
(٢) يَفْتُلُنَا بِجَدِيثٍ لَيْسَ بِفَهْمِهِ مَنْ يَثْقِينُ وَلَا مَكُونُهُ بَادِي

- (١) من كلمة له في للرتضى ٩٨/٢ والحصري ١٥/١ وفي ديوان اللطاني
للمسكري ٢٣٨/١ « للبحري ؟ » (في الصناعين ١٥٦ لأن حية) وبمده :
رَمِينَ قَاتِنُونَ الْقُلُوبَ وَلَا تَرَى دَمًا مَأْرًا الْإِجْوَى فِي الْحِيَازِمِ
(٢) كذا والظاهر ان هناك سقطاً لأن الكلام انتقل الى نظائر البيت ١٦ .
(٣) البيت مع آخر في البيان ٦٢/٤ .
(٤) ب و م « عوائير » والعوائر ما تفرق من التطر .
(٥) ب و م « الشعر في الحديث أكثر (كثير) في (ب « ظ فرين »)
جيده وحسنه » .
(٦) دقي ١٣/٢ و ١٤ و اللآلي ١٨ والشعراء ٤٥٣ والختار من بشار ٤١
والحصري ١٤/١ .

ومن ملج هذا المعنى قولُ بشار^(١) :

وحدث كأنه قطع الرِّو (م) ض زهته الصفراء والجرأة^(٢)
ذكر ان حديثها مثل الرياض في ملاحظتها وانه يجمع جيداً وهزلاً .
وقال بشار أيضاً^(٣) :

ولها مضحك كمنور الأفاحي وحدث كلوشي وشي البرود
وله أيضاً :

(١) دعيتني حين شبتُ الى المعاصي محامنُ زائرٍ كالترمِ غصصٍ
(٢) كأنَّ كلامه يوم النقينا رميَّ خدَّه^(٤) في طولي وعرضي
وله أيضاً^(٥) :

(١) حوراء ان نظرت اليك سقتك بالمينين خمرًا
(٢) وكأنَّ رجعت حديثها قطع الرياض كسين زهرا
وقال بعض ولد أسماء بن خارجة الفزاري^(٦) :

(١) وحدث الذئ وهو مما يوثق السامعين^(٧) يوزنُ وزنا
(٢) منطلق صائب وتلعن أحبيانا وأحلى الحديث ما كان آحننا
ذكر انها تحدث بحديث يفهم ثم نخشى [نم من يحضر]^(٨) من الوشاة

- (١) د ١١٩/١ والمختار من بشار ٣٣ والميون ٨١/٤ والحيوان ١٢٢/٣ .
(٢) في م « البيضاء » بدل « الحمراء » .
(٣) للرتضى ٩٨/١ والحصري ١١٧/٢ والرواية « مبسم كثر الأفاحي » .
(٤) في الاصول « رميَّ | ا | دمي [يأخذن] بدل « رميَّ خدَّ » والتصحیح
منا والريميَّ : قطع صفار من السحاب وقيل هي سحابة هظلية القطر شديدة
الوقم ، كذا في اللسان .
(٥) المختار من بشار ٣٣ والحصري ١٧/١ والآلي ٢٧٦ وابن ابى عون ١١١ .
(٦) هو مالك بن اسماء ، الثمران ٤٩٢ ومجالس تطلب ٥٩٩/٢ .
(٧) بدله بهامش ب « ينمت الناعتون » .
(٨) ب « فتعصر » بدل ما بين المقفين والأصل في ا و م « نم »
بدل « نم » .

فتلحن لم بمعنى يعرفه وإشارة بقف^(١) عليها ، لا يعرفها غيرها وغيره^(٢) .
قال الله تعالى : ولنعرفنهم في لحن القول ، أي في معنى القول ، ويقال
هذا لحن بني فلان أي لغة بني فلان .

ومن أجود ما قيل في هذا الحديث قديماً وحديثاً قولُ ابن الرومي^(٣) :

- (١) وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يخن قتل المسلم المتحرز^(٤)
(٢) إن طال لم يُملَلْ وإن هي أوجزت ودَّ المحدث أنها لم توجز

(١) « تمره ... تقف » .

(٢) هذا هو التفسير الصحيح لـ « اللحن » الذي كان موضع اختلاف بين كبار اللغويين . يؤيده ما جاء في المرزباني ٣٦٥ « أراد ما تلحن به إليه أي ما أومأت به وردت عن الإفصاح به كلاً يملح غيرهما » وكذلك ما جاء في المرتضى ١١/١ ان المراد باللحن « الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والمدول عن الإفصاح عنه » - وذهب ابن الاعرابي الى ان اللحن (لحن يلعن) هو الاصابة والفظنة (التالي ٥/١) وعلى ذلك يفسر بيت مالك بن اسماء بـ « منطلق قاصد للصواب وان لم يصب ، وتصيب وتظن أحياناً وخير الحديث ما كان اصابة وفظنة » (التالي ٧/١) - وظن الجاحظ على عكس ذلك ان المراد باللحن هو ما يخالف الصواب (البيان ١٤٧/١) وتبعه على هذا الفلظ ابن قتيبة (الميون ، المقدمة ن) وابن دريد فيما نقله عن ابن قتيبة (الميون ١٦٢/٢) الا ان ذلك خطأ فقد جاء في التالي ٦/١ ان مذهب بن دريد في تفسير البيت هو : انها تعوص في حديثها فتزله عن جهته لكلا يفهم الحاضرون وان خير الحديث ما فهمه صاحبك الذي تحب افهامه وحده وخفي على غيره ، كذلك جاء في الليداني ١٧٤/٢ ان ابن دريد استدرك على الجاحظ « هذه المثة التي لا تقال » - هذا وقد قام ابن الأنباري بالرد على ابن قتيبة في الأضداد (ليدن ، ص ١٥٦ وما بعد) وقد تنبه الجاحظ الى الخطأ بعدما سار الكتاب في الآفاق (الآلي ١٧) . راجع أيضاً بحثاً طريفاً عن مادة لحن للمستشرق يوهان فك في كتابه « المريية » ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، (القاهرة ١٩٥١) ص ٢٣٥ - ٢٤٦ .

(٣) في الحصري ٩/١ ومماني المسكري ٢٤٢/١ وإلختار من بشار ٤١

واللآلي ٢٧٥ ونسبت في حم ابن الشعري ١٩٥ الى البحرني .

م (٥)

(٤) م « للتجوز » .

(٣) شرك القلوب ونزهة^(١) ما مثلنا للمطمئن وعُقلة المتوفز
هذا نهاية ما قيل في هذا الباب ، وقد تناول ابن الرومي قوله «ودَّ المحدث
انها لم توجز» من بعض المتقدمين^(٢) ، وهو قوله :

من الحفريات البيض ودَّ جليهم إذا ما قُضتْ أحدىثة ما ن تميدها^(٣)
ومن مبيع ما قيل في الحديث أيضاً قول بعض الأعراب^(٤) :

(١) وحديثها كالفيت^(٥) يسمعه راعي صنين تتابت^(٦) جدبا
(٢) فأصاخ يرجو أن يكون حياً ويقول من فرح هياربنا
وقال آخر^(٧) :

(١) وأنا ليحري بيننا حين نلتقي حديث كنتبيع المريضين^(٨) مزعج

(١) روى « نزهة » انظر اللالي .

(٢) مضى البيت .

(٣) ب « لو تميدها » كما هي الرواية .

(٤) القالي ٨٤/١ واللاي ٢٧٥ واليان ٢٨٣/١ والميون ٨٢/٤

وابن ابي عون ١١١ .

(٥) بدله بهامش ب « كالفطر » كما هي الرواية .

(٦) ب ر م « تواصلت وروي ايضاً « تتابت » .

(٧) البيتان لأمّ لضحك المحاربية في الوحنيات (نسخة دار الكتب المصرية

رقم ٢٢٩٧ أدب) ص ١٦١ وهكذا روي عن ثعلب في الحصري ٨١/٤ وابن دريد

في القالي ٨٦/٢ ومم البيتين نالك تذكر فيه الضياني الذي كانت نجه . وما

للتماخ في ابن ابي عون ١١٠ والثاني فقط له في مجموعة للماني ١٧٩ وقد ذكره

الخالد بن في موضع آخر منسوباً الى جران المود كما في الميون ٨٢/٤ ويلاحظ

ان جران المود يتأ يشبهه في بعض اللفظ مع التباين في المعنى :

حديثاً لو ان البقل يولى بتله زها البقل واخضر الغضام للمصنف

انظر د ٢١ واليان ٢٨١/١ .

(٨) م « كسبح للمرضين » ب « كسبح للمرضين » وروي ايضاً « كنتسبح

(كنتسبح) كتسبح للمرضين » .

(٣) حديثٌ لو أنَّ اللحمَ يُولَى (١) يبعثه غريظاً أتى أصحابه وهو مُنضَجٌ
 هذا ذكر انه اذا خلى بن يحب يجري بينهما من التشاكي أحرُّ من النار .
 ومثله قول الراجز (٢) :
 تقول لي وهي تحفُّ المودجا قولاً جميلاً حسناً سملتجا
 لو طبخ اللحم به لأنضجها
 والقول في الحديث كثير ، ولو استقصينا جميع ما فيه خرج كتابنا عن الفرض
 الذي قصدنا اليه .

الدكتور السيد محمد يوسف

(القاهرة)

- (١) يولى اي يدنى وفي ا « مولا » ب « قولا » والرواية « بسلى » .
 (٢) انظر ابن ابي عمير ١١٠ واللسان « مصلج » .

سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام

- ٤ -

المفازة :

ومن الطبيعي ألا تشير الروايات الى المراحل بين قراقر وسوى لأن الأرض بينهما مفازة ، لا ماء فيها ولا سكن ، وهي غير مستطرفة . وفي رواية للسمرقندي نقلها ابن عساكر ، اسماء بعض المراحل بين قراقر وسوى . ذكرها موصل في كتابه^(١) . وجاءت هذه الرواية مضطربة ترجمتها كما يلي :

« سار خالد من قراقر الى (سوطه) فجعل المشرق عن يمينه ومصر بـ (أذن) ونزل في (فرقين) . ثم في (الحصد) ، ثم في (العرير) ، ثم في (سوعيل) . قال : ونزل سيف بن عبد الله بن محضّر عن حدثه « . هذا نص رواية عبد الله بن محضّر وهي مرتبكة ، لم نشر على هذه الرواية في أجزاء ابن عساكر المطبوعة . لهذا كتبنا الى الأستاذ شكزي فيصل نرجوه نقل الرواية المذكورة من النسخ الخطية المحفوظة في خزائن القاهرة فتفضل وأرسل لنا الرواية المذكورة أخذاً من نسخة خزانه طوبقوبو في استانبول ، وهذا نصها :

« فأخذ (خالد) من قراقر الى (شرطه) فجعل المشرق عن يمينه واستقبل الصبا فنزل (قربتين) ثم نزل (الحفار) ، ثم نزل (العرير) ثم نزل
سوا سليل .. » .

(١) بادية العرب ، (ص ٥٥٩) .

ولما وصلتنا المجلدة الأولى من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر بتفقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد وجدنا الرواية المذكورة في الصفحة (٤٦٥) كما يلي :

« أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي عن ظفر بن دهي
بثله . وقال فأخذ من قراقر الى سوكة فجعل المشرق عن يمينه واستقبل الصبا
فنزل قربين ثم نزل الحقار ثم نزل العرير ثم نزل سوى بليل . قال : ونا
سيف عن عبد الله بن محضّر بن ثعلبة عن حدثه » .

فالتفرق بين الرواية التي نقلها موصل والرواية الآتفة الذكر كما يلي : أما (شرطه)
او (سوكة) فينبغي أن تكون (سوى) حرفها النسخ خطأ . والمنزل الأول
في رواية موصل (ألتذن) ولم يرد ذكر هذا المنزل في الرواية المذكورة في
المجلدة الأولى . والمنزل الثاني في رواية موصل (فرقين) ، بينما ورد في رواية
المجلدة الأولى (قربتين) . والمنزل الثالث في رواية موصل (حصد) ، بينما ورد
في رواية المجلدة الأولى (الحقار) . والمنزل الرابع في رواية موصل (العرير)
وفي رواية المجلدة الأولى (العرير) . انتقد موصل تلك الرواية وأشار الى أن
فيها تقدماً وتأخيراً ، والأعلام الواردة فيها أما كن مرء بها خالد قبلاً وقال
ان فرقين ينبغي أن تكون محرفة من قرقيسيا والحصد محرفة من الحصيد ،
أما سوعبل وفي رواية المجلدة الأولى (سوى بليل) فهي مزج آخر جملة بأول
جملة ، لأن الخبر أتى كما يلي : ثم سوعبل قال ونزل ، لهذا ينبغي أن يكون
الخبر قال ونزل بسوى ، فتصبح الرواية كما يلي :

« قال عبد الله بن محضّر عن حدثه أخذ خالد من قراقر الى سوى ، فجعل
المشرق عن يمينه وصر بألتذن ونزل في فرقين ، ثم في الحصيد ، قال ونزل بسوى » .
ولعل (فرقين) هي القربتين كما جاء في رواية المجلدة الأولى ، ولعل (الحقار)
تحريف النسخ لكلمة الحصيد . أما العرير فلم تثبت من محلها ولعل النسخ حرّفوها .

وقد ذكرت الروايات ان خالدًا اجتاز المفازة في خمس ليال وذكر اليعقوبي في ثمانية أيام ؛ والقصد من خمس ليال ست مراحل لا كما قال بعض المؤرخين بأنها خمس مراحل . قضى خالد في المفازة خمس ليال ووصل في اليوم السادس الى سوى . أما الثانية أيام التي ذكرها اليعقوبي فسته أيام منها في قطع المفازة واليومان الأخيران بين سوى ومرج راهط ، والمسافة بينها مائة وخمسة وعشرون كيلومتراً أي مرحلتان . وبما أن المسافة بين قراقر وسوى نحو من ثلثائة كيلومتراً فانها تقطع في ستة أيام خفاف .

ذكر الشيخ عبد العزيز العقيلي الذي اجتاز مفازة قراقر وسوى مرات ان المسافر بقطعها في ست مراحل خفاف . المنزل الأول (أذنه) ، ورد اسمها في خريطة موصل (ام اذن) الى شمالي شرقي قراقر على بعد ثلاثين كيلومتراً ولعلها (أل ذن) الذي ورد ذكرها في رواية السمرقندي الآنفه الذكر . وصفها الشيخ عبد العزيز انها حجارة سوداء تؤلف تلاً في سهل ، أي اللحم التي أشار اليها موصل . والمنزل الثاني في أرض دُقرة بين تلي (أبي راسين) و (الأقرن) وبين (كتب الشامة) وهي كئبان رمال وقد جاء اسم (كتب الشامة) هذه في خريطة موصل ؛ والمسافة بينها وبين أم اذن ثلاثون كيلومتراً والأرض الدقرة التي أشار اليها عبد العزيز هي الأرض البركانية ، ذكرها موصل قائلاً : «يجب على المسافر أن يتوجه من قراقر في أول مرحلة الى الشمالي الغربي وبقطع أرضاً يركانية طولها خمسون كيلومتراً لهذا ينبغي أن تكون (كتب الشامة) المنزل الأول . والمنزل الثالث كما ذكره هو (تل الهبر) ووصفه بأنه تل أسود على الحدود الأردنية - السعودية من غربه . وقد جاء اسمه في خريطة موصل والمسافة بينه وبين كتب الشامة خمسة وعشرون كيلومتراً . والمنزل الرابع حسبما ذكره العقيلي قاع (ابو الحصين) في غربه الحرّة وفي شرقيه (وديان الرويشدات) . سجل موصل في خريطة على غربي الطريق شعيب

(رؤَيْشِد ابوحفنة) وهو على بعد خمسة وسبعين كيلومتراً وفي جوارها مقور مياه تسمى (الطويمات) تكون في أرض بيضاء . والطويمات هذه واقعة الى جنوبي (شعيب حفنة) على عشرين كيلومتراً . والمنزل الخامس (الحدالي) وهي عبارة عن قارتين صحراويتين ويرى جبل الغراب في الغرب من بعيد ، وجاء اسمه في خريطة موصل (غراب الحدالي) وهو جبل أسود الى غربي الطريق بعد عطفته الى الشمال الغربي . أما المنزل السادس فهو سبع أيار . وطولها من الحدالي سبعون كيلومتراً . وفي خريطة موصل محل على الطريق في المكان الذي ينعطف فيه الطريق الى الشمال الشرقي نحو سبع أيار يسمى (الجويف) ومنه يتشعب طريق الى (خان عتیب) الواقع على طريق (تدمر - دمشق) .

متى سافر خالد من العراق ؟

ثبتنا الطريق التي سار فيها خالد برفاله ، نعود فنبحث عن الوقت الذي

سافر فيه :

ذكرنا فيما سلف أن خالداً تسلّم أمر أبي بكر في أواخر الحرم سنة ثلاث عشرة وأشرنا الى أن أوثق الروايات تؤكد بأنه أغار على الفسانيين في مرج راهط في عيد فصحهم أي في ٢٤ - نيسان - سنة ٦٢٤ . ولا بد أن خالداً قضى بضمة أيام في انتقاء رجاله وارساله النساء والضمفاء الى المدينة والاستعداد للسفر ، لهذا يصادف مغادرته للخيرة في أوائل شهر صفر أي في منتصف شهر آذار . فقد روى المدائني انه غادر العراق في ربيع الثاني سنة ثلاث عشرة ، ويصادف يوم ٢٤ - نيسان - ٦٢٤ = ١٩ شهر ربيع الأول سنة ١٣ . وهذا التاريخ ثبت اذن مامعنى ربيع الثاني الذي ذكره المدائني وأيده البلاذري ؟ لأن تاريخ وقوع معركة أجنادين الذي أيده أكثر ثقة الرواة والاختباريين بعارض التاريخ الذي ذكره المدائني . وقعت معركة أجنادين في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ .

والطريق الذي سلكه خالد لا يمكن أن يقطعه في أقل من خمسة وعشرين يوماً .
وقد قضى عدة أيام للوصول الى بصرى بعد ضربة الفسائين في صرح راهط
وفتحه مدينة بصرى ، ثم توجه الى الجنوب للانضمام الى جند عمرو بن العاص .
والمسافة من بصرى الى الفجر الذي قيل ان عمرو بن العاص كان يربط فيه
لا تقل عن ثلثائة وخمسين كيلومتراً ، ومن الفجر الى أجنادين نحو من مائة كيلومتر .
ولا شك أنه صادف في طريقه عقبات أخرته عن المسير ، والمعقول أن لا يتم
كل ذلك في شهر واحد . . ومن أجل ذلك ليس لنا إلا أن نؤيد ما أورده
موسل من أن الربيع الآخر الذي أشار اليه المدائني هو موسم الربيع لا الشهر
القمرى . وذكر موسل ان كبتاني أخطأ حين اعتبر تاريخ المدائني أساساً للبحث ،
وبذهب موسل الى أن موسم الربيع عند البدو يقسم الى شطرين ، والمدائني أراد
بريجه الثاني أن يشير الى الشطر الثاني من موسم الربيع ، أي أن سفر خالد
من الحيرة حتى وصوله صرح راهط وقع على ما يظهر في الشطر الأول وقسم من
الشطر الثاني لموسم الربيع . وما يرح البدو يسمون الخريف بصفر الأصفار .
وذكر موسل أنه يمتد ثلاثة أشهر أي ايلول وتشرين الأول وتشرين الثاني .
ولعل شهر صفر الذي ذكره سيف بن عمر في رواياته عن فتوح خالد في العراق
هو صفر الأصفار لأنه حشد في شهر صفر هذا كثيراً من الحوادث التي لا يمكن
أن تجرى في شهر واحد .

اذن فلنا أن نعتبر سفر خالد من الشام قد جرى في النصف الأخير من شهر
آذار سنة ٦٢٤ وانه قضى في الطريق أكثر من شهر ، لأنه لم يجهد خيله
ورجاله في الطريق صيانة لم واستعداداً للقتال في الشام ، فرتب مسيره بأن قطع
في اليوم خمسين كيلومتراً ، وقضى عشرين يوماً بين الحيرة ودومة الجندل
وخمسة أيام بين دومة الجندل وقرقر ، وستة أيام بين قرقر وسوى ، ويومين
بين سوى ومرج راهط ، يضاف الى ذلك يوم أو يومان قضاهما في سوى

وأطرافه ، وبذلك يكون قد قضى نحواً من خمسة وثلاثين يوماً في سفره ، ترك الحيرة حوالي ٢٠ آذار ووصل مرج راهط في ٢٤ نيسان .

خالد في سوى :

لم يعثر خالد على الماء في سوى بسهولة . والروايات جميعها تشير الى أن موقف خالد في سوى كان حرجاً . لقد نفذ الماء بنجر الجزور ، وليس هناك ما يدل على أن الماء موجود في سوى . وما زاد في حرجة الموقف رمد الدليل رافع الطائي وهو على ما ذكرته الرواية كان ورد ماء سوى قبل ثلاثين سنة وهو غلام وبعد أن ضرب الناس يميناً ويسرة عملاً بإشارة رافع عثروا على جذع الموسجة . فاحتفروا الأرض بجوارها ووجدوا الماء وارتووا . قال موصل : « ان آبار سبع أيار (وهي سوى) في متهى شعيب ضحل . تحتفظ بالماء ثلاث أو أربع سنوات عقبى أمطار غزيرة في الشتاء ، وأرباب الرحلات لا يعتمدون عليها الا فيما ندر ، ولا يثرون بها الا قليلاً ويتركونها ، وتكاد الرمال تطمرها » (١) . ثم أضاف قائلاً ان رافعا من قبيلة طي وبلاد طي واقعة الى جنوبي سوى على مئات من الكيلومترات ولعلمهم كانوا وما يزالون يطلبون سوى في غزواتهم ، لذلك ان خبر جذع الموسجة خبر صحيح . ومن الروايات ما أشارت الى ان خالداً باغت جمعا من بهراء في سوى ، كانوا يشربون ومقنيهم بنشد الأبيات التالية :

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر لعل مناياتنا قريب ولا ندري

فقتلهم وسبي . وفي روايات أخرى أن الحادث المذكور وقع في المصبخ قبل سفر خالد من العراق . وفي رواية الهيثم بن عدي أن الحادثة وقعت في البشر . ومن الروايات ما تجعل الوقعة في مصبخ بهراء في أطراف سوى . والبيت يدل على ان الحادثة وقعت في المصبخ شمالي عين التمر ، قبل سفر خالد لأن المقني

(١) البادية المرية: (ص ٥٥٨) .

كان يجهل قدوم جيش خالد من قراقر ، وقد احتاط خالد في اجتيازه المفازة لياغت الشام ؛ فضلاً عن أنه يصب تصديق رواية وجود جمع بهراء في سوى . وقد اتضح أن المسلمين حفرُوا الأرض واستخرجوا الماء منها . ولا يستبعد ان خالداً بعد وصوله الى سوى وأثناء اقامته فيها أرسل رجالاً من أصحابه ليقيموا على الأطراف ويحصلوا على الطعام . فأغار هؤلاء على جمع من بهراء في أطراف سوى . واذا كان خالد عازماً على مباغته الروم في دخوله ارض الشام وجب عليه ألا يطيل المقام في سوى ولا يضع وقته في شن الغارات ، كما أشارت اليه بعض الروايات ، لأن في ذلك مضية للوقت ، واطلاع العدو على محله . لهذا من المحتمل جداً أنه قضى مدة قصيرة في سوى للراحة ، ولم يكشف عن محله ، فتوجه الى الشام من الطريق الأقصر وهو الذي يمر بضمير وينتهي بعذراء . ولا سبيل له أن ينفذ الى الشام من محل آخر . وسبب ذلك ان سلسلة رواق تسد الطريق من الشمال وحررة تلول الاعطيات من الجنوب وبحيرة عتبة وبحيرة الهيجانة من الغرب والأرض بين البحيرتين المذكورتين في الربيع كثيرة المستنقعات يصب اجتيازها . ويبدو من ذلك أنه ليس لخالد الا أن يتوجه من سوى رأساً الى عذراء وياغت من فيها والمسافة بينها مائة وعشرون كيلومتراً ، أي مرحلتان . ويظهر من الروايات أن المياه كانت متوفرة في الطريق المذكور . وقد ذكر ابن اسحق في روايته أن الطريق استقامت بخالد بمد سوى وتواصلت المياه حتى مرج راهط .

وجاء في رواية لسيف بن عمر ما يلي :

« ولما بلغ غسان خروج خالد على سوى وانتسافها وغارته على مصيغ بهراء وانتسافها ، فاجتمعوا بمرج راهط . وبلغ ذلك خالداً وقد خلف ثغور الروم وجنودها مما يلي العراق فصار بينهم وبين اليرموك صمد اليهم . فخرج من سوى بعدما رجع اليها بسبي بهراء قتل الرمانتين علمين على الطريق ، ثم نزل بالكعب حتى صار

الى دمشق ، ثم مرج الصفر ، فلقني عليه غسان وعليهم الحارث بن الأبيهم ،
فانتسف عسكرهم وعيالاتهم ونزل بالمرج أياماً ، ثم خرج منه حتى ينزل بقناة بصرى ،
فكانت أول مدينة افتتحت بالشام على يدي خالد فبين معه من جنود المراق .
وخرج منها فوافى المسلمين بالواقوسة فنزلهم بها في تسعة آلاف .^(١)
ورواية سيف هذه هي الرواية الوحيدة التي تشرح قصة سير خالد من سوى
الى مرج راهط ، وتشير الى ان الفسانيين استخبروا وصول خالد الى سوى .
أما ما جاء فيها من اغارة خالد على مصيخ بهراء - والصحيح (المصيخ) - فخبير
يشير الى اغارة خالد على بني تغلب في المصيخ حينما قدم اليها من عين التمر وذلك
قبل سيره الى الفراض ، أي قبل استلامه كتاب ابي بكر . والمصيخ هذا
كما بينا يقع الى جنوبي وادي حوران وقد ثبته موصل في عين الأرنب . لهذا
لا يعقل أن خالداً بعد وصوله الى سوى وقد وصل حدود الشام يشرق ويمتاز
البادية مرة أخرى وبذهب الى المصيخ للاغارة على أهله . والمسافة بين سوى
والمصيخ نحو من أربعائة وخمسين كيلومتراً والماء مفقود في الطريق وقد يقضي
في الذهاب والاياب أكثر من عشرة أيام . الا اذا كان هناك مصيخ آخر
في جوار سوى ، يرجع لبهراء . وقد يكون المصيخ وصفاً لبعض أشكال
الأرض كالكتيب والقلت والثني أو الثنية وغير ذلك .^(٢)
وقد أشرنا قبلاً أن مبدأ المياغنة يتطلب من خالد ألا يقدم على حركات
عسكرية بعد وصوله سوى ، وليس من شك في أنه قضى بعض الوقت للإستراحة
بعد السفر الشاق في المفازة ولا يستبعد أن بعض رجاله قاموا بفزوات قصيرة
المدى في الأطراف لاغتنام بعض المواشي ، لأن الموسم في أطراف الشام
موسم المرعى .

(١) الطبري ، الجزء الثاني ص (٦٠٤) .

(٢) وجاء في القاموس (الصخ) الضرب بالحديد على الحديد . وصوت الحجر
اذا قرع وقد يكون المصيخ الأرض الحجرية التي تفرع .

ليس في الروايات ما يشير الى أعمال خالد بين سوى وصرح راهط . ورواية سيف على طولها لم تشر الى عمل له سوى نزوله بالرماتين والكثيب . والرماتان اشارة الى تلين منفردين ، ارتفعا في ارض سهلة وأصبجا علماً لمكان وقد ذكرهما الشيخ عبد العزيز العقيلي . والكثب والكثيب تل من الرمل . ولعل خالداً كان يعلم أن الطريق بين تدمر ودمشق غاصة بالحصون ومعاقل الروم ؛ لهذا لم يخاطر في مهاجمتها ، ولعله سعى كثيراً لأن يسلك طريقاً بعيدة عنها ليخفي حركته وبالحقيقة ان المنفذ الشمالي لبلاد الشام يسهل كثيراً صده بوجه القوات القادمة من البادية ، وهو محصور بين سلسلة الرواق والحرة الواقعة الى شرقي دمشق وبحيرتي العتبية والهيجانة وما يتخللها من المناقع ومن أجل هذا يذهب الظن الى أن خالداً ، في زحفه من سوى الى صرح راهط اتخذ كل الحيلة لاختفاء مسيره محاولاً مباغنة الفسانيين ؛ واذا صحت رواية سيف فانه علم باجتماع الفسانيين في صرح راهط ، لأنه كان قد اعتزم الوصول الى المسلمين من دون ان يجسه الروم عن نجدتهم .

وفي الخريطة التي أرفقها (بواديرارد) بكتابه (المواقع الرومانية في بادية الشام) حصون ومعاقل على طريق (تدمر - دمشق) من صبع ايار الى ضمير وذكر المؤلف^(١) أنه أقيم خط أممي ليستر طريق اخانات (الطريق الشمالي التي تمر بسفح سلسلة الرواق بين دمشق وتدمر) جنوبي جبل الرواق على ثلاثين كيلومتراً ، ليسد الجادة الممتدة من الحماة بالاتجاه الشمالي الغربي . ويتألف هذا الخط الأممي من الطريق المستحكمة لجادة ديوقلتيان في فاطمية جبل سانس - صبع ايار - تدمر . وفي هذا الخط حصن (تل التساعي) الواقع الى جنوبي غربي صبع ايار على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً . ويمكن الوصول الى صبع ايار مباشرة من ضمير وخان الشامات من دون المرور بسانس . ويتبين مما كتبه المؤلف

(١) المواقع الرومانية في بادية الشام (ص ٤٢) .

أن جبل سبّس يقع على الطريق الروماني الأقصر بين بصرى وتدمر وقد استعمله أرباب الرحلات من التجار يوم كانت بصرى وتدمر مدينتين تجاريتين خطيرتين . وفي تقطة جبل سبّس بئر وحصن لحراسة البئر . وبين هذا الموقع وموقع سبع أيار مواقع أخرى فيها قل صناعي وبرج روماني وبركة من العهد الروماني واسم الموقع تل (سَدْسِيه) ، ويمر الطريق بعدها بتل التساعي الى سبع أيار ومنه الى حصن العليانية وحصن الملكية ، ثم يضرب شمالاً الى تدمر . أما الطريق الأقصر من سبع أيار الى ضمير فيمر بسفح جبل رواق الجنوبي وفيه أيضاً معاقل وحصون كحصن سببجل وحصن خان الشامات وحصن ضمير . وفي أطراف ضمير أقيم سور لحماية أرض المرعى . لقد درس المؤلف هذه المواقع وثبت صورها ورسومها في ملحق كتابه وأثبتها في خريطة المواقع الرومانية في بادية الشام .

ذكر موصل في كتابه «البادية العربية» أن في شرقي مرج راهط (في جوار عذراء) معسكر الرومانيين المستحکم ، الواسع (ضمير العتيقة) . لم تشر الروايات العربية اليها ولعلها كانت وقتئذ خالية أو لعل حاميتها انضمت الى جيش الروم للدفاع عن الباب الاول في بصرى أو فلسطين . وهذا محتمل جداً لأن الفرس كانوا دُحروا في حرب صرقل . فلم يبق من خطر يهدد بلاد الشام بالهجوم عليها من الشمال الشرقي ، ويلاحظ من جهة أخرى فقدان جنود الروم في الباب الثاني ، وفي مرج راهط اجتمع مرتزقة الفسانيين فقط .

ويترأى لنا أن خالداً في زحفه من سوى الى مرج راهط تعمد بالآ يظهر أمام ضمير العتيقة وصار بعيداً عنها . ويتضح من كل ما ذكرناه انه لا بد لخالد أن يسير بعيداً عن المواقع الرومانية المذكورة خشية الاصطدام بها . واذا بلغ خالد خبر اجتماع الفسانيين في مرج راهط قبل مسيره من سوى أو في طريقه اليها كان يقتضي أن يتغلب عليهم ليستطيع التفرود الى الشام لأنه

لا يوجد أمامه طريق آخر دون لقائهم . ذكر باقوت مرج راهط وقال انه موضع في الفوطة من دمشق في شرقيه بعد مرج عذراء اذا كنت في القصير طالباً لثنية العقاب تلقاء حمص فهو عن يمينك وقال عن مرجه هو أشهر المروج في الشعر . أما عذراء فوقها ثابت في الخريطة وهي واقعة على طريق دمشق - ضمير - شمالي شرقي دمشق على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً ، غربي مفترق الطريق الممتد الى ضمير و خان ابي الشامات وطريق نيك - حمص .

ويبدو مما كتبه ابن عساكر ان مرج راهط هو مرج عذراء ، ويتبين مما كتبه باقوت انه في شرقي عذراء . والمسافر من دمشق الى بغداد بالسيارات يرى هذا المروج الواضح على يمينه بعد عذراء . وكانت المروج والمراعي في شرقي دمشق خاصة بالفسانة وفيها منازلهم وقراهم .

ولعل الروم حين حشد الجيوش لمقاتلة المسلمين في فلسطين لم يهتموا كثيراً بالناحية الشمالية والناحية الشرقية لدمشق . لأن الطريق التي تربط العراق بالشام والتي تمر بوادي الفرات وتجتاز بادية تدمر تلتقي في وجهها معاقل وحصوناً ومرابط كما قلنا . لهذا لم يتوقعوا هجوماً من هذه الناحية . واذا صارت قوات المسلمين عليها تصل أخبارهم الى حكام الروم في الشام فيتخذوا الحيلة لسد الطريق بوجه المسلمين . أما طريق البادية من الشرق فلا يمكن أن تسلكها قوة ذات شأن . ويتبين من رواية سيف بن عمر أن خالداً أغار على الفسانيين في مرج الصفر بينما الروايات الأخرى جميعها تشير الى قتال خالد للفسانيين في مرج راهط . أما موقع مرج الصفر فلم تثبت منه بالضبط ، ذكره باقوت وقال انه بين دمشق والجولان صحراء كبير . وبلوح لنا انه واقع الى جنوبي دمشق الى الغرب أو الى الشرق منها . لقد انتصر فيه العرب على الروم بعد معركة أجنادين في سيرهم نحو دمشق وهو بلا شك مرعى للفسانيين ، وعلى ما يظهر انه مرعى كبير . ويبدو أن الفسانة كانوا نازلين فيه مع عيالاتهم للرعي به

ولعل بعضهم كان في مرج راهط يرعى ماشيته ويراقب طريق الصحراء . فلما بلغهم خروج خالد الى سوى أخبروا الروم بذلك وطلب هؤلاء اليهم أن يمنعوا القادمين من الدخول الى أرض الشام . فأصرع من كان في مرج الصفر الى مرج راهط واجتمعوا فيه لحماية مواشيهم وصد المسلمين . يستنتج ذلك من انسحابهم الى مرج الصفر بعد هزيمتهم في مرج راهط .

وبعد فليس في الأخبار ما يشير الى وقت اغارة خالد على الفسائيين والى صورتها . وبما ان أسلوب خالد في أكثر حروبه المباغتة ، يترأى لنا أنه باغت الفسائيين في صراخهم وقت الصبح والاشارة الى ثنية العقاب في رواية الواقدي وروايات أخرى تخالف ما ذكرنا . ويؤخذ من رواية الواقدي أن خالداً وصل الى ثنية العقاب بعد اغارته على بني غسان . وهذا لا يتأتى لأن غوطة دمشق تبدأ بعد عذراء وليس فيها ثنية ، والثنية في اللغة طريق العقبة . والثنية التي صار اليها خالد وركز فيها رابته ينبغي أن تكون في نهاية الجبل الذي يمتد من الشرق الى الغرب في شمال ضمير ويطل منتهى الجبل المذكور على مرج عذراء وغوطة دمشق . وتمز بقربه الطريق بين دمشق وحمص ، بعد أن ينسلق الجبل ويتضح مما أورده ابن الأثير ان خالداً وصل ثنية العقاب بعد مصالحته لبني مشجعة في قاصم ، ثم صار الى مرج راهط . ويستدل من ذلك انه بطريقه من حوارين الى دمشق مر بقاصم . والطريق من النبك الى دمشق تمر بأراض جبلية وقبل أن تصل الى السهل الذي فيه مرج راهط تنسلق الجبل وتهبط منه الى السهل ، والثنية هذه في هذا الجبل كما بينا . واذا كان خالد قد قدم من سوى الى مرج راهط لمباغتة الفسائيين لماذا بمرج الى الجبال ويرفع رابته فوق الثنية ويكشف عن محله ؟ هل علم أنه لا يقدر على مباغتة الفسائيين اذا قدم من البادية ، لأن عيون عدوه كانت تترقبه ، لهذا عرج بعد ضمير الى الجبل وأغار على الفسائيين من الشمال بعد أن أخفى حركته في الأرض المتموجة ؟ أم أن حادثة الثنية وقعت بعد فتح دمشق ؟

ويظهر من رواية سيف أن خالدًا أغار على الفسانيين في مرج الصفر وكان عليهم الحارث بن الأبيهم ولم يشر سيف في روايته الى قتال وقع في مرج راهط على حين أجمع الرواة على وقوع هذا القتال . ويتضح من هذا أن راويه احتفظ بذكريات قتال مرج الصفر الرئيسي وأهمل قتال مرج راهط الثانوي . واذا كانت عيالات الفسانيين وماشيئهم في مرج الصفر ، كان ينبغي لم بعد هزيمتهم في مرج راهط أن يسرعوا الى مرج الصفر للدفاع عن عيالاتهم وماشيئهم . وفي هذه الحالة لا بد ان خالدًا لم يهلبهم ، بل طاردهم الى مرج الصفر - والمسافة بينهما على ما يبدو قصيرة - فهزموهم شر هزيمة ثم توجه الى بصرى . ليس في الروايات ما يشير الى عمل قام به خالد في طريقه الى بصرى . ويبدو من ذلك أنه بعد أن ظهر في أطراف عاد فأضاع أثره وظهر من جديد أمام بصرى . أما الأخبار التي تروي اغارة خالد على قرى الفوطة ونزوله على أحد ابواب دمشق واعطائه عهداً لأشقائها وغير ذلك فيصعب تصديقها . ومع هذا فان المدينة دمشق من شهرة ومكانة قد بعثت أطباع خالد لجذبه الى المدينة . لهذا جاز لنا أن نزع ان رجاله أغاروا في طريقهم على بعض قرى الفوطة وان خالدًا مرّ بباب دمشق مر الخاطف .

الخلاصة:

والذي يتلخص من بحثنا هذا ان خالدًا بعد استلامه أمر ابي بكر بالشخص الى الشام ، قرّر المسير اليها بطريق دومة الجندل ، فترك الحيرة بعد منتصف شهر آذار سنة ٦٢٤ فبلغ دومة الجندل وبدلاً من أن يسير على طريق وادي السر تقدم من الشمال محاذياً للوادي حتى وصل قراقر ومنها اعتزم اجتياز المفازة بين قراقر وسوى ، ثم تقدم رأساً الى مرج راهط فهزم الفسانيين في عيد فصحهم في ٢٤ نيسان سنة ٦٢٤ ثم تقدم مسرعاً الى بصرى .

وبهذه المناسبة ننشر فيما يلي ما كتبه الجنرال جلوب قائد الجيش العربي في الأردن في كتابه « قصة الكتيبة العربية » :

« وبينما كانت الجيوش العربية تقاتل الروم في السهول الفارسية (العراق) كان خالد بن الوليد يفزه مسالح الامبراطورية الفارسية . ولما ورد اليه أمر الخليفة يلح عليه بالكف عن حرب فارس ويطلب اليه الاسراع لتجدة جيش المسلمين امام دمشق ، وكان خالد قد فتح مدينتين من مدن العراق . وكان خالد على بعد خمسمائة ميل عن زملائه في الشام ، تفرقهم بادية الشام التي لم يقطعها جيش في الحرب قبلاً ، ما عدا مرة واحدة (يقصد بها حركة الكتيبة العربية من شرقي الأردن الى العراق في حوادث سنة ١٩٤١) ترك خالد العراق حالاً وسار عبر الصحراء الى واحة دومة الجندل (تدعى الآن الجوف) ومنها فتح وادي سرحان بوجهه الطريق الى الشام ، والوادي بطن طويل حافل بالآبار طالما قطعتة القوافل . وكانت الحصون الرومية تسيطر على منتهاه الشمالي . وبعد ان استقى خالد الماء من قراقر دلف الى الشرق وتوغل في البادية بعيداً عن أنظار حاميات الروم في الشام . وبينما كان جيش الروم يقاتل العرب في السهول الواقعة الى جنوبي دمشق ظهر خالد من البادية بغتة وراء ظهرهم . وكانت هذه الحركة السريعة فوق طاقة جنود الروم المجهزين بالسلاح الثقيل . لهذا بعث الروم مناصريهم العرب ، الأمراء الفسائين لطرده خالد من خطوط مواصلاتهم ، ولكن بني غسان منوا بهزيمة منكرة شرقي دمشق على بعد خمسين ميلاً .

دلف خالد البادية وأضاع أثره للمرة الثانية وبعد أن التف وراء جبل الدروز ، انضم الى جيش المسلمين في السهول الممتدة جنوبي دمشق^(١) .

بغداد : طه الهاشمي

(١) The Story of Arab Legion (ص ٢٥) وما بعدها . م (٦)

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

- ٥ -

٧ - ابن سراقه :

ويأتي ابن سراقه (٤١٠) فيؤلف كتاباً في الإعجاز ليس له أثر الآن وإنما ذكره حاجي خليفة صاحب كشف الظنون بين كتب الإعجاز وقال إنه في الإعجاز من حيث الأعداد ذكر فيه من واحد الى ألف ولا ندري ما يقصد بهذه العبارة المقتضبة « من حيث الأعداد من واحد الى ألف » وقد تساءل الرافعي أيضاً عن المقصود منها وحرار في تحليلها .

وذكر السيوطي رأي ابن سراقه في الإعجاز فقال (الاتقان للسيوطي ص ١٩٨) :
وقال ابن سراقه : « اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا في وجوه اعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره » ثم بعد ذلك أقوال الناس المختلفة في الإعجاز وأكثرها يتعلق بالبلاغة والفصاحة والنظم بصورة عامة ومعاني القرآن والغيب .

ونحن نرى من عبارة ابن سراقه : « فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب » أو نستطيع أن نستنتج أنه كان يرى أن القرآن معجز بكل ما فيه فكل وجهات النظر والنواحي المختلفة التي قبلت في إعجازه صحيحة وهو لا يهتص الآراء المختلفة فيأخذ ببعضها وبنأى عن بعض وفيها المتناقض كالتقول بالصرفة والقول بالإعجاز اليباني فكما عنده حكمة وصواب أو - كما يقولون - « خير وبركة » .

- ٢٤٢ -

٨ - ابن حزم الأندلسي :

ويتكلم ابن حزم الأندلسي المتكلم في كتابه «الفصل في الملل والنحل» عن الإعجاز فيذكر أقوالاً عدة من مسائله ويرد عليها ثم يذكر رأيه فيها وفي وجه الإعجاز ويتلخص ما أورده في أمور :

١ - ذكر رأي الأشعري في أن المعجز هو القديم الذي لم يزل مع الله تعالى ورد رأيه لأن الإعجاز يبطل حينئذ فلا يمكن تحدي الناس بشيء لم يروه ويرجح قول الجمهور في أن المعجز هو الذي بأيدينا .

٢ - يتعرض لزمان الإعجاز هل يقف عند حياة الرسول ، كما يقول بعض أهل الكلام الذين يرون أنه لو عورض في زمنهم لما بطلت المعجزة لأنها إنما قامت الحجة بها زمن النبي بعجز العرب عن معارضته ، أو إنه باق إلى يوم القيامة كما يقول جمهور أهل الإسلام ويفهم من كلامه أنه يرجح رأي الجمهور .

٣ - يذكر المعجز من القرآن فيقول إن قومًا يرون أن المعجز منه نظمه وقومًا يرون أنه إخباره بالغيوب وإن سائر أهل الإسلام قالوا كلا الأمرين معجز نظمه وإخباره بالغيوب .

٤ - يذكر قولين في وجوه إعجازه وهما القول بأنه في أعلى مراتب البلاغة والقول بالصرفة وهو يرفض الرأي الأول لأنه لو كان في أعلى درجات البلاغة لكان لا حجة فيه لأن هذا يكون في كل من كان في أعلى طبقة وأما آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود ، وبأن الله لا يُسأل عما يفعل ولا يُقال له لِمَ عَجَزْتَ بهذا النظم دون غيره ، ولأنه يلزم من ذلك أن ينزل الله القرآن في جميع اللغات ليكون معجزاً للأعجم إعجازه للعرب لأن المعجم لا يعرفون إعجاز القرآن إلا بأخبار العرب ويبدو من خلال تناوله الموضوع أنه يؤيد الثاني إلى جانب قوله بأن القرآن معجز لأنه قرآن فهو ينقد من يستشهدون ببعض الآيات دون

بعض على إعجاز القرآن كآية « ولكم في القصص حياة » فيقول إنهم لا حجة لهم فيها لأنها إما أن تكون وحدها معجزة ويكون باقي القرآن غير معجز وإما أن يكون كله معجزاً فيكون الاستشهاد بها دون سواها موهماً بأنه ليس كله معجزاً ثم ينسأل عن الإعجاز في مثل هذه الآية : « وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأصباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وصليمان وأتينا داود زبوراً » كيف يظهر وكيف يبرهن عليه وهل احتوى شروط هؤلاء الجماعة في أن يكون الكلام في أعلى درجات البلاغة ثم يقول لو أن كل كلام جاء في أعلى درجات البلاغة معجز لكان كلام الحسن وسهل بن هارون و . . . و . . . معجزاً ولا يصح هذا لأنه يجوز أن يؤتى بما يائله وشرط الإعجاز عدم إمكان المائلة ولأنه لو كان إعجازه كما يقولون لما اشترطوا أن يكون المعجز ثلاث آيات فأكثر ولكانت الآية أو جزء منها كافية في الإعجاز .

وهو يعتقد بأن القرآن في أعلى درجات البلاغة من حيث أن الله قد بلغ به ما أراد فهو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء أبلغ منها وليس هو في أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين لأنه ليس من نوع كلامهم لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من متوسطه ويرى القرآن معجزاً لأنه كلام الله تعالى والبرهان على ذلك أنه استعمل الحروف المقطعة في أوائل السور فلم ينل ذلك من بلاغته ولو استعمل رجل ذلك لميب عليه لأنه خارج عن البلاغة المعبودة ويعقب على ذلك بما يفهم منه أنه يقول بالصرفة فيقول : « فصحّ أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلاً وأن الله تعالى منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز وصلبه جميع كلام الخلق ثم يذكر أن القرآن حكى كلاماً قاله المخلوقون فكان معجزاً لأنه ورد في القرآن وصار قرآناً وليس معجزاً في كلام المخلوقين .

هـ - القرآن كله قليله وكثيره معجز في رأيه ولذلك بخطيبه رأى الأشعرية القائل بأن أقل المعجز مقدار أصغر سورة محتجين بقوله تعالى : « فأتوا بسورة

من مثله» بأن الله لم يقل بأن ما هو أقل من السورة ليس معجزاً وبذكر أن سائر أهل الإسلام على هذا الرأي ويقولون: «ولا يختلف اثنان في أن كل شيء من القرآن قرآن فكل شيء من القرآن معجز» .

وبفصل في نقد من يعملون أقل المعجز مقدار سورة فيتساءل عن المقصود بالسورة ما هو؟ عدد آياتها أو عدد كلماتها أو عدد حروفها فإذا كان المعجز سورة كاملة كانت سورة البقرة إلا آية منها غير معجزة وإن قالوا مقدار السورة آيات وأقلها ثلاث آيات الدين غير معجزة وكان «والفجر وليال عشر والشفع والوتر» معجزاً مثل سورة البقرة وكان «والضحى والفجر والعصر معجزاً»؛ فإن قالوا هن متفرقات فلا يكون فيهن إعجاز سقط الإعجاز عن ألف آية متفرقة وإمكان المجيء بثلاثها وذلك يبطل الإعجاز عن القرآن وكان «ولكم في القصص حياة» غير معجز وهذا نقض لقولهم إنه في أعلى درجات البلاغة وإن قالوا إن المقصود بذلك عدد الكلمات أو عدد الحروف بطل احتجاجهم لقوله تعالى: «فأتوا بسورة من مثله» لأنهم جعلوا معجزاً ما ليس سورة ولم يقل تعالى مقدار سورة وبذلك بلوح تمويههم، ثم يناقض ابن حزم قول من يقول إن المعجز عدد السورة حروفاً بنفس الطريقة ويرده ويتابع المناقشة فيقول: إذا كانت الآية منه أو الآياتان غير معجزة وكانت مقدوراً على مثلها فكل القرآن يكون حينئذ مقدوراً على مثله وهذا كفر فإن قالوا إذا صارت ثلاث آيات صار غير مقدور عليها قيل لهم هذا غير قولكم إن إعجازه هو من طريق البلاغة لأن طريق البلاغة في الآية مثله في الثلاث .

وخلاصة رأيه أن القرآن معجز لأنه قرآن فكل كلمة فيه معجزة وكل حرف فيه معجز إذا عد من القرآن فإذا لم يمد منه لم يكن معجزاً كما لو ذكرت في خبر على أنها ليست قرآناً وأن القرآن استعمل أشياء تخالف البلاغة فيما لو كانت في كلام الناس وعدت فيه معجزة مثل ادخاله معنى دخيلاً بين معنيين لا يكون بينهما في العادة .

وعلى هذا فإن ابن حزم لا يرى القرآن معجزاً ببلاغته وأن في استطاعة الناس أن يأتوا بمثله بلاغة مع اعترافه بأنه في أعلى طبقات البلاغة . ونراه من جهة ثانية يخالف طريقة المتكلمين فهم يحملون إعجاز القرآن وسيلة إلى اثبات أنه منزل من عند الله وإثبات النبوة وهو بعكس الأمر فيجعله معجزاً لأنه كلام الله وقد سبقه إلى هذا بندار الفارسي فيما رواه التوحيدى (الاتقان للسيوطي ، فصل الإعجاز ج ٢ ص ١٩٨ - ٢١٣) . ومن مميزات ابن حزم أنه يستعمل حججاً قوية في الرد على من يقولون بالإعجاز البلاغي . وأرى أنه عرض رأيه عرضاً حسناً قوياً وإن كنت أرى أن القرآن يمتاز في جملة ما يمتاز به بأنه في الدرجة العليا من البلاغة .

٩ - الخفاجي :

ومن له رأي في الإعجاز في هذا العصر ابن سنان الخفاجي الحلبي (٥٤٦٦ هـ) وقد أورد آراءه في الإعجاز في كتاب « سر الفصاحة » في علوم البيان وهو يرى فيه أن علم الفصاحة ضروري للأديب ليحسن قول الكلام وتقده . (سر الفصاحة للخفاجي ص ٣ و ٤) كما أنه ضروري للعلوم الشرعية لأن المعجز الدال على نبوة محمد هو القرآن ويقول إن هناك قولين في اختلاف الظاهر فيما به كان القرآن معجزاً القول الأول خرق المادة بفصاحته وعلم الفصاحة ضروري للقاتل بهذا حتى يعلم بجم خرق المادة . والقول الثاني هو أنه معجز بصرف العرب عن معارضته مع أنها في مقدورهم ومن جنس فصاحتهم وهو يرى أن مسيلمة لم يأت بما يصح أن يسمى معارضة للقرآن لأن كلامه خال من الفصاحة التي وقع التحدي بها في الأسلوب المخصوص .

وهو يذكر تقسيم الرماني لتأليف الكلام إلى ثلاثة أضرب متنافر ومثلث في الطبقة الوسطى ومثلث في الطبقة العليا وينكر عليه هذه القسمة ويجعلها

قسين متنافراً ومتلائماً ويذكر أن بعض المتلائم أكثر تلاؤماً من بعض كما يخالفه في قوله بأن القرآن متلائم في الطبقة العليا وغيره في الطبقة الوسطى وهو يعني بذلك جميع كلام العرب فليس الأمر على ذلك ويرى أنه لا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في ناحية الفصاحة وأن في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه وهو ينكر على الرماني لجوءه الى هذه الحجة ليثبت للقرآن الإعجاز . والوجه الصحيح عنده هو الصرفة وفي هذا يقول : « وإذا عدنا الى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت صرامهم ذلك » وهو نفس رأي الشريف المرتضى في الصرفة الذي قلنا إنه يخالف رأي النظام قليلاً .

ويكفل الرد على رأي الرماني بأن القرآن يتألف من ألفاظ مفردة جاءت في كلام العرب سواء اذا ادعى أن القرآن في الدرجة العليا أو في الدرجة الوسطى منها ولا يرى للقرآن ميزة من حيث تلاؤم الكلم وبورد رأيه الخاص في تنافر اللفظ فيقول قد يحصل من تقارب مخارج الحروف كما يحصل من تباعد مخارجها ويضرب لذلك أمثلة عدة .

وينكر الخفاجي قول القائلين بأن كل أقسام القرآن معجزة ومتساوية في الفصاحة ويقول إن بعض القرآن أفصح من بعض ويقدم أمثلة مؤيدة لرأيه عدة آيات ثم يمثل لرأيه هذا بقوله متسائلاً : « وليت شعري أي فرق بين أن يخلق الله وجهين أحدهما أحسن وأصبح من الآخر وبين أن يحدث كلامين أحدهما أبلغ وأفصح وهل يفرق بينهما الا مقترح » .

ولا يرى مانعاً من أن يكون بعضه أفصح من بعض لأن النوراة والانجيل والزبور وهي كلام الله لم تكن معجزة لخرقها المادة بالفصاحة ويقول إنما منعهم عن القول بهذا أنهم جعلوا إعجازه في خرق المادة بفصاحته فكيف يكون بعضه أفصح من بعض . وهو ينقض رأيهم هذا بأنه لا مانع حتى في

هذه الحالة من أن تتفاوت المعجزات في العظم ويرجع الى القول بأن إعجاز القرآن إنما هو بالصرفة وليس ببلوغ الغاية في الفصاحة .
 وخلاصة ما أتى به الخفاجي أنه لا يرى فصاحة القرآن كافية للبرهان على إعجازه ويقول بالصرفة على طريقة المرتضى ويرى أن بعض القرآن أفصح من بعض وهذا الرأي الأخير صحيح في اعتقادي وقد ذهب إليه ابن حزم كما رأينا حين عرض رأيه .

١٠ - عبد القاهر الجرجاني :

وبأبي عبد القاهر الجرجاني فيتزعم نظرية النظم في إعجاز القرآن فقد فصل فيها وعرضها عرضاً مستفيضاً وانتقل بها من حيز الألفاظ الى حيز المعاني .
 وهو متكلم وأديب . ويمتدح كثيرون بأنه أول من ألف في علم البلاغة . والجرجاني أول من نظم الأفكار التي كانت في هذا الموضوع وأبرزها في قالب علمي .
 وكتابه دلائل الإعجاز دليل على أن البلاغة في شكها العلمي ظهرت من فكرة إعجاز القرآن . فهو إنما كتبه إذن لغرض ديني . وبناقش عبد القاهر مسائل في البلاغة والنحو ويقول بأنه لا يستطيع أحد أن يعرف إعجاز القرآن حتى يحسن تمييز أنواع النظم المختلفة ويحسن فهمها وقد ألف الجرجاني كتاباً آخر في البلاغة هو كتاب « أسرار البلاغة » . وبه يتم ما بدأه في دلائل الإعجاز إلا أنه يهتم بصفة خاصة في بيان قيمة البلاغة وسرها من الوجهة النفسية من حيث مراعاة وقع الكلام في النفس ومن حيث مراعاة أحسن الطرق لإفهام النفس الإنسانية ما يريد أن يؤدبه المتكلم .

وقد سبق أن ذكرت أثناء عرض آراء الخطابي أن للجرجاني شرحين على كتاب الخطابي كبيراً سماه الممتدح وصغيراً وأنها كانا مقدمة لوضع كتابيه المشهورين : دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة .

ويمكن تلخيص آراء الجرجاني :

١ - لا يقوم إعجاز القرآن في رأيه على الأغراض الأدبية المقصودة في وضع الكلام من حيث معانيها العامة كوصف الكريم بأنه كالبحر أو وصفه بالكرم بصورة مجردة بل بالصورة الجميلة التي تنقل المعنى من السذاجة إلى الخلية في التعبير والجمال في الأداء وحسن العرض للمعنى بجمانٍ ثانوية فرعية تكمله وتضفي عليه جمالاً وخلابة فيحسن فيه التصوير ويقوى المعنى بما يستعمله المنشيء من أساليب النظم البلاغية من تقديم وتأخير واستعارة على ما تبحث فيه علوم المعاني والبيان والبديع . وليس الكلام عنده معجزاً لأنه حكمة . وليس الإعجاز أيضاً في تلاؤم الألفاظ مفردة أو مركبة (دلائل الإعجاز ص ١٩٦) فانها موجودة كذلك في كثير من كلام العرب وإنما هو في حسن النظم . وهو يرى انتنظم قائماً على مراعاة التلاؤم بين معاني الكلمات المفردة تلاؤماً يساعد على أداء المعنى العام المقصود بجمال وقوة . ويتم نظم هذه المعاني نظماً متلائماً بالاستمانة بهام النحو في معناه الواسع في مفهوم عبد القاهر وهو يشمل علي النحو والبلاغة . فنحن لا تقدم وتؤخر في الكلام أو تقوم بعمل فيه فنستعمل المعاني والقواعد النحوية إلا لتخدم المعنى وتحسن سبكه فتجيد التلاؤم بين معاني الألفاظ . فالنحو بمعناه الواسع إذن خادم لنظم المعاني وليس خادماً للألفاظ (ص ٣٥ من دلائل الإعجاز) وقد كسر عبد القاهر الجرجاني كل كتابه دلائل الإعجاز على شرح هذه الأنظار وعرضها والرد على مخالفيها ونقض ما سواها وقد أحسن في عرضها كل الإحسان وإن كان قد أهمل ناحية موسيقى الألفاظ وفصاحتها مفردة ومركبة إهمالاً لا يفتقر له ولعله إنما بالغ في نصرة المعاني لمبالغة غيره في نصرة الألفاظ بمجرد رد الفعل النفسي الذي يقابل المبالغة بمبالغة مثلها أو أشد منها تماماً كسها في الاتجاه .

٢ - يذكر عبد القاهر أن النبي قد تحدى العرب الذين عرفوا المقصود من هذا التحدي ولكنهم عجزوا عنه .

٣ - ليس الإعجاز بمعاني الكلمات المفردة وإنما هو باجتماعها منظومة لتؤدي معنى شاملاً كما قلنا وليس كذلك في الموازنة بين كلمات وكلمات القرآن حركة وسكوناً وإلا كان مسيلمة قد قلد القرآن .

٤ - ليس إعجاز القرآن في مراعاة القواطع والفواصل فليس ذلك بأصعب من مراعاة الوزن والقافية في الشعر ويذكر أن العرب كانوا قادرين على مثل ذلك كما يذكر أن أحدهم ألف كلاماً له فصول وربما كانت بقصد المعري (ص ٢٩٦ - ٢٩٧ من دلائل الإعجاز للجزجاني) .

٥ - يذكر قول الجاحظ (ص ٢٩٨ من الكتاب المذكور) الذي يستفاد منه أن العرب أدركوا بالحدس وفي سريرة نفوسهم بلاغة القرآن وعجزوا عن مجاراتها ثم يقول الجزجاني إن العرب لم يفهموا من الإعجاز الفواصل والسكنات والحركات بدليل أنهم لما قارنوا بين : « ولكي في القصاص حياة يا أولي الألباب » وبين « قتل البعض إحياء للجميع » لم ينظروا إلى ذلك بل إلى بلاغة المعنى . وأنا أشك في أن هذه المقارنة قد حصلت فعلاً زمن النبي وأميل إلى أنها حصلت بعده بزمن طويل في عهد الترجمة وإلى أن الجملة الأخيرة « قتل البعض إحياء للجميع » قد ترجمت عن كتب أجنبية .

٦ - يشنع على القائلين بالصرفة (ص ٢٩٩ من الكتاب نفسه) وينقض رأيهم بأنه إذا كان الأمر كذلك فلماذا يهزم القرآن إذن . أوليت دهشهم اشيء وجدوه فيه غريباً وفوق طاقتهم ؟

٧ - لا يمكن أن يكون الإعجاز في الاستمارة وما يتعلق بالبديع لأنها ليست موجودة في كل آيات القرآن وهو يسير في هذا على غرار القاضي الباقلاني .

٨ - -- يعني عبد القاهر على من يجعل الإعجاز في استعمال غريب الألفاظ كما يعني على من يجعلونه في استعمال الألفاظ السهلة الخالية من الثقل على اللسان (ص ٣٤ من دلائل الإعجاز) .

- ٩ - إنما كانت معجزة النبي بلاغة القرآن لأن معجزة كل نبي كانت في الناحية التي اشتهر بها قومه . (ص ٣٦٥ منه) .
- ١٠ - ينكر أن يكون القرآن معجزاً بمجرد كونه كلام الله - وهو رأي ابن حزم وبندار الفارسي - (ص ٣٩٨ منه) .
- ١١ - لا ينكر في موضع (ص ٤٠١) من كتابه شأن خفة الحروف في النطق في فضيلة الكلام وإنما ينكر أن تجعل وحدها سبيلاً الى الإعجاز .
- ١٢ - يؤمن بأن عمدة إدراك البلاغة في النظم والإعجاز فيه هو الذوق والاحساس الروحي وكثرة الاطلاع على كلام العرب . (ص ٤١٨ من دلائل الإعجاز) .
- وهنا لا بد لنا من القول بأن عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة كان قدوة من جاء بعده من المؤلفين في البلاغة وإعجاز القرآن ببيانه وأنه بعد مرن الفكر في جملة الإعجاز في شيء غير محسوس تماماً . وليس لنظريته قوة البرهان الرياضي الذي ينفي أو يثبت بالأدلة العقلية المشتركة بين كل الناس . وإنما يقوم الإعجاز في نظره بالمعاني ويدرك بالذوق . وذلك بوضعه نظرية مرنة اذا تأملناها أدركنا أنها تساعد المؤمن بإعجاز القرآن على دعم إيمانه ولكنها لا تقنع المنكر او الملحد وذلك لأن الافتناع فيها قائم على الذوق الأدبي الفني وعلى شيء من الشعور الديني ومحال أن يجد الملحد او الشاك في القرآن من الروعة والجمال ما يجده المؤمن وقد يكون كتاب آخر يؤيد عقيدته وأفكاره أروع عنده من القرآن . ولا يتيسر أن يتفق الناس في تقدير الجمال في القول كما أنهم لا يتساوون في تقدير الجمال المدرك بالحواس . ونرى أن مقاييس الجمال ، حتى ما وضع منها في عصرنا مها بلغت من الدقة ، لا توحد أذواق الناس . فنظرية عبد القاهر إذاً لا تحسم اختلاف وان كان ما جاء به يبدو مسلماً به في تصور الكلام البليغ لاسيما وأنه قد أحسن عرض نظريته . ونستطيع أن نلمس من كلامه أنه مفكر استفاد مما ذكره سابقوه وما كان مقلداً أو جامعاً لآرائهم

بل هو مبتكر ألبس نظرية النظم ثوباً قشيباً ونقلها من حيز الألفاظ إلى حيز المعاني . ومع أن قواعد البلاغة التي جاء بها ليست بقاطعة كما قلنا في حسم النزاع فإنها على كل حال محاولة جدية مجدية تساعد على تذوق الأدب وفهمه وكتابته ومراعاة الصحة والجمال فيه . وقد أفرغ هذه القواعد التي جاء بها عبد القاهر من جاء بعده من علماء البلاغة في قوالب جامدة جافة ذهبت بعلم البلاغة عن غايتها وأبعدته عن التجديد والابتكار وأخضته للمنطق والتعننت الفلسفي العقلي وأهملت ما يساعد على تنمية الذوق الأدبي كما أنها لم تكمل ما أنقصه عبد القاهر ولم تكن الا عالة عليه وعلى من عاصروه أو سبقوه .

ولم تكن مهمة السكاكي أول من صنف وروى هذا العلم بالشكل الذي نعرفه الآن الا اختصار ما جاء به عبد القاهر وتبويبه والاسترسال في إخضاعه للبراهين المنطقية والنائبات الفلسفية .

وبالانتهاء من الكلام على عبد القاهر أنتهي من الكلام على من درستهم من ألفوا في فكرة الإعجاز في هذا العصر وكان لهم بحث أو اجتهاد فيها .

تلخيص ونقد :

إذا أردنا أن نعرض فكرة عامة عن هذا العصر قلنا : إن كثيراً من الباحثين في الإعجاز كانوا مجرد جامعين لآراء من سبقوهم أو مقلدين وإنه قد ظهر القول بصورة أصرح في نظرية أن القرآن معجز لأنه كلام الله على لسان ابن حزم وظهر قول داعي الدعاة بأن القرآن معجز بما فيه من معاني الحكمة ويبدو واضحاً في زمن عبد القاهر الجرجاني أن التيار الفكري كان منبجها نحو الإعجاز بالألفاظ تخشي من ذلك عبد القاهر على فكرة الإعجاز أن تزول اذا وجد بين الأدباء من يستطيع معارضة هذه الصنعة اللفظية فناصر فكرة النظم القائم على تلازم المعاني في خدمة الغرض العام المقصود تلازماً يراعى فيه التصوير وحسن التعبير والصيغة . وظهر القول بأن بعض القرآن أفصح من بعض على لسان ابن سنان الخفاجي .

القرن السادس

أشهر من تكلم في قضية الإعجاز في هذا العصر متكلمان : أحدهما له أبحاث واسعة في الفلسفة وهو الغزالي والثاني مؤلف في السيرة النبوية وهو القاضي عياض ، ومفسران أحدهما من المعتزلة وهو الزمخشري والثاني ابن عطية ، وفيلسوف كان يسعى الى التوفيق بين الفلسفة اليونانية ومبادئ الدين الاسلامي وهو ابن رشد . وسأتحدث على كل واحد منهم على حدة فيما يلي .

أ - الغزالي :

يرى الغزالي أن القرآن مسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق الى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا الى الدين (الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ١٩٨ وما بعدها) وكان يذهب الى أن في القرآن جميع العلوم الدينية والدينيوية وأنها كمنة في مطابقه لا يدركها الا العالمون فكأنه يرى أن هذا وجه من وجوه الإعجاز لأنه انما ذكره قاصداً به أن يبين عظمة القرآن . قال الأستاذ أمين الخولي بعد ان ذكر فكرة اتساع القول في احتواء القرآن لجمال العلوم جميعاً واشتماله الى جانب العلوم الدينية اعتقادية وعملية وظاهرة وخفية صائر علوم الدنيا : « والغزالي الى عهده كان أكثر من استوفى بيان هذا القول (الأحياء الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل ص ٢٥٩ - ٢٦٤) وأن في القرآن رموزاً ودلالات على كل ما اختلفت فيه الخلائق في النظريات والمقولات والقرآن يشير الى مجامع العلوم كلها وبعد أن يذكر الغزالي العلوم ويذكر أن منها ما سوف يوجد ومنها ما اندرس يذكر أن اوليات العلوم كلها في القرآن فإنها جميعها مضمرة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال ويشير أخيراً الى أنه لو ذهب بفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال ولا تمكن الإشارة الى مجامعها » .

وبلاحظ أن الفزالي بين المؤلفين الذين تكلمنا عنهم حتى الآن هو أول من يعرض لهذه الفكرة القائلة باحتواء القرآن على جميع أوليات العلوم الدينية والديوية وسنرى كيف يتوسع فيها المتأخرون .

٢ - القاضي عياض :

وللقاضي عياض (٥٤٤) في كتابه « الشفاء ص ٢١٦ - ٢٣٧ ط دار السعادة سنة ١٣١٢) رأي في الإعجاز أورده السيوطي في الاتقان (ج ٢ فصل الإعجاز) وخلاصته أن إعجاز القرآن في الإيجاز والبلاغة والأسلوب الغريب والإخبار بالمفنيات والإخبار عن الأمم الماضية على أمة النبي وتمجيذه أيضاً لقوم في قضايا لم يفعلوها كقوله لليهود : « فتمتوا نموت ان كنتم صادقين » ومن فضائل الروعة في قلوب السامعين - ويذكر بهذه المناسبة اسلام جبير بن مطعم حين سمع النبي يقرأ في صلاة المغرب سورة الطور - وأنه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع ما تكفل الله بحفظه وأنه لا يخلق على كثرة الرد وجمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب وذلك في كلمات قليلة وأحرف معدودة .

وتبين من رأي القاضي عياض في الإعجاز أنه لم يأت بجديد وإنما لخص تقريباً رأي الباقلاني وزاد عليه جمع القرآن علومًا ومعارف لم يجمعها كتاب قبله على إيجازه . ويعرض لرأي الصرفة أثناء كلامه فلا ينكر هذا القول بل يثبت إثباتاً مبهماً ضعيفاً ويقول إنه على هذا القول أيضاً معجز .

٣ - الزمخشري :

يبني الإمام الزمخشري (٥٣٨) فكرة الإعجاز في الكشف على خصائص الكلمات والنظم في التعبير ويوافق رأي الجرجاني قليلاً فالإعجاز عنده قائم على المعاني من تعريف وتنكير وتقديم وتأخير ثم على ما يتصل بعلم البيان ويذكر الدكتور محمد خليل الخطيب في مقدمة حن الصنيع للبسيوني - وأوافقه على رأيه -

أن الامام الزمخشري ينفى أن يعدَّ بعد عبد القاهر في صدر الواضعين لفن البيان وبذكر بهذه المناسبة رأي ابن خلدون في «أن ثمره فن البيان فهم الإعجاز من القرآن وأن المفسرين أحوج الناس الى هذا الفن وأن أكثر تفاسير المتقدمين غفل منه حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفسير» .

ومن الحق أن نقول إن الامام الزمخشري يعدُّ بين المفسرين أول او اكثر من اهتم يبحث البيان في القرآن والى جانب تطبيقه العملي فن البيان في إظهار إعجاز القرآن نراه أثناء تفسير آية التحدي في سورة الإسراء : « قل لئن اجتمعت الانس والجن ٠٠٠ الخ الآبة » بقول بضرورة كون القرآن مخلوقاً حادثاً حتى يكون معجزاً ويصح به التحدي فإن كان قديماً كان محالاً على البشر ولا يصح أن يتحداهم النبي به فيقول : « والعجب من النوابت - يقصد بهم نوابت أهل السنة - ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وإنما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه وأما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالمعجز لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال إلا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس ما لم المكابرة وقلب الحقائق» .

وقد ردَّ عليه في هذا الشيخ ناصر الدين احمد بن محمد الاسكندري المالكي (٦٨٣) وقال بأن اعتقاد اهل السنة يقوم على أن مدلولات العبارات قديمة قائمة بذات الباري تعالى يطلق عليها قرآن كما أن الألفاظ الدالة التي بين أيدينا يطلق عليها قرآن ايضاً والمتحدي به والمعجز هو الدليل أي الألفاظ الدالة لا المدلول وإنما يتعزز العلماء من اطلاق هذا القول لسببين الأول أن السلف كفوا عنه

فاقتنى اخلف آثارهم والثاني أن هذا القول ربما أوهم الضعفاء بأن مدلول القرآن
 حادث لا قديم . (تعليقات الاسكندري على كتاب الكشف في الحاشية) .
 وكذلك علق الشيخ محمد عليان المرزوقي في الهامش المطبوع مع الكشف
 على قول الزمخشري بكلام له نفس معنى كلام الاسكندري . وكلام الزمخشري
 بدلنا على أن مسألة خلق القرآن كانت ولا تزال قيد بحث علماء الكلام
 حتى عصره .

ويذكر الزمخشري أثناء تفسير آية سورة البقرة « وان كنتم في ريب مما نزلنا
 على عبدنا » أن الله جاء في هذه الآية بما هو الحجة على إثبات النبوة وذلك
 حين يتحداهم فيدركون عجزهم ويعلمون أنه من عند الله .

ويقول الزمخشري في مقدمة تفسيره ما معناه إنه لا بد من علم البيان والمعاني
 لإدراك مهجزة رسول الله ومعرفة لطائف حجته وأن يوجد ذوق في الفكر
 والادراك ودرابة بأساليب النظم والنثر ويقول إن القرآن معجز على وجه كل
 زمان ودليل إعجازه سكوت العرب عن معارضته مع كثرة عنادهم وتوفر دواعيهم
 واشتهارهم بالآفة .

وآراء الزمخشري جاءت في تفسيره ولم أعرف أنه وضع في هذا البحث
 كتاباً خاصاً أو أفرد له باباً .

نصيم الحمصي

(يتبع)



تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقته بالأقطار الإسلامية والمرية

(في العهود التالية لأيام العباسيين)

من سنة ٥٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م الى سنة ٥١٣٥ هـ - ١٩١٧ م

- ٢ -

٢ - عهد الجلائرية

وفي عهد الجلائرية ، وهم مفلول أيضاً ، ظهر عدة علماء الا ان العناية كانت أقل لما طرأ على الدولة من ضعف وان لم ينقطع الاتصال بعلم الفلك وانما مضت على اطرافها ، وأبقت الدولة الوضع على حاله .
ومن العلماء المشهورين :

١ - صفي الدين بن عبد الحق :

هو ابو الفضائل عبد المؤمن بن كمال الدين البغدادي . وكان معروفًا بالفرائض وبعلم جمة . وكان يعرف الهيئة والحساب معرفة جيدة . كان في عهد المفلول وأدرك دولة الجلائرية . ومن مؤلفاته :

١) المعرفة بدلائل القبلة . وظهرت بعد ذلك مؤلفات عديدة في هذا الموضوع .
وتوفي سنة ٥٧٣٩ هـ - ١٣٣٨ م^(١) .

٢) شمس الدين بن الأ كفاني :

هو شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري (السنجاري) المعروف

(١) الشذرات والدرر الكامنة وطبقات الحنابلة للشيخ جميل الشطي ص ٦٠
وتاريخ العراق ج ٢ ص ٣٢ .

م (٧)

- ٢:٧ -

بـ (ابن الألفاني) . كان من أبرز العلماء في الفلك والرياضيات والتنجيم .
ومن مؤلفاته :

- ١) ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد . وهذا الكتاب يبين فيه أموراً مهمة في هذه العلوم خاصة وعين الكتب المعتبرة في الرياضيات والفلك والاختيارات .
- ٢) اللباب في الحساب . منه نسخة في أياصوفيا . توفي سنة ٧٤٩ هـ بمصر^(١) .
- ٣ — جمال الدين الباصري .

هو أبو العباس جمال الدين أحمد بن علي بن محمد الباصري البغدادي الحنبلّي
الفاقيه الفرضي الأديب . ولد سنة ٧٠٧ هـ . برع في الفرائض والحساب .
وتوفي سنة ٧٥٠ هـ^(٢) .

٤ — عبد الصمد النجم التبريزي :

توفي أيام السلطان أويس من الجلائرية . له في فنّ الهيئة وأحكام النجوم
اليد الطولى . ومما قال فيه برهان الدين المدني :

« نظام الدين عبد الصمد بن ابي البركات النهشلي الشافعي التبريزي . . .
له اليد الطولى في علم الفلك وأحكام النجوم وما يتعلق بذلك على الدين والأمانة .
ولد سنة ٧٠٣ هـ ورحل سنة ٧٦٢ هـ وفي آخر الوقت ولي قضاء قضاء تبريز » اهـ^(٣) .

٥ — المولى شمس الدين العصار :

هو شمس الدين الحاج محمد العصار . من المشهورين في عصر السلطان أويس
من الجلائرية . وبعد من علماء الفلك والرياضيات والاسطرلاب . وهو من تلاميذ
عبد الصمد النجم . توفي في أيام السلطان أحمد الجلائري سنة ٧٩٢ هـ^(٤) .

- (١) ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد ص ١١٥ والوافي بالوفيات ج ٢ ص ٢٥ .
- (٢) الشذرات ج ٦ ص ١٦٦ .
- (٣) دانشندان اذربيجان ص ٢٥٦ .
- (٤) » » ص ٢٧٥ .

هذا وعلوم الفلك مضت على اطرافها في هذا العهد الا ان المدونات قليلة جداً . وكانت علاقة الجلائرية ببغداد كبيرة . ويعد علماء هذه الدولة من علماء بغداد أو الواردين اليها .

٣ - الدولة التيمورية

استوت هذه الدولة على بغداد سنة ٧٩٥ هـ - ١٣٨٣ م . واختارت جماعة من علماء بغداد ورجالم في الفن والعلم والهندسة والبناء . وكانت علوم الفلك نشأت في بلاد الترك أيام المغول . وظهر الأستاذ الجفميني . والفضل الكبير في تقدم هذا العلم يرجع الى أحد أحفاد تيمور وهو أولوغ بك ابن شاه رخ ابن تيمور . وكان تيمور قد ركن اليه غالب رجال البلاط الجلائري . وبينهم الفلكيون والمنجمون . فاستفاد أولوغ من ثقافة هؤلاء .

رعى هذا العلم وجمع علماءه . وبينهم ايرانيون وترك . وبنى رصداً مدة سلطته بسمرقند أو بالتعبير الأصح كانت امارته في سمرقند مستمدة من والده شاه رخ . وليها بعد وفاة جدّه ودام الى أن ملك بعد والده . ولد في حدود سنة ٧٩٠ هـ . وتوفي سنة ٨٥٣ هـ (١) . وكان من تصانيفه :

(١) الظل المنكوس السني .

(٢) الزيج الأولوغ بيكي . وسماه ابو التشاء الأوموي بـ (سلطان الازياج) . ولقد صرفت عناية كبرى بهذا الزيج ودام العمل به أكثر من الزيج الا بلخاني ومنه نسخ عديدة في بغداد والشام وغيرهما . شرحه علي القوشجي وميرم جلي . واختصره محمد بن ابي الفتح الصوفي المصري . وعرب باسم (تذكرة الفهم في عمل التقويم) ٦ و (التسهيل) لهذا الزيج من تأليف عبد الرحمن الصالح الموقت بالجامع الأموي وهو محلول أولوغ بك . وشرحه البرجندي في سنة ٩٢٩ هـ . منه نسخة في خزانة المجلس . وعندني نسخة منه .

(١) شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٦ وغيره .

عني به حق العناية واشتركت فيه رجالات العلم من مختلف الأقطار ، ولم يحل محله الزيج الهندي الا بعد حين ثم حل محله الزيج المعروف بالكاسيني ثم (زيج لالاند) . وهذه ظهرت في الغرب ونسخت سائر الأزياج .

والدر النظيم في علم التقويم على أصول رصد أولوغ بك . منه نسخة لدى الأستاذ احمد عبيد وأخرى في الخزانة الشرقية . ومؤلفه محمد بن عبد الرحمان العنيني الشافعي . ورد ذكر مؤلفه في المشرق ج ٣ ص ١١٢٩ .

ومن العلماء في الفلك أيام الدولة التيمورية :

١- غياث الدين جمشيد الكاشي ، وله :

(١) نزهة الخدائق في كيفية صنعة الآلة المسماة بالطبق الناطق . رسالة باللغة العربية طبعت على الحجر سنة ١٣٠٦ هـ في آخر مفتاح الحساب وعليها ذيل ألحق بها وطبع معها . ألفه في شعبان سنة ٨٢٩ هـ .

(٢) رسالة الوتر والجيب .

(٣) الزيج الخاقاني بالفارسية . قدمه الى أولوغ بك حين قدم الى سمرقند وقبل أن يكتب الزيج الألوغ بيكي . وعندني نسختان منه احدهما كاملة والأخرى ناقصة الورقة الأولى . ومنه نسخة في اياصوفيا .

(٤) سلم السماء في الهيئة . طبع على الحجر .

(٥) مفتاح الحساب بالعربية . منه نسخة في (خزانة بيكي جامع) . وطبع على الحجر سنة ١٣٠٦ هـ في ابران وفي آخره نزهة الخدائق مع ذيلها . وخصه مصنفه وسماه (تلخيص المفتاح) . ومنه نسخة مشروحة في خزانة المتحف العراقي . وذكره صاحب كشف الظنون في مادة (أسنان المفتاح) .

(٦) زيج التسيلات .

٢- السيد الشريف الجرجاني :

هو الشريف علي بن محمد الجرجاني . ومن مؤلفاته :

- (١) شرح ملخص الهيئة للجفميين . منه نسخة في خزانة الظاهرية بدمشق
 كتبت سنة ٨٧٠ هـ . وفي خزانة الأوقاف العامة وفي خزائن أخرى عديدة .
- (٢) حاشية على التحفة الشاهية . الأصل لقطب الدين الشيرازي .
- (٣) شرح التذكرة للطوسي . توفي سنة ٨١٦ هـ - ١٤١٣ م .
- ٣ - قاضي زاده الرومي :
- هو موسى بن محمد بن محمود القاضي ببروسة المعروف بـ (قوجه ملا محمود) .
 نال حظوة كبيرة لدى أولوغ بك . أخذ عن المولى الفناري ومن مؤلفاته :
- (١) شرح الملخص للجفميين . أكمله سنة ٨١٤ هـ . وهو من كتب المدرس .
 منه نسخة بخط يده في خزانة أياصوفيا . وعليه حاشية للبرجندي .
- (٢) رسالة في القوس قزح .
- (٣) شرح أشكال التأسيس . والأصل للعلامة شمس الدين محمد بن أشرف
 السمرقندي المتوفى في حدود سنة ٦٠٠ هـ (كذا) . وعليه حاشية لمير ابوالفتح
 المتوفى سنة ٩٧٦ هـ وحاشية لعبد البر العوفي كتبه باسم محمد صادق بن محمد افندي
 المعروف بـ (شيخ زاده) . وهذا من كتب المدرس أيضاً .
- (٤) رسالة في استخراج الجيب . ولعبد الوهاب من أهل قواله مؤلف بهذا
 الاسم . وطبع مع حاشية محمد الحاج بن ابي نصر العراقي سنة ١٢٦٨ هـ .
- (٥) سميت القبلة . ذكره صاحب كنه الأخبار .
- مات في ما وراء النهر في منتصف المائة التاسعة . وعلى قول سنة ٨١٥ هـ .
 ولم يبين لنا وجه الصواب من هذه الأقوال في تاريخ وفاته (١) .
- (٦) رسالة في الحساب . وعليها شرح في خزانة الشهيد علي باشا باستنبول .
- ٤ - علي القوشجي :
- هو المولى علاء الدين علي بن محمد المعروف بـ (القوشجي) . كان من تلامذة
 قاضي زاده الرومي . وعرف باكمال رصد سمرقند ومن رجال أولوغ بك .
- (١) الآثار الباقية لصالح زكي . والتران العلمي ص ٢٣٢ .

ومن مؤلفاته :

(١) فتيحة في الحياة . ألفها لما ذهب السلطان محمد لمحاربة حسن الطويل .
وقد اشتهرت شهرة عظيمة . شرحها أحد تلامذته العلامة سنان المتوفى سنة ٨٩٨ هـ
ولعله مصلح الدين اللاري المعروف بـ (عجم سنان) . وشرحها مبرم جلبي المتوفى
سنة ٩٣١ هـ . وترجمها الى التركية سيدي علي رئيس المتوفى سنة ٩٢٠ هـ وسيت
ترجمته (خلاصة الحياة) . وترجمها المولى پرويز بالتركية سنة ٩٨٢ هـ . وسماها
(مرعاة السماء) .

(٢) رسالة في حل أشكال القمر .

(٣) شرح التحفة الشاهية . شرحها بقال أفول . وصل به الى بحث الدوائر .
وله تعليقة على المتن الى الباب التالي .

(٤) الرسالة المحمدية . منها نسخة في خزانة الأشهر .

(٥) شرح زيج أولوغ بك .

(٦) مجموعة في النجوم . منها نسخة في الخزانة الحميدية باستنبول .

(٧) مسرة القلوب في دفع الكرب .

وتوفي سنة ٨٢٩ هـ -- ١٤٢٤ م .

ولم تنقطع العناية بالفلك بوفاة أولوغ بك . فان ركن الدين بن شرف الدين
الحسيني الآملي كتب (الزيج الجامع السميدي) . تقصح به الزيج الابلخاني .
كتبه بالفارسية لأميرزاده ابي القاسم باريهدارشاہ وجعله باسم السلطان ابي سعيد
كوركاني سنة ٨٦٠ هـ . منه نسخة في خزانة المجلس الايراني كتبت سنة ٨٨٩ هـ
كما ان له (پنجاه باب سلطاني) في كليات الأعمال ومعرفة الاطرلاب .
ومما كتب (زيج ملخص ميرزائي) تأليف عبد القادر بن حسن الروباني .
كتبه بالفارسية وقدمه الى السلطان ميرزاعلي .

ومن الأزياج (زيج هندي محمد شاهي) • تأليف محمد علي الشهير به (ميرخان) •
كتبه سنة ١١٣١ هـ • ثم ان الشاه محمد عمل رسداً • وأرسل جماعة من العلماء
لمراجعة أزياج أوروبا وتحقيق الزيج فقاموا بما عهد اليهم وكتبوا زيجاً هندياً مصححاً
لا يزال معروفاً بهذا الاسم^(١) •

ومن هذا كله علمنا ان الثقافة الفلكية تمكنت في آل تيمور في ماوراء النهر
وفي الهند • وان الهنود تأثروا بالعرب والاييرانيين وأشهر من عني بعلم الفلك من
الهنود المهراجا جاي سينك الثاني (١٦٨٦م - ١٧٤٢م) وكان أمر بنقل المحسبي
من العربية الى السنسكريتية وأقام المراصد في بعض المدن المختلفة • جهزها
بآلات الرصد المعروفة آنشد أولها الاسطرلاب^(٢) •

ومن هنا علمنا اتصالات الأقطار بنا وبمجاورينا • وان الدولة التيمورية لم تكن
متصلة بنا باستمرار وانما تخلل ذلك فترات عديدة دامت الى سنة ٨٠٨ هـ •
ثم عاد الجلائرية فلم ترسخ لهم قدم • بل انقضوا من بغداد سنة ٨١٤ هـ - ١٤١١م
ونزلوا البصرة • والثقافة لم تكن دولية لتزول بزوال الدولة الحاكمة • وانما
كانت ترعاها المدارس العلمية • وهي قائمة بموقوفاتها • وتمدها خزائن الكتب
بالمعرفة • والروح العلمية راسخة في النفوس •

٤ - دول التركمان في العراق

من سنة ٨١٤ هـ - ١٤١١م الى سنة ٩١٤ هـ - ١٥٠٢م

قلت العناية بالعلم في هذه العهود أيام قراقوينلو وآق قويونلو الا أن المدارس
كانت دائبة في عملها • والرغبة الشخصية ماضية في طريقها • ولم نستطع أن
نسجل حوادث ذات شأن في الفلك والظواهر أن الحال اطرد على ما كانت •

(١) خزائن المجلس ص ١٠٢ •

(٢) الاسطرلاب عند العرب محاضرة للأستاذ أحمد مختار صبري ص ٢٧ طبعة جامعة

فؤاد الأول سنة ١٩٤٧م •

وظهر عندنا في التنجيم (ابن فهد الحلي) • ومثله (المشمعون) • استخدموا الشميدة أو الشعوذة لاستغلال البساط •

ولم ينفك العلماء عن الاهتمام بالعلوم ومنها الفلك بل لم تخل هذه المجهود من مشتغلين وتغلقت الدراسات الفارسية لما رأيت من الاهتمام بها في ايران وفي ماوراء النهر والمند والأناضول •

ومن الفلكيين المعروفين عندنا :

١- الفياثي • مؤرخ وفلكي • وبراعته في الفلك غالباً • وفي تاريخه يتعرض

لأمور فلكية • ومن مؤلفاته :

(١) تاج المداخل • من أجل الآثار في الحياة • نقل به الى اللغة العربية تاج المداخل للحكيم الفاضل ابي جعفر محمد بن عبد الله الشربيني • وأصله باللغة الايرانية قدمه الى السهسالار تاج الدين المعتز بن محي الدين طاهر الخوارزمي من أمراء الدولة السلجوقية ببلاد الروم • وابنه أمير شاه كتب له قطب الدين الشيرازي كتابه المسمى بالتحفة الشاهية • والكتابان ثروة علمية • والفياثي نقله الى العربية باسمه الأصلي • وبهذا حصل الاتصال العلمي فقد نقلت الأزياج الفارسية مثل زيج أولوغ بك وغيره مما روعي فيه تجديد العلم • فتجددت مباحث علم الفلك • والفياثي متصل بالتنجيم والطالع ومطالب القرانات • فهو عالم بالاختيارات • أخذ عن علماء الشام • وكتب كتابه هذا بخطه ومعه (مختصر نزهة النظر) في مجموعة في خزانة الآثار القديمة ببغداد • وتوفي بعد التسعمائة من الهجرة •

٥ - الدولة الصفوية في العراق

من سنة ٩١٤ هـ - ١٥٠٢ م الى سنة ٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م

هذا العهد كان عهد حروب ومناضلات ، فما كان للعلوم حظ من العناية • ولا شك أنها سارت سيرتها الطيمية في المدارس ، وفي الرغبة العلمية • ومن علماء هذا العهد (البرجندي) و (مير ابو الفتح) وبأبي الكلام عليهما •

العلاقات بالأقطار الإسلامية

هذه العلاقات قديمة ترجع الى أوائل اتصال الاسلام بالشعوب ثم لم تنقطع .
وانما تأثرت بنا . والعلاقات في الفلك والرياضيات قديمة . وزاد الاتصال بسبب
الفتح المغولي . وبمسرح احصاء هذه الصلات . وما عرف بشير الى ماوراءه .

١ - العلاقات بإيران

وهذه من أقوى العلاقات . كتبوا علومهم بلغتنا . وقلما كتبوا باللغة
الایرانية لشدة الارشباط والمجاورة والاختلاط أحياناً . دام الى عهد المغول واستمر
الى ما بعده . والعلوم الفلكية هذا شأنها . وفي نهضتها أيام المغول عند بناء
الرصد استعانت بالثقافة العربية ويرجالها . والاسماعيلية في ايران أكثر اشتغالا
بالفلك لصلته بمذهبهم . ومن أبرز علمائهم الخواجه الطوسي . وحصل الانتفاع
بما غنم المغول منهم من آلات فلكية . وبهنا الآن ذكر العلاقات الى سنة
٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م . ومن علمائهم :

١ - الأبهري : هو أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري . وآثاره متداولة .
ومن مؤلفاته الفلكية :

(١) المحسني في الحياة . وهو من الكتب المختصرة .

(٢) ثلاث رسائل في علم الفلك .

(٣) الزيج المقنن . ألفه على مقتضى أوساط صحبها ابو الوفاء محمد بن أحمد

البوزجاني بمد الرصد المأموني . وأصلح الزيج العلائي .

توفي سنة ٦٦٢ هـ . ومنهم من قال غير ذلك .

٢ - الشربيني : هو ابو جعفر محمد بن عبد الله الشربيني وله من المؤلفات :

(١) تاج المداخل . فارسي . نقله الى العربية الفياثي . ولم أعرف مكان

النسخة الأصلية . والترجمة العربية في خزانه متحف الآثار القديمة ببغداد .

- قدم المؤلف كتابه الى أحد أمراء السلجوقيين في بلاد الروم . وهو تاج الدين السهسالار المعتز بن طاهر كما أن القطب الشيرازي قدم الى ابنه أمير شاه محمد كتابه (التحفة الشاهية) . وكان تاج الدين أميراً أيام سليمان شاه البروانة .
- ٢) شرح النذكرة للخواجه الطوسي نقل منها الخفري في شرحه لتذكرة الخواجه .
- ٣ - الكاتبي القزويني : من العلماء الأفاضل في الفلك والحكمة . وكان من اشترك في رصد مراغة . وتوفي سنة ٦٢٥ هـ - ١٢٧٦ م . ولم تقف له على تأليف في الفلك .
- ٤ - قطب الدين الشيرازي : من أكابر العلماء لاسيما في الفلك وما يتعلق به . وكانت شهرته عالمية . ومن مؤلفاته :
- ١) نهاية الادراك أو ادراك الأفلاك . قدمه الى شمس الدين محمد الجويني . وعليه حاشية لستان باشا . ومنه نسخة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد من خزانة السيد نعمان خير الدين الأوموي . كتبت سنة ٧٦٦ هـ .
- ٢) التحفة الشاهية في علم الهيئة . كتبت باللغة العربية . قدمها الى أمير شاه محمد بن تاج الدين المعتز بن طاهر . ومنها نسخة في خزانة مدرسة السهسالار . وأخرى في خزانة الأوقاف ببغداد . ونسخة منها في برلين .
- ٣) الاختيارات المظفرية . فارسي في الهيئة . ألفه مظفر الدين بولقي أرسلان من سلاجقة الروم . كتبه بعد نهاية الادراك .
- ٤) الزيج السلطاني . ومنهم من نسب له الوابكيني البخاري . عدل به الزيج البتاني .
- ٥) درة التاج للملك دوباج . كتبه لملك كيلان بالفارسية . منه نسخ عديدة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد . وطبع في ايران .
- توفي في شهر رمضان سنة ٧١٠ هـ - ١٣١١ م .
- ٥ - النظام الأعرج : هو نظام الدين حسن بن محمد النيسابوري . وكان من علماء الفلك المعروفين . وله من المؤلفات :

- ١) الزيج الملائي . فارسي . صححه تلامذته بعد وفاته . ألفه لعلاء الدولة .
 - ٢) تفسير التحرير . فرغ من تأليفه سنة ٧٠٤ هـ .
 - ٣) شرح التذكرة . ويسمى (توضيح التذكرة) .
 - ٤) الشمسية في الحساب .
- وتوفي سنة ٧٢٨ هـ على ما هو الأظهر . وليس بصواب ما ذكر في كشف الظنون من انه توفي سنة ٨٢٨ هـ .

٦ - عبد الصمد النجم التبريزي .

٧ - شمس الدين الحاج محمد العصار .

وغالب هؤلاء لم يخل من علاقة بالعراق . وتنتهي بهم الدولة الجلائرية . وفي أيام الأمير نيمور وأخلافه استخدم علماء ايران . لاسباب في رصد سمرقند أيام أولوغ بك . وهم من ذكروا . وبينهم غياث الدين جمشيد . وأثروا كثيراً في التدوين بالفارسية . ويقال ان (الزيج الخاقاني) قد أثر على زيج أولوغ بك . وفي أيام التركان وأوائل الصفويين ظهر :

١ - البرجندي : وهو عبد العلي بن محمد البرجندي . وله من المؤلفات :

١) شرح التذكرة . باللغة العربية .

٢) بيست باب . ألفه سنة ٨٩٣ هـ .

٣) شرح تحرير المحسبي .

٤) شرح الزيج الجديد السلطاني . شرح به زيج أولوغ بك . ألفه سنة ٩٢٩ هـ .

٥) حاشية على ملخص الحياة . شرح قاضي زاده .

وهذه مؤلفات تعليم لم تزد في الثقافة . ولا شك أن هذه الجهود قد طرأ

عليها توقف في أيام التركان وأيام الصفويين . لم تتجاوز الوجهة التعليمية .

٢ - العلاقات بالترك في ما وراء النهر

الترك ثقافتهم اسلامية من أوائل اتصالهم بالاسلام وقد تكلمنا على ماضيهم في أيام المغول والتركمان ، ومن اشتهر منهم وبيننا بعض مؤلفاتهم . ومنهم العلماء البخاري ، والجهني . ثم ظهر آل نيمور في سمرقند ، فشكثرت المعرفة بالوجه المبين .

٣ - العلاقات بالترك في الأناضول

١ - سلاجقة الروم . وهؤلاء زها علم الفلك في أيامهم في عهد المغول . وظهرت مؤلفات خدمت الثقافة . بذلوا البذل اللائق للحصول عليها . ومكنوا هذا العلم عندئذ بما رعوها من علماء ورددوا اليهم .

(١) تاج المداخل في الحياة للشربني بالفارسية قدمه لأحد أمراء الأناضول تاج الدين السهسالار . نقله الى العربية الفيأتي سنة ٨٢٩ هـ - ١٤٢٤ م .

(٢) تحرير المحسبي . للخواجه الطوسي . قدمه الى حسام الدين بن محمد السيوامي .

(٣) التحفة الشاهية . لقطب الدين الشيرازي . قدمه الى ميرشاه محمد بن

تاج الدين السهسالار المذكور .

(٤) الاختيارات المظفرية (له) كتبه لمظفر الدين يولقي ارسلان المتوفى سنة

٨٦٩ هـ - ١٢٩١ م .

وهذه من صفوة المؤلفات . وتتكون منها ثروة علمية في الحياة .

٢ - الترك العثمانيون . وهؤلاء جاءتهم الثقافة من سلاجقة الروم فبنوا على

أساسها . وظهر فيهم جماعة العلماء ولم يقصروا في رعاية هذا العلم . ويقال لهم

(علماء الروم) . وبعد فتح استنبول رعوها العلم . وتوسعوا في الفلك خاصة

لما رأوا من ضرورة السير في البحار وعمل السفن الحربية . ومن مشاهير علمائهم :

(١) قاضي زاده . أصله من بلاد الروم . استخدم لرصد سمرقند . صر الكلام عليه .

- ٢) علي القوشجي . وهذا أيضاً من علماء الروم عمل في مرصد سمرقند أيضاً .
سبق أن ذكرناه .
- ٣) افه زاده . هو محمد بن سليمان . وله شرح بيست باب في الاسطرلاب
للخواجة الطوسي .
- ٤) ميرم چليي . هو الملا محمود بن محمد قاضي زاده . ابن بنت القوشجي .
وكان قد عمل في رصد مراغة . وله من المؤلفات :
- ١- دستور العمل وتصحيح الجدول . شرح به زيغ أولوغ بك .
 - ٢- رسالة في ربع المنطرات .
 - ٣- رسالة في الربع المجيب
 - ٤- رسالة في الحساب .
 - ٥- رسالة في سمت القبلة . وذكرها كاتب چليي مرتين .
 - ٦- شرح الفتحة القوشجي .
 - ٧- رسالة في الربع الشكازي .
 - ٨- رسالة في العدل به .
 - ٩- رسالة الزرقالة (فارسية) أخذها من عرب الأندلس .
 - ١٠- رسالة في الربع الجامع . وتوفي في ذي القعدة سنة ٩٣٢ هـ .
- ٥) المولى عطاء الله المعجمي . له رسالة في الربع المجيب . وعليها شرح
أخوين المولى محيي الدين محمد بن القاسم المتوفى في حدود سنة ٩٠٠ هـ .
- ٦) محمد بن سنان الكاتب القنوي . وله تحفة الفقراء في علم الميقات .
هؤلاء عرفوا في بلاد الروم . وبعد الاتصال بالقطار العربية عظمت النهضة
ولهذا البحث عمله .

عباس الغزاوي

www.alukah.net

(يتبع)

أقدم تأليف في الحديث النبوي
صحيفة هشام بن مَنبِه ومكانها في تاريخ علم الحديث

- ٢ -

صحيفة هشام بن مَنبِه

المولود سنة ٤٠ (?) ٦ والمتوفى سنة ١٣١ أو ١٣٢ للهجرة ؛
تلميذ أبي هريرة رضي الله عنه المتوفى سنة ٥٨ من الهجرة

مخطوطة دمشق

ورقة الأصل الممشقي (١ ب)

بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم
الحمد لله رب العالمين • والصلوة على
رسوله محمد وآله أجمعين •

حدثنا الشيخ الامام الأجل الأوحى
الحافظ تاج الدين بهاء الاسلام بديع
الزمان ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن
مسعود المسمودي البندهي وفقه الله
وبصره بصيرته بقبه بقراءته علينا
من أصل سماعه المنقول منه في المدرسة
الناصرية الصلاحية خلد الله ملك واقفها

- ٢٢٠ -

في السادس والعشرين من ذي القعدة
سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، قال :
أخبرنا الشيخ الثقة الصالح
أبو الخير محمد بن أحمد بن محمد بن عمر
المقدر الإصهباني قراءة عليه وأنا أسمع ،
قال :

أخبرنا^(١) الشيخ أبو عمرو عبد الوهاب بن
أبي عبد الله محمد بن إسحق بن محمد بن يحيى بن
منده الإصهباني ، قال :

أخبرنا والذي الإمام أبو عبد الله
محمد بن إسحق ، قال :

أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن
الحسن بن الخليل القطان ، قال :
حدثنا أبو الحسن أحمد بن
يوسف السلمي ، قال :

حدثنا عبد الرزاق بن همام بن
نافع الحميري ،

عن مَعْمَر ،

عن هَمَّام بن مُتَيْبٍ ، قال :

هذا ما حدثنا أبو هريرة ،

عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

قال :

(١) من هنا يبدأ سند النسخة البريلية بمد البسطة .

١ - نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم . فهذا يومهم الذي فرض عليهم . فاختلفوا فيه . فهدانا الله له . فهم لنا فيه تبع ؛ فاليهود غداً ، والنصارى بعد غد .

٢ - وقال رسول الله ﷺ : مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابني بيوتاً ، فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبينة من زاوية من زواياها . فجعل الناس يطوفون ، ويمجبههم البنيان . فيقولون : ألا وضعت هاهنا لبنة ، فتم بناؤه ؟ فقال محمد ﷺ : فأنا اللبنة .

٣ - وقال رسول الله ﷺ : مثل البخيل والمتصدق (٢ آ) كمثل رجلين ، عليهما جبتان - أو جنتان - من حديد الى ثدييهما ، أو الى تراقيهما . فجعل المتصدق كلما تصدق بشيء ، ذهب عن جلده حتى تجن بنائه ويمضو أثره . وجعل البخيل كلما أنفق شيئاً ، أو حدث به نفسه ، عضت كل حلقة مكانها ، فيوسمها ولا تتسع .

٤ - وقال رسول الله ﷺ : مثلي كمثل رجل استوقد ناراً . فلما أضاءت ما حوطها ، جعل القمراش وهذه الدواب التي يقعن في النار ، يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ، ويغلبهن ، فيتعحمن فيها . فذاك مثلي ومثلكم : أنا آخذ بحجزكم عن النار : هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتظلبوني تعحمون فيها .

٥ - وقال رسول الله ﷺ : في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، لا يقطعها .

٦ - وقال رسول الله ﷺ : إياكم والظن ، وإياكم والظن ، وإياكم والظن ! فان الظن أكذب الحديث ، ولا تناجشوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تنافسوا ، ولا تباغضوا ولا تدايروا ، وكونوا عباد الله إخواناً .

(٣) بهامش الدمشقية : سقط من اصل السماع كلمة « بنانه » .

(٥) لا يذكر هذا الحديث في رواية ابن حنبل .

- ٧ - وقال رسول الله ﷺ : في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو يصلي يسأل ربه شيئاً إلا آتاه إياه .
- ٨ - وقال رسول الله ﷺ : الملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ؛ ويستمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر . ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ، وهو أعلم بهم ؛ كيف تركتم عبادي ؟ قالوا : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون .
- ٩ - وقال رسول الله ﷺ : الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ، وتقول : « اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه » ، ما لم يحدث .
- ١٠ - وقال رسول الله ﷺ : إذا قال أحدكم آمين ، والملائكة في السماء [آمين] فوافق أحدهما الاخرى ، غُفر له ما تقدم من ذنبه .
- ١١ - وقال أبو هريرة : بينما رجل يسوق بدنة مقلدة ، فقال له رسول الله ﷺ : اركبها . فقال : إنها بدنة ، يا رسول الله . فقال : وبلك ، اركبها ؛ وبلك اركبها .
- ١٢ - (٢ ب) وقال رسول الله ﷺ ناركم هذه ، ما يوقد بنو آدم ، جزء من سبعين جزءاً من حرّ جهنم . فقالوا : والله ، ان كانت الكافيتنا يا رسول الله . قال : فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كاهن مثل حرّها .
- ١٣ - وقال رسول الله ﷺ : لما قضى الله الخلق ، كتب كتاباً ، فهو عنده فوق العرش ، « إن رحمتي غلبت غضبي » .
- ١٤ - وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لو تعلمون ما أعلم ، لبكيت كثيراً ، ولضحكتم قليلاً .

(١٢) في المخطوطين : « بنو آدم » .

(١٤) وهو بين ١٤ و ١٥ - زاد ابن حنبل هنا حديثاً لا يوجد في المخطوطتين وهو :
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه » .

م (٨)

١٥ - وقال رسول الله ﷺ : الصيام جُنَّةٌ . فإذا كان أحدكم يوماً صائماً ، فلا يجهل ، ولا يرفث . فان امرؤاً قاتله ، أو شاتمته ، فليقل : إني صائم ، إني صائم .

١٦ - وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، خلوف في الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ؛ يذر شهوته وطماعه وشرابه من جراي ؛ فالصيام لي ، وأنا أجزي به .

١٧ - وقال رسول الله ﷺ : نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة ، فلدغته نملة . فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ؛ فأمر بها فأحرقت في النار . فأوحى [الله] إليه : فهلا نملة واحدة ؟ !

١٨ - وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لولا أن أشق على المؤمنين ، ما قدمت خلف سرية تنزوا في سبيل الله . ولكن لا أجد سعة فأحلمهم ، ولا يجذبون سعة فيتبعوني ، ولا نطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي .

١٩ - وقال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة تستجاب له . فأريد ، ان شاء الله أن أؤخر دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة .

٢٠ - وقال رسول الله ﷺ : من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه . ومن لم يحب لقاء الله ، لم يجب الله لقاءه .

٢١ - وقال رسول الله ﷺ : (٣ آ) من أطاعني ، فقد أطاع الله ؛ ومن عصاني ، فقد عصى الله ؛ ومن بطع الأمير ، فقد أطاعني ؛ ومن بعص الأمير ، فقد عصاني .

٢٢ - وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ، فيفيض ، حتى يهيم رب المال من يتقبل منه صدقته . قال : ويقبض العلم ،

(١٩) بهامش الدمشية : « خ أدخر » . وفي البرلينية : « ادخر » في اللتان ، وفي « اوخر » بالهامش .

ويقرب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج ، قالوا : الهرج ، ما هو ،
بارسول الله ؟ قال : القتل ، القتل .

٢٣ - وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ،
تكون بينهما مقتلة عظيمة ، ودعواهما واحدة .

٢٤ - وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون
قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله .

٢٥ - وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من
مغربها . فاذا طاعت وراها الناس ، آمنوا أجمعون . وذلك حين لا ينفع نفساً
إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

٢٦ - وقال رسول الله ﷺ : اذا فودي بالصلاة ، أدير الشيطان ،
له ضراط ، حتى لا يسمع التآذين . فاذا قضي التآذين أقبل ؛ حتى اذا ثوب
بها أدير ؛ حتى اذا قضي التثويب ، أقبل يحظر بين المرء ونفسه ، ويقول له :
« اذكر كذا ، اذكر كذا ، لئلا يكون يذكرك من قبل ؛ حتى يظل الرجل
إن بدري كيف صلي .

٢٧ - وقال رسول الله ﷺ : بين الله ملائ ، لا يفيضها نفقة سخاء
الليل والنهار . أرايتم ما أتفق منذ خلق السماء والأرض ؟ فانه لم ينقص مما في
يمينه . قال : وعرشه على الماء . ويده الأخرى القبض ، يرفع ويخفض .

٢٨ - وقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، لياتين على احدكم يوم
لا يراني ، ثم لأن يراني أحب اليه من مثل أهل و ماله معهم .

٢٩ - وقال رسول الله ﷺ : يهلك كسرى ثم لا كسرى بعده ،
ونبصر ليهلكن ، ثم لا يكون قبصر بعده ؛ ولتبنفن كنوزهما في صبيال الله .
وسمى الحرب « خدعة » .

- ٣٠ - وقال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل قال : أعددت (٣ ب) لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .
- ٣١ - وقال رسول الله ﷺ : ذروني ما تركتكم . فانما هلك الدين من قبلكم بسؤالم واختلافهم على أنبيائهم . فاذا نيتكم عن شيء فاجتنبوه ، واذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم .
- ٣٢ - وقال رسول الله ﷺ : إذا نودي للصلاة ، صلاة الصبح ، وأحدكم جنب ، فلا يصوم يومئذ .
- ٣٣ - وقال رسول الله ﷺ : لله تسعة وتسعون اسماً ، مائة الا واحداً . من أحصاها دخل الجنة . إنه وتر ، يجب الوتر .
- ٣٤ - وقال رسول الله ﷺ : إذا نظر أحدكم الى من هو أفضل عليه في المال والحلنى ، فلينظر الى من هو أسفل منه بمن فضل عليه .
- ٣٥ - وقال رسول الله ﷺ : طهور إناء أحدكم ، اذا ولغ الكلب فيه ، فليغسله سبع مرات .
- ٣٦ - وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لقد هممت أن آمر فتيانى أن يستعدوا لي بجزم من حطب ، ثم آمر رجلاً يصلي بالناس ، ثم أحرق بيوتاً على من فيها .
- ٣٧ - وقال رسول الله ﷺ : نصرتُ بالرعب . وأوتيت جوامع الكلم .
- ٣٨ - وقال رسول الله ﷺ : اذا انقطع شسع نمل أحدكم ، أو شراكه ، فلا يمش في إحداهما بنمل واحدة ، والأخرى حافية : ليخفها جميعاً أو لينعلها جميعاً .

(٣١) في المخطوطتين بالهامش : « خ تركتم » (أي بدل : تركتكم) . د بالهامش : « خ فاشيروا » .

(٣٥) بهامش البرلينية : « خ طهر » (أي بدل : طهور) .

(٣٧) بهامش الدمشقية : « خ الكلام » (أي بدل : الكلم) .

٣٩ - وقال رسول الله ﷺ : لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم أكن قد قدرته ، ولكن يلقه النذر وقد قدرته له ، استخرج به من البخيل ويؤتيني عليه ما لم يكن آتاني من قبل .

٤٠ - وقال رسول الله ﷺ : إن الله قال : « أنفق أنفق عليك » .

وسمى الحرب « خدعة » .

٤١ - وقال رسول الله ﷺ : رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق . فقال له

عيسى : [سرقت ؟ فقال : كلا ، والذي لا إله إلا هو . فقال عيسى : آمنتُ بالله وكذبتُ عيني .

٤٢ - وقال رسول الله ﷺ : ما أوتيكم من شيء ، ولا أمنعكموه .

إن أنا إلا خازن أضع حيث أمرتُ .

٤٣ - وقال رسول الله ﷺ : (٤ آ) إنما الإمام ليؤتم به . فلا

تختلفوا عليه . فاذا كبر ، فكبروا ؛ واذا ركع ، فاركعوا ؛ واذا قال :

سمع الله لمن حمده ، فقولوا : « اللهم ربنا لك الحمد » ؛ فاذا سجد ، فاسجدوا .

واذا صلى جالساً ، فصلوا جالساً أجمعين .

٤٤ - وقال رسول الله ﷺ : أقيموا الصف في الصلاة . فان اقامة

الصف من حسن الصلاة .

٤٥ - وقال رسول الله ﷺ : تحاج آدم وموسى . فقال له موسى

أنت آدم الذي أغويت الناس فأخرجتهم من الجنة الى الأرض ؟ فقال له آدم :

أنت موسى الذي أعطاه الله علم كل شيء ، واصطفاه على الناس برسالته ؟

قال : نعم . قال : أنلومني على أمر قد كتب علي أن أفعل من قبل أن أخلق ؟

فحج آدم موسى .

(٤١) ضاع ورقة في ب . و [] « علامة ابتداء السقطه .

٤٦ - وقال رسول الله ﷺ: بينما أيوب يغتسل عرياناً ، خرّ عليه رجل جراد من ذهب . فجعل أيوب يخي في ثوبه . قال : فناداه ربه : يا أيوب : ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لا غنى لي عن بركتك .

٤٧ - وقال رسول الله ﷺ : خفف على داود القرآن . فكان يأمر بدوابه نسرج . فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته . وكان لا يأكل إلا من عمل يديه .

٤٨ - وقال رسول الله ﷺ : رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .

٤٩ - وقال رسول الله ﷺ : يسلم الصغير على الكبير ، والمارة على القاعد ، والقليل على الكثير .

٥٠ - وقال رسول الله ﷺ : لا تزال أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله . فاذا قالوا لا اله الا الله ، فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم وأنفسهم إلا بحقها وحسابهم على الله .

٥١ - وقال رسول الله ﷺ : تحاجت الجنة والنار . فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : فمالي ، لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغمرتهم . فقال الله للجنة : إنما أنت رحمتي ، أرحم بك من أشاء من عبادي . وقال للنار : إنما أنت عذابي : أعذب بك من أشاء من عبادي . ولكل واحدة منكما ملؤها . فأما النار فلا تمتلي حتى يضع الله تعالى فيها رجله فتقول : قطر قطر . فهناك تمتلي ويزدي بعضها الى بعض . ولا يظلم الله من خلقه (٤ ب) أحداً . وأما الجنة فان الله عز وجل ينشي لها خلقاً .

٥٢ - وقال رسول الله ﷺ : إذا استجمر أحدكم فليوتر .

٥٣ - وقال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : اذا تحدثت عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ، ما لم يعملها ؛ فاذا عملها فأنا أكتبها له

بمشر أمثالها . واذا تحدث بأنت يعمل صينة فأنا أغفرها له ما لم يعملها ؛
فاذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها .

٥٤ - وقال رسول الله ﷺ : والله ، لقيد صوط أحدكم من الجنة خير له
ما بين السماء والأرض .

٥٥ - وقال رسول الله ﷺ : ان أدنى مقعد أحدكم من الجنة ان هي له
ان يقال له : تمن . فيسئى ويتنى . فيقال له : هل تنيت ؟ [فيقول : نعم .
فيقول له : فإن لك ما تنيت ومثله معه .

٥٦ - وقال رسول الله ﷺ : لولا الهجرة ، لكنت امراً من الأنصار .
ولو يندفع الناس في شعبة ، أو في وادٍ ، والأنصار في شعبة ، لاندفعت
مع الأنصار في شعبي .

٥٧ - وقال رسول الله ﷺ : لولا بنو اسرائيل ، لم يخبث الطعام
ولم يخبز الخبز . ولولا حواء ، لم تخن أنثى زوجها الدهر .

٥٨ - وقال رسول الله ﷺ : خلق الله آدم على صورته : طوله ستون
ذراعاً . فلما خلقه ، قال : « اذهب فسلم على أولئك النفر » - وهم نفر من
الملائكة جلوس - « فاستمع ما يحبونك . فانها تحبك وتحية ذريتك » . قال :
فذهب ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، فزادوا
« ورحمة الله » . قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم : طوله ستون
ذراعاً . فإي زل الخلق ينقص بعد حتى الآن .

٥٩ - وقال رسول الله ﷺ : جاء ملك الموت الى موسى ، فقال له :

(٥) « [] » علامة انتهاء السطبة في ب .

(٥٧) في انخطوطين : « بنو اسرائيل »

(٥٨) بهامش البرلينية : « خ مما : يحبونك » (اي بدل : يحبونك) . وفيه أيضاً

« خ مما فزادوه » (اي بدل : فزادوا) .

أجيب ربك . قال : فلطم موسى عين ملك الموت ، ففقاها . قال : فرجع الملك الى الله عز وجل ، فقال : إنك أرسلتني الى عبد لك لا يريد الموت ؛ وقد فقأ عيني . قال : (٥٠ آ) فردَّ الله اليه عينه ؛ قال : ارجع الى عبدي فقل له : الحياة تريد ؟ فان كنت تريد الحياة ، فضع يدك على من ثور ؛ فما وارت يدك من شجرة فانك تمشي بها سنة . قال : ثم مه ؟ قال : ثم تموت . قال : فالآن من قريب . قال : رب ادنني من الأرض المقدسة رمية بحجر . وقال رسول الله ﷺ : لو أني عنده ، لأربتكم فبره الى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر .

٦٠ - وقال رسول الله ﷺ : كانت بنو اسرائيل يغتسلون عمارة ينظر بعضهم الى سوءة بعض ، وكان موسى يغتسل وحده . فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر . قال : فذهب مرة يغتسل ، فوضع ثوبه على حجر ، ففرَّ الحجر بثوبه . قال : فجمع موسى في أثره ، يقول : « ثوبي ، حجر ؛ ثوبي ، حجر ! » حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوءة موسى ، فقالوا : والله ، ما بموسى من بأس . قال : فقام الحجر بعد ما نظر اليه ، فأخذ ثوبه ، وطلق بالحجر ضرباً . فقال أبو هريرة : والله ، إنه ندب بالحجر ستة أو سبعة ضرب موسى بالحجر .

٦١ - وقال رسول الله ﷺ : ليس الفتي من كثرة العرض ، ولكن الفتي غنى النفس .

٦٢ - وقال رسول الله ﷺ : إن من الظلم مطل الفتي . وإن اتبع أحدكم على مليء فليتبع .

٦٣ - وقال رسول الله ﷺ : أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخيه وأغيظه عليه رجل كان يسمى ملك الأملاك ، لا ملك الا الله عز وجل .

(٦٠) في المخطوطتين : « بنو اسرائيل » .

- ٦٤ - وقال رسول الله ﷺ : بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه ، خف به الأرض . فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة .
- ٦٥ - وقال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي .
- ٦٦ - وقال رسول الله ﷺ : من يولد ، يولد على الفطرة . فأبواه يهودانه وينصرانه . كما تنتجون البيهمة ، هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدونها ؟ قالوا : (هـ ب) يا رسول الله ، أفأرأيت من يموت ، وهو صغير ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين .
- ٦٧ - وقال رسول الله ﷺ : إن في الانسان عظماً ، لا تأكله الأرض أبداً . فيه يركب يوم القيامة . قالوا : أي عظم ؟ قال : عجم الذنب . وقال أبو الحسن : إنما هو « عجب » ، ولكنه قال بالميم .
- ٦٨ - وقال رسول الله ﷺ : إياكم والوصال ، إياكم والوصال ، قالوا : فانك تواصل يا رسول الله . قال : اني لست في ذلكم مثلكم : اني أبيت يطعني ربي ويسقيني ؛ فاكفلوا من العمل ما لكم به طاقة .
- ٦٩ - وقال رسول الله ﷺ : اذا استيقظ أحدكم فلا يضع يده على الوضوء حتى يغسلها . إنه لا بدري أحدكم أين باتت يده .
- ٧٠ - وقال رسول الله ﷺ : كل صلاحي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع عليه الشمس . قال : تمدل بين الاثنين ، صدقة . وتعين الرجل في دابته وتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه ، صدقة . والكلمة الطيبة ، صدقة . وكل خطوة تمشيها الى الصلاة ، صدقة . وتيمط الأذى عن الطريق ، صدقة .

الدكتور محمد هجيم الله

(يتبع)

www.alukah.net

التعريف والنقد

اللغة العربية

أصولها النفسية وطرق تدريسها

تأليف الدكتور عبد العزيز عبد المجيد (دار المعارف بمصر)

هذا الكتاب انما هو خلاصة تجارب الدكتور عبد العزيز عبد المجيد وقراءته ومباحثه ودراساته في ميدان تدريس اللغة خلال اثني عشر عاماً .
أصبح التدريس علماً وفناً بعد أن كان فناً على نحو ما أشار اليه المؤلف في المقدمة وأصبحت له قواعد نظرية كشفت عنها علم النفس وقد ذكر المؤلف هذه القواعد في مؤلفه على قدر ما وصل اليه العلماء في مباحثهم وتجاربهم وأضاف الى هذا كله نتائج تجاربه الخاصة في تدريس اللغة العربية على اختلاف مراحل هذا التدريس .

قد يطول الكلام على الموضوعات التي خاض فيها صاحب الكتاب وأكثرها حديث لم تشر اليه كتب اللغة في قديم عصورنا وانما هو من مستحدثات هذا العصر وقد استشهد المؤلف بأراء كثير من العلماء في تعريف اللغة وفي الصلة بينها وبين الفكر وفي المراكز العصبية للغة وغير ذلك من الموضوعات الدقيقة ولئن اهتم علماء اللغة بمعرفة تكوين اللغات وما لتركيب الأعضاء وعلم النفس والاجتماع من أثر في هذا التكوين فانما نهتم معاصر الأدياء باللغة من حيث أنها أداة تنقل بها الى الناس أفكارنا وشعورنا وحسنا وذوقنا وينقل الناس بها البنا هذه الأمور كلها وعلى ما به فلا بد لنا في مثل هذا الاهتمام من معرفة أصول تدريس هذه اللغة والاهتمام الى ذوق محاسنها والأستاذ المؤلف مارس

هذا التدريس وتدل على براعته في هذه الممارسة نظراته الثاقبة في تدريس البلاغة أو في فهم الشعر ومن هذه النظرات اشارته المختصرة الى آيات البحتري المشهورة في وصف الربيع فبعض أساندة الأدب اذا بلغوا الى هذه الآيات وامثالها اقتصروا على شرح ألفاظها ومشتقاتها وعرضوها عرضاً جامداً لا حياة فيه فذهبوا بنصرتها وروعيتها وقضوا على محاسنها لأنهم لم يدركوا حقيقة أصوات الطبيعة فيها وحركتها وإشاراتها وألوانها ومن نظراته الثاقبة اشارته الى بعض آيات المعري وارشاده الى أسلوب تدريس هذه الآيات .

أجل ! انا لا تهتم معاشر الأدباء بفهم اللغة من ناحية الأعضاء أو علم النفس والاجتماع بقدر اهتمامنا بهذا الفهم من ناحية التدريس فقد يمر بنا في خلال التدريس لفظ محسوس يكاد يكون صورة ناضقة بنفسه أو قد يمر بنا لفظ شديد التناسب بينه وبين معناه فهمتتا في التدريس الاشارة الى هذا اللفظ واستخراجه من مدقنه وعرضه على الأذهان حتى تشر بمحاسنه وحتى تذوق هذه المحاسن فاذا لم تفهم حسن الألفاظ حتى تفهم فقد تخفق في نقل أفكارنا وشعورنا الى الناس وما يقال في مفردات اللغة يقال في الجمل فالبلاغة لا تدرس مجردة والتعريفات الجامدة لا قيمة لها وانما البلاغة تدرس في قطعة من القطع الأدبية فالأستاذ الذي يفسر نصاً أدبياً يشير الى ما اشتمل عليه هذا النص من وجوه البلاغة وعلى هذا الشكل يكون ادراك الطالب للبلاغة ولسر الألفاظ والجمل أتم .

هذا كله أشار اليه الدكتور عبد العزيز عبد الحميد في كتابه وهذا هو الذي يهمننا معاشر الأدباء من كتابه الحديث في آرائه ومذاهبه ، انا في حاجة شديدة الى أساليب حديثة في فهم لغتنا وأدبنا واذا كنا نمر في كثير من الأحيان بقطع أدبية تكاد تكون آية في البلاغة وحسن التنسيق فقد نمر في بعض الأحيان بفصول كاملة تكاد تكون فوضى ولا سيما فصول التراجم

فقد يشير المؤلف الى وفاة الرجل قبل الاشارة الى ميلاده وبذكر مؤلفاته قبل ذكر ثقافته وأساتذته وينقد طائفة من هذه المؤلفات قبل الاشارة اليها وهذا كله يؤثر في تفكيرنا أسوأ تأثير ويجعل هذا التفكير فوضى لا نظام له ، نبدأ من حيث يجب أن تنتهي ، وننتهي من حيث يجب أن نبدأ .

فاذا كان فضل الدكتور عبد العزيز عبد المجيد عظيماً في تعريفنا باللغة من حيث صلتها بتكوين الأعضاء أو بعلم النفس أو بالاجتماع فان فضله أعظم من حيث ارشادنا الى تدريس اللغة والأدب على أحدث الأساليب .

طبقات فحول الشعراء

تأليف محمد بن سلام الجمحي

شرحه محمود عبد شاکر (دار المعارف للطباعة والنشر)

صدر الأستاذ محمود محمد شاکر كتاب طبقات فحول الشعراء بمقدمة بسط فيها أول عهده بهذا الكتاب وبين كيف عثر على نسخته المخطوطة وأشار الى طبع كتاب طبقات الشعراء لأول مرة ووضح الاختلاف بين نسخته التي ظفر بها وبين النسخ المطبوعة ثم دون ترجمة راوية الكتاب أبي خليفة الجمحي وهو ابن اخت محمد بن سلام صاحب الطبقات كما دون ترجمة ابن سلام نفسه ورد على المستشرق الألماني يوصف هيل وجمع من كتاب الأغاني لأبي الفرج كل ما وقف عليه مما فيه ذكر ابن سلام وتولى شرح الديوان وخالف في بعض شرحه بعض ما ذهب اليه الأئمة .

من هذه المخالفات ما جاء في شرح آيات الفرزدق المشهورة :

وركب كأن الريح نطلب عندهم لها ثرة من جذبها بالعصائب
سروا يركبون الريح وهي تلفهم الى شمب الأكوار ذات الحقائب

قال الأستاذ في الشرح : وأجود الروايات : يخبطون الليل ويركبون الليل ٠٠٠
فلو قال : وفي رواية : يخبطون الليل أو يركبون الليل ٠٠٠ لما كان لنا اعتراض ،
أما أن يقول : وأجود الروايات ٠٠٠ فهذا كلام قد يكون لنا رأي فيه فان
كلمة الريح في بيت الفرزدق تكاد تكون صورة شعرية ناطقة بسبب هذه المناسبة
الشديدة بين السرعة وبين الريح ، فضلاً عن أن العصر الذي نعيش فيه انما
هو عصر الطائرات ، فاذا أحيينا أن نقول الشعر في طيار من الطيارين أفترى
أصلح من قولنا : يراكب الريح ! على أن المسألة مسألة ذوق في اختيار الألفاظ
ولا جدال في الأذواق .

وإذا أحبب أن أجمل خصائص مقدمة الاستاذ محمود محمد شاكر وخصائص
شرحه فاني لا أرى مندوحةً عن الاعتراف بظهور آثار التحقيق والتدقيق على
هذه المقدمة وهذا الشرح ، دع أن الأستاذ منصف كل المنصف فقد رغب
الى كل من يعنى له رأي في شيء مما ذكره وأشار اليه أو في نقد لما قاله أو فعله
أن يرسل اليه هذا الرأي وهذا النقد .

أما كتاب طبقات فحول الشعراء فقد فصل فيه الجحى الشعراء من أهل
الجاهلية والاسلام والمخضرمين فنزلهم منازل واحتج لكل شاعر بما وجد له من
حجة وما قال فيه العلماء ومضى له قول في الشعر واختلاف العلماء فيه وفي صناعته
وثقافته وذكر أول من تكلم بالعربية وأول من استثنى وفتح بابها وأنهج سبيلها
ووضع قياسها وهو أبو الأسود الدؤلي وذكر من جاء بعده ثم رجع الى الكلام
على الشعر في الجاهلية والاسلام وعلى ذهابه وسقوطه ثم ذكر بعض ما روي من
قديم الشعر وأشار الى بعض الزيادات التي زادها الرواة والى بعض التوليدات
التي ولدها .

إذا كنا نطالع كتاب طبقات فحول الشعراء ليكون لنا رأي في طبقة

كل شاعر في الشعر فهذا أمر غير يسير ، فن كلام بونس بن حبيب : ما ذكر جرير والفرزدق في مجلس شهادته قط فاتفق المجلس على أحدهما ، معنى هذا أن الأذواق تختلف اختلافاً عظيماً في تقدير نتاج الخواطر وثمرات القرائح ومهما نشأ أن نضع قواعد عامة في النقد فقد تكون قاعدة هذا الاختلاف أعمّ القواعد لأن لكل ناقد رأياً خاصاً وذوقاً خاصاً وشموراً خاصاً ومن الصعب أن نجد اجماعاً في أمور الفن يشبه الإجماع في أمور العلم .

أما إذا كنا نطالع كتاب الجحجي لندرى فيه اثرًا من آثار الشمور والعاطفة والوصف في شعر بعض أهل الجاهلية والاسلام والخفصميين فقد نظفر من هذا كله بأشياء كثيرة حتى إذا أراد ناقد الشعر على مختلف أزماته وأحواره أن يقابل ويوازن ويقايس فإنه يرى مجال هذه المقابلات والموازنات والمقاييس ذات صفة وكذلك إذا أراد عالم اللغة أن يشهد حياة الألفاظ التي تعيش في عصر من العصور ثم تموت في عصر آخر فإنه يشهد من هذا الشكل أموراً غريبة تدل على أن الألفاظ تولد فتعيش وتموت على نحو الخلقوات الحية .

سفيان مبري

مجمع اللغة العربية

تصحيح خطأ مطبعي

وقع خطأً في الصفحة (٢٤) من مقال : « تعريف الاصطلاحات العلمية » المنشور في الجزء الأول من المجلد الثامن والمشرين ما يلي :
« مع تبديل وتحديد معناه تحديداً جديداً » وصوابه « مع تبديل معناه وتحديد معناه تحديداً جديداً » .

وجاء في الصفحة ٢٧ من المقال نفسه «Hypothèse» وصوابه «Hypothèse» .

تهذيب الصحاح

معجم (الصحاح) للجوهري أشهر معاجم اللغة وأوثق مصادرها . وانفط الصحاح يجوز فيه كسر الصاد جمعاً لصحيح وفتحها وصفاً مفرداً بمعنى الصحيح . وإنما سمي به لأن مؤلفه رحمه الله توخى أن يدون فيه ما ثبتت عنده صحة استعماله في كلام العرب . ولا سيما الذين سكنوا ديار مصر منهم . ووقع في (الصحاح) هنات : من مثل تكرر الكلام في شرح بعض المواد اللغوية واستطرادات قليلة لا فائدة فيها ووهم في تفسير بعض كلمات اللغة - كل ذلك حمل الفضلاء والفتير على اللغة العربية وعلى مصدر يعتبر في طليعة مصادرها - حملهم على العناية بهذا الكتاب شرحاً وتعليقاً واستدراكاً . ومن جملة خدمتهم له تهذيبه بحذف ما لا يعلق بتصلحة الطالب المستفيد . وأشهر تهذيبيه وأقدمها نشرها وطبعها كتاب (مختار الصحاح) . ومن أمتعها فائدة وأجزؤها عائدة (تهذيب الصحاح) تأليف (محمود بن احمد الزنجاني) الذي استشهد في فتنة التتار ببغداد سنة ١٠٥٦ هـ وقد وجدت مخطوطة من هذا الكتاب نادرة في خزانة كتب الأستاذ الشيخ محمد سرور الصبان فأحب نشرها بالطبع ليرتوي النشء من منهلها العذب . ويحتجوا من أدواحها الثمر الرطب . فهدى بذلك الى أستاذين فاضلين من أشهر رجال الثقافة اللغوية العربية وأنشطهم في نبش آثارها والكشف عن أسرارها : أحدهما حجازي وهو احمد عبد الغفور عطار والآخر مصري وهو عبد السلام محمد هارون . فقاما بهذه المهمة خير قيام . وأحكموا صنعها أحسن إحكام . وطبع الكتاب في (دار المعارف) مهدي الى صاحب الجلالة (عبد العزيز آل سعود) ومزينا برسمه الكريم ومفتتحاً بثلاث مقدمات بقلم صاحب النسخة ومحققها الفاضلين ومفرداً بثلاثة أجزاء أو ثلاثة أقسام بلغ عدد صفحاتها أكثر من ألف ومئة صفحة . وقد طبع مع القسم الثالث ملاحق وفهارس تصلح أن تكون جزءاً قائماً بنفسه . والمهم من ذلك كله التلميحات التي

طبعت في ذيل الصفحات شرحاً وبيانا لموضع الحاجة في الكتاب وهي التي جعلت الكتاب أجزاء فخمة ولو اقتصر فيه على ما قاله المؤلف الزنجاني وانتقاءً وهذا به لما تخطى أن يكون الكتاب جزءاً لطيف الحجم كمختار الصحاح مثلاً . فيكون ناشر الكتاب تجاوزوا غرض المؤلف وعادوا على موضوعه بالنقض : هو أراد أن يخفف مؤنة اللغة على طالبها فيكون (الصحاح) كتاباً خفيف الحمل قريب التناول والناشرون أبى حرصهم على العلم ونشر فوائده إلا أن يجهلوا من الكتاب بجزءاً خضياً . هذه بادرة أو خاطرة عابرة - كما يقولون - والافتقار يحظى بحب اللغة والحريص على شواردها وفوائدها يمثل هذا الكتاب جمعاً وتحقيقاً وحسن ايراد ولطيف مأخذ . والكلام على ما ألف في اللغة من كتب ومعاجم والمقارنة بينها ومنزلة (الصحاح) منها وتماذيبه والموازنة بينها والمؤلف وشيء من سيرته وصائر ما له علاقة بالتعريف بهذا الكتاب - كل ذلك أتى عليه الأستاذ (احمد عبد الغفور العطار) في مقدمته الثالثة للكتاب . والنفس تنازعني أن أنقل بعض التعليقات على ذلك الكتاب لكن رأيت أن الأمر يطول وأن الأجدد بي أن أنقل اليه بعض ما كتبه (الأستاذ العطار) في مقدمته لتعريف بهذا الكتاب :

قال : ان نسخة تهذيب الصحاح هي نسخة فريدة نادرة في خزائن العالم جميعاً ، كتبت بخط يشبه خط القرن التاسع الهجري ، وليس على النسخة اسم الكتاب ولا مؤلفه ، ولم نجد فيما لدينا من المراجع نصاً صريحاً يدلنا عليه ، وأما اسم مؤلفه فقد اهتمدنا اليه بما ورد في مقدمة الكتاب اني نقل بعضها السيد محمد صديق حسن خان بهادر ، ملك مملكة جهوبال في صفحة ١٢٩ من كتابه « البلفة في أصول اللغة » في الفصل الذي عقده عن صحاح الجوهري ، وذكر أنها مقدمة محمود بن احمد الزنجاني للكتاب الذي اختصر فيه كتابه الآخر « ترويح الارواح » في تهذيب الصحاح .

وهذا نص « البلفة » : « واختصره محمود بن احمد الزنجاني المتوفى سنة ٠٠٠ . قال : لما فرغت من كتاب ترويح الأرواح ، في تهذيب الصحاح ، ووقع حجمه موقع الخمس من كتابه بتجريد لفته من النحو والتصريف الخارجين عن فنه ، واصقاط ما لا حاجة اليه من الأمثال والشواهد أوجزته ايجازاً ثانياً حتى وقع حجمه موقع العشر » .

قال : وقد فكرنا في اختيار اسم لهذا الكتاب الذي لم يسم على نسخة الأصل ولا في المراجع التاريخية ، فرأينا أن نقبس له اسماً من الكتاب الآخر للمؤلف ، وهو « ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح » فأسميناه « تهذيب الصحاح » .

رحلة « ريج Rich » في العراق

عام ١٨٢٠ م

من يوم أن التحقت البلاد العربية بالدولة العثمانية وأصبحت جزءاً منها (أي منذ أربعمئة سنة) نزلت آية الحجاب عليها : فلم يمد أحد من كتابنا معشر العرب يدون آثارها ويبلو أخبارها . وإذا ذكر شيء من وقائمه التاريخية فأنما يذكر عرضاً في تضايف ما يكتب عن تاريخ العثمانيين ومختلف أخبارهم . وكما أنه لم نوضع كتب تاريخ مستقلة لبلادنا كذلك لم يخصص أحد برحلة فيدون في رحلته ما رأى وسمع من تراجم أشخاص أو وصف آثار أو حكاية وقائع وأخبار . كما فعل (الشيخان المغربيان ابن جبير وابن بطوطة في تدوين أخبار رحلتهما الى الأقطار المشرقية قبيل ظهور الدولة العثمانية) اللهم الا الشيخ عبد الغني النابلسي السمطي فان رحلاته كشفت عن شيء من حالة البلاد التي زارها منذ ٢٥٠ سنة . ووصفت جانباً من ثقافة سكانها وأطوار حياتهم الاجتماعية . لكنته وصف مزوج بقليل من التحقيق وبكثير من البحوث الدينية التي قد يلذها قراء زمانه وبمبالغات في تخليقة

م (٩)

الأشخاص واطراء الحكام اقتضتها طبيعة ذلك العهد وطريقة أهله في ايراد الحوادث
 وسرد الوقائع مفرغاً ذلك كله في قالب مسجع . وأسلوب مسهب متكاف .
 ولم نظفر بصورة كاملة عن حياة أسلافنا المتأخرين ومستوأم الاجتماعي والاخلاقي
 الا في ما كتبه سياح الافرنج في رحلاتهم الى الشرق العربي : فان من علق بشيء
 مما كتبه عن بلادنا في تلك الحقبة ظفر بفائدة لا توصف . وشعر بلذة لا تنسى .
 وخاصة ما كان من تلك الرحلات محلى برسوم الأماكن وصور الأشخاص
 كالرحلة التي أهديت الى مجمعاً أخيراً وهي (رحلة ريج Rich في العراق عام ١٨٢٠ م)
 وريج هذا هو (كلود لويس جيس) ممثل شركة الهند الشرقية والمقيم البريطاني
 في بغداد في أوائل القرن ١٩ كتبها بالانكليزية وطبعها أرملته سنة ١٨٣٦
 أي بعد وفاته ونقلها الى اللغة العربية الأستاذ بهاء الدين نوري أحد فضلاء العراق
 وطبعت الترجمة في مطبعة السكك الحديدية ببغداد سنة ١٩٥١ م . والمطبوع من
 ترجمة الرحلة هو جزؤها الأول وقد أُلحق به الفصل ١٢ من الجزء الثاني وستة
 ملاحق أخرى فبلغت نحو ٣٥٠ صفحة . والكل بدور الحديث فيه حول
 وادي دجلة وما عليه من العمران وقديم البنيان ومن فيه من السكان : عرب ،
 ترك ، إيرانيين ، نسطوربين ، أكراد ، يزيدية ، يتخلل ذلك رسوم أثرية
 وصور أشخاص مختلفي الجنسية : جنديان كرديان . زوجان نسطوربان . زوجان
 يزيديان . سيدات كرديات يرقصن . وغير ذلك من الوقائع والحوادث يقصها
 (ريج) على قاري رحلته فيجعله كأنه معه بعينه وأذنه : فيسمع عن (أمجاد الأكراد)
 و (تحت سليمان) و (الصلاة الشرقية) و (شهر رمضان) و (تقوى محمود باشا)
 و (مقالات مضحكة) و (لعبة غريبة) و (اليهود) و (حفلة عرس)
 والأكراد : نساؤهم ، جنائزهم ، أخلاقهم ، مقارنة بينهم وبين الأتراك والإيرانيين
 الى غير ذلك من شؤون شتى : إدارية وسياسية واقتصادية واثنو جغرافية وعلاقات
 دبلوماسية بين تركيا وإيران .

وهل كان المؤلف (ربيع) موضع ثقة في ما قال ومرد من الحوادث والأخبار ؟
سأل المترجم الفاضل المستر لونغكريك (مؤلف كتاب أربعة قرون من تاريخ
العراق الحديث) عن رأيه في مادونه (ربيع) في رحلته هذه فلم يجده ميالاً
الى الأخذ بكل ما جاء فيها عن الأكراد . بينما يرى المستر مينورسكي أحد أعلام
الدراسات الشرقية يستشهد في بحث له عن (القرآن) بما قاله (ربيع) عنهم
في رحلته المذكورة .

ذكر المترجم كل هذا في مقدمته للكتاب وارتأى أن لا يؤخذ بما في الرحلة
من دون تمحيص : لأن ربيع لم يرحل الى العراق لدراستها دراسة مؤرخ محقق
بل ما كان الوقت الذي قضاه فيها كافياً للدراسة العميقة لو أرادها . وكل
ما أرادته الراحة والاستجمام . ومهما يكن فان في كثير مما جاء في هذه الرحلة
جلاً لكثير من غموض غشى تاريخ بلاد العراق والأكراد وحالة سكانها .
هذا ملخص ما جاء في مقدمة المترجم الأستاذ بهاء الدين نوري . وقد نُشر بعدها
مقدمة لناشرة الكتاب زوجة ربيع . ثم ترجمة مسهبة لربيع نفسه ضمنها كثيراً من أطواره
ومختلف أخباره ، واليكم نماذج من الكتاب تصف بعض ما فيه من مفاجآت
تاريخية يحرص على مثلها عشاق المطالعة ورواد الأخبار :

(السليمانية عاصمه بلاد الأكراد منذ مئة وعشر سنوات) تحتوي على النى دار
للمسلمين و (١٣٠) لليهود و (٩) للكلدانيين الذين لهم كنيسة صغيرة كنيية .
وخمس دور للأرمن وهؤلاء لا كنيسة لهم ولا قيس . وخمس خانات . وخمس
حمامات منها واحد جيد وخمس جوامع منها واحد جيد .

(وصف حمام) : قال (ربيع) : ذهبت صباح اليوم الى الحمام فألفيته جميلاً
جداً وكانت إضاءته جيدة والخدمة فيه حسنة . ووجدته أرقى من كل حمام
شاهدته في المملكة التركية عدا حمامات الشام واستامبول والقاهرة بل ويمتاز
على هذه في بعض النواحي . مُلِطت جدرانته بملاط خافقي وصُبع على الطراز

المربي وزوق بالأحواض ذات النافورات . شيدته باشا السلجانية على نفقته مستخدماً
مهارين إيرانيين . يقال انه قلد فيه حمام كرمانشاه . والمسلم ينفق المال بسخاه
على الحمام وبعد ذلك نوعاً من التقوى . والجيش في الحروب لا تتعدى على
الحمامات وقد يحميها مالكمها بوقفها .

(وصف الصلاة الاسلامية) قال : أُنِيحت لي فرصة لرؤية أمر كثيراً ما استرعى
انتباهي : ألا وهو أن الصلاة الشرقية ليست إلا أمراً غطياً رتيباً (رُوتينياً) .
ثم وصف (ربيع) تهبؤ مضيغه الكردي للصلاة وخشوعه وإصداره الأوامر الى خدمه
خلال الصلاة الى أن قال : (وكثيراً ما لاحظت عدم المبالاة من المسلمين
اذ يتكلمون أو يتعاطبون أو ينظرون الى ما حولهم وهم ركع . والواقع ان هذه
الصلاة صلاة أسلوبية لا تتغير بل تتردد وتكرر الى حد أن أصبحت تحاكي
التثيل الصامت المضحك) .

كذا قال (ربيع) ولعمري ان جهله في وصف صلاتنا مضحك صارخ لاصات .
والا فان الأكراد شوافع وعرفوا من بين المسلمين بالتمسك بالدين . وهل يعقل
أن يتكلموا في الصلاة وهم راكعون . وبذكرا هذا بما نقلناه في المقدمة عن
المستر لونهاكريك من أنه لا يستحسن الأخذ بما قاله (ربيع) عن الأكراد .
أما قوله عن صلاتنا انها صلاة صموت وانها لا تتغير : يعيها بذلك ، فهو لعمري
نم المدح لها والاعتراف بحسنها ولا يتسع المقام لما يجب أن يقال في هذا الموضوع
فان الروم . وسوء الفهم . ظاهران في كلام المستر (ربيع) .

(شهر رمضان) : المسلمون فيه يعملون ليهم نهاراً فينامون في النهار وبقضون ساعات
الصيام بالاعتكاف وتلاوة القرآن ويكرضون الليل للأكل واستقبال الزوار .
(وصف رقص ناء الأكراد) : أطال (ربيع) في هذا الوصف وجاء فيه
قوله : (ثم بدأت الموسيقى تمزف لحن الدبكة (الجوبى) فتقدم رتل من نحو

ثلاثين امرأة متاسكات الأيدي يخطى وئيدة رشيقة . وهن على أتم ما يكون من التزين بالزرا كش الذهبية وأنواب الحرير الملوثة دون أي حجاب . لقد كان منظرًا بديعًا حقًا بل كان أمرًا جديدًا بالنسبة اليّ . إذ لم أر حتى الآن النساء في الشرق مختلطات بالرجال يمثل هذه الحربة . ثم وصف اهتزازهن في رقصهن وتقدمهن وتأخرهن (ولم يقمن بأية حركة نائية في رقصهن) قال (ثم انقطعت الموسيقى فانسجت الراقصات الى بيوتهن بعد أن تحجبن من القحة الى الأنخص) ولاحظ (ربيع) على التحجب بعد التبذل قائلاً : إن الرجال الذين شاهدوا هؤلاء الراقصات في الحفلة كانوا أكثر ممن يحتمل أن يراهن في شوارع السلطانية قال (وأغلبهن جميلات فاتنات) .

(كردية رجلة) : قال : زارني فيض الله أفندي رئيس ديوان باشا بغداد وحينما أراد الانصراف وجاء خدمه بجواده قال لي أريد أن أريك شيئاً طريفاً لم تشاهده في حياتك ونادي خادماً من خدمه وسألني عما اذا كنت ألاحظ شيئاً غير اعتيادي في هذا الخادم . فأجبت بالنفي وانما أرى فتى قوياً . فقال كلا بل فتاة كردية بلباس الفتى . (وعلى رأسها شال حريري وهي ذات قامة هيفاء وعمرها بين ٢٥ - ٣٠ سنة ذات ملامح كردية أصيلة وقد لوحتها الشمس) ثم وصف من أخبار شجاعتها وأتقمتها وبكارتها وحسن سلوكها ما يعجب ويغرب . هذا نموذج مما في الكتاب وكله على هذا النمط من حيث دقة الوصف وتببع جزئيات الأخبار والأطوار فالشكر الجزيل لترجمه ومُهدبه .

المصري

—••••—

المدخل الفقهي العام

الى الحقوق المدنية في البلاد السورية

تأليف الشيخ مصطفى الزرقاء (طبع الجامعة السورية في ٦٩٥ صفحة)

يعد هذا الكتاب ، في نظرنا ، خير كتاب في التوطئة لدراسة مجلة الأحكام
المدلية - القانون المدني العثماني القديم - وهو الى ذلك دفاع مجيد عن عظمة
الفقه الاسلامي ، وقد نقل لنا مؤلفه ثلاثة نصوص دولية خطيرة تشيد بمزايا فقہنا
ويسرنا أن نثبتها في هذه المجلة :

القرار الأول : اتخذته مؤتمر الحقوق المقارنة المنعقد بمدينة لاهاي في شهر

آب من عام ١٩٣٧ وهو يتضمن ثلاثة مبادئ :

- ١ - اعتبار الشريعة الاسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام .
- ٢ - اعتبارها حية قابلة للتطور .
- ٣ - اعتبارها تشريعاً قائماً بذاته ليس مأخوذاً من غيره .

القرار الثاني : اتخذته مؤتمر المحامين الدولي عام ١٩٤٨ وهذه ترجمته :

« اعترافاً بما في التشريع الاسلامي من مرونة وماله من شأن يجب على جمعية
المحامين الدولية أن تقوم بتبني الدراسة المقارنة لهذا التشريع وبالتشجيع عليها » .

القرار الثالث : اتخذته مجمع الحقوق المقارنة الدولي المنعقد في باريس ١٩٥٢

واليك ترجمته :

« ان المؤتمرين ، بناء على الفائدة المتحققة من المباحث التي عرضت أثناء
« أسبوع الفقه الاسلامي » وما جرى حولها من المناقشات التي تخلص منها بوضوح :

أ - أن مبادئ الفقه الاسلامي لها قيمة لا يبارى فيها .

ب - وان اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى
 ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية ،
 وهي مناط الإعجاب وبها يتمكن الفقه الاسلامي أن يستجيب
 لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها ،
 يعلنون رغبتهم في أن يظل (أسبوع الفقه الاسلامي) يتابع أعماله سنة فسنة ،
 ويكلفون مكتب المؤتمر وضع قائمة للموضوعات التي أظهرت المناقشات ضرورة
 جعلها أساساً للبحث في الدورة القادمة .

وبأمل المؤتمرون أن تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الاسلامي يسهل الرجوع الى
 مؤلفات هذا الفقه فيكون معلمة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الاسلامية
 وفقاً للأساليب الحديثة» .
 .. وكان الأستاذ الزرقا قد استجاب لهذا الأمل ، حين ألف كتاباً في الفقه

الإسلامي على الأسلوب الحديث !

بدأ كتابه بتعريف الفقه الاسلامي ، ثم ذكر مصادره الأولى الأربعة الأساسية :
 الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ومصادره التبعية : الاستحسان والمصالح المرسلة
 والعرف ، ثم بحث في أدوار (أو أطوار) الفقه الاسلامي ، فجعلها سبعة ، وأولها
 عصر النبوة ، وآخرها عصر المجلة - ولنا معه في هذا التقسيم ، وإن يكن
 لعدد (٧) سره وسحره ! - ثم دخل في صميم موضوعه ، وهو : « النظريات
 الفقهية الأساسية » كـنظريات الملك والعقد والأهلية والضمان الخ .. لم ينجح
 فيها على منوال من سبقوه ، من شراح المجلة ، الذين جعلوا الفقه « فتاوى »
 و « قضايا » و « جزئيات » .. وإنما حاول أن يدرس المجلة كما يدرس الأستاذة
 الفرنسيون في كلية الحقوق بباريز مادة القانون المدني ، فجمع من أحكام القرآن
 والحديث وآراء الفقهاء ، من مختلف المذاهب ، ما يؤلف نظريات عامة تشبه
 النظريات الأوربية الحديثة ، وقد وفق في محاربه توفيقاً كبيراً ، فمن قرأ

كتابه خرج منه بفائدتين : النظريات الفقيية الجديدة ، وله فضل إخراجها ، وآراء الفقهاء التي خصت للقاري فأغتنه من قراءة عشرات من كتب الفقه ! وعلى إعجابنا بهذا الكتاب الجليل نشير الى ناحية صغيرة ضعيفة منه كانت بمثابة « الخرزة » الزرقاء . . . أو التيممة . . . من العين ، وهذه الناحية هي ان الأستاذ الزرقاء لا يتقن لغة أجنبية ، ومن أجل هذا النقص يقول دائماً ان آراء علمائنا خير من آراء الغربيين ، وأنا معه ، فقد ينسأ أفضل من قديمهم ، ولكن قديمنا ليس دائماً ، أفضل من جديدهم !

هذه ملاحظة ! والملاحظة الثانية هي أن الأستاذ الزرقاء حمل بعض النصوص أكثر مما تستطيع أن تحمل ، في سبيل بناء نظريات عامة تشبه النظريات الغربية ، خذ لك مثلاً احتجاجه بالآية الكريمة : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم » لإثبات مبدأ « سلطان الإرادة » وليس في هذه الآية شيء من ذلك ! فبدأ سلطان الإرادة أعلن تحرر الناس من المرامم والأشكال التي كانت تفقد المتعاقدين ، في ظل الشريعة الرومانية القديمة ، كثيراً من حريتهم وتفسد كثيراً من عقودهم وتعتبرها لغواً لمجرد أنها لم تستكمل بعض « الشكليات » . . . فما هي الصلة بين هذا المبدأ وبين الآية الكريمة ؟

إن هاتين الملاحظتين لا تنقصان من قدر كتاب يستحق صاحبه أبلغ الثناء وأعظم التقدير ، وهو كتاب قوي بمادته ، وصاحبه رجل متوقد الذكاء ، جمع بين الثقافتين الدينية والقانونية ؛ قوي بلفظه ، فالأستاذ الزرقاء فقيه أديب ، وأسلوبه في الكتابة يكاد بنفسك صعوبة المادة التي بدرسها وجفانها . . .



الثقافة العربية

في رعاية الشرق الأوسط

عنوان محاضرة ألقاها في خزانة الكونغرس الأميركية المستشرق جورج سارطون ، ونقلها الى العربية الدكتور عمر فروخ ، في كتب صدر عن مكتبة المعارف بيروت ، في نحو ثمانين صفحة .

المحاضرة ، في حقيقتها ، حديث عن الاسلام ، وما كان يجوز أن يختار لها عنوان آخر ، لولا أن المحاضر مهد لها بكلمة قصيرة - ولكنها قوية - عن الشرق ، قرر فيها أن تاريخ العلم بدأ في الشرق الأوسط لا في يونان ، كما يتوهم كثيرون ، وأن فلاسفة يونان أنفسهم أخذوا عن مصر وما بين النهرين الحكمة والمعرفة . كتبت المحاضرة لجمهور أميركي يجهل أصول الاسلام او يعرفها معرفة بسيرة ، فكان لا بد للمحاضر من أن يذكر لهم أشياء كثيرة يعرفها كل مسلم ولا جديد فيها ، ولكنه ، مع هذا ، لم يُخلِ محاضراته من آراء شخصية في أسباب انتشار الاسلام واللغة العربية ، وما قاله :

« . . . قسم السبوطي الكلمات الدخيلة في القرآن أحد عشر قسماً : الكلمات الحبشية والفارسية واليونانية والهندية والسريانية والعبرية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية والبربرية . أما (جفري) فيشير الى ما لا يقل عن خمس وخمسين لغة ولهجة دخل شيء من كلماتها في القرآن الكريم .

.. إن خزائن المفردات في اللغة العربية غنية جداً ويمكن لتلك المفردات أن تزداد بلا نهاية ، ذلك لأن الاشتقاق المتشابه والأنيق يسهل إيجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة بحسب ما يحتاج اليه الانسان .

.. لم يتح لني من قبل ولا من بعد أن ينتصر انتصاراً تاماً كانتصار محمد . إن الاصرار على تفوق اللغة العربية - خاصة - أو على حاجة الدين اليها هو الذي

جعل لها انتشارها الحاضر ثم حفظ لها هذا التفوق قروناً عديدة ولولا هذا الدفاع الضمني لبقيت اللغة العربية لغة قبيلة بلا قيمة عامة ولا ضمحت تماماً ولكن شأن العرب في ذلك شأن نصارى الشرق الأوسط الذين تركوا لغتهم المقدستين السريانية والقبطية حتى زالتا .

أما انتشار الإسلام فيرده المحاضر الى ضعف الامبراطورين البيزنطية والفارسية ، وهذا الرأي - وهو رأي جمهور المؤرخين الغربيين - إنما يفسر في الواقع سرعة انتوح الاسلاميه ، أما انتشار الدين الاسلامي فان له أسباباً أخرى تتصل بجوهريه ، ولولاها ما دخل بلاداً لم يدخلها جيش اسلامي قط .
... وأخيراً ، يقول لنا المؤلف :

« .. لم يكن ثمة علم في المدينة أو في مكة أو في دمشق . ومعجزة النهضة العربية لم تكشف عن نفسها قبل تأسيس الخلافة العباسية في بغداد . ولكن ماذا حدث هنالك ؟ لقد نشطت العبقرية العربية بفعل الخيرة الايرانية . إن محاسن الأمتين العربية والفارسية (ومساوئها) كان بعضها يتم بفضا . وهكذا نرى أن معجزة العلم العربي كانت ترجع في الأكثر الى الأثر الذي حدث بفعل النشاط والجد العربيين وبفعل الإيمان الاسلامي في الفضول والجدل الفارسيين ، أو بكلمة أعم ان العلم العربي كان ثمرة للعبقرية السامية التي خرت بالعبقرية الفارسية » .

هذا الرأي له أشباع كثيرون في الشرق وفي الغرب . وفي اعتقادنا أن الاسلام دعا الى التعلم دعوة قوية ، وأن العلم الكروني بدأ في دمشق ، حين تهيأت للعرب أسبابه ومواده ، ولم يكن العرب محتاجين الى فارس لتكون لهم حضارة ، فقد أسوا في الأندلس حضارة عظيمة لا نصيب لفارس فيها . القضية قضية وقت . ولو دام ملك دمشق ، لعظمت متنها على العلم والعالم .

—•••—

الاتجاهات الأدبية

في العالم العربي الحديث

كتاب في نحو (٤٠٠) صفحة ، ألفه الأستاذ أنيس الخوري المقدسي ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وطبعته له جامعة بيروت الأميركية ، في « سلسلة العلوم الشرقية » .

أنفق الأستاذ في تأليف هذا الكتاب جهداً كبيراً ، ووقتاً طويلاً ، وقرأ لأجله من الكتب والمجلات والصحف ما لا يكاد يحصى كثرة ، وفي اعتقادنا أنه وفق توفيقاً عظيماً ، ولكن عملاً ضئيلاً كهذا ، كان ينبغي أن تجتمع عليه عصبه من الرجال ، لا يخلو ، حين ينتدب له رجل واحد ، من هنات معدودات ، فقد كنا ، مثلاً ، نستحب للمؤلف أن يقفل ، في كتابه ، ذكر أسماء كثيرة لم نجد لأصحابها فضلاً ولا فضيلة - وان يكن هو قرأ لهم مقالة أو قصيدة مترجمة في إحدى المجلات فوجدنا كافيّة للتنبؤ بأسمائهم - وكنا نستحب له كذلك ألا ينعث بعض المفكرين بأنهم شعراء (كبار) من أجل أبيات نظموها ، وما نظن حتى العلامة فارس الخوري ، يرضيه أن يقرأ في كتاب الأستاذ المقدسي أنه من « كبار الشعراء » !

وبعد .. فان هذا الكتاب من « أغني » الكتب التي أخرجتها لنا مطابع بيروت ، وهو يتألف من أربعة أبواب :

الباب الاول - الاتجاه القومي - وهو سرد موجز لتاريخ الحركات القومية في سورية ولبنان ومصر من خلال الأشعار والمقالات . وقد بدأه المؤلف بالكلام على الجامعة العثمانية وأثبت لنا أن الأدب العربي بقي مدة طويلة عثماني الروح ، فان وجد رجلاً مثل ابراهيم باشا كان يقول : « ما أنا بتركي ، بل أنا ابن مصر ؛ ان شمسها قد غيرت دمي فجعلتني عربياً فعلاً ! » فان عامة الأدباء ورجال

الفكر من العرب كانوا متمسكين باخلافة الاسلاميه ، مخلصين للجماعة العثمانية ، حتى أن مصطفى كامل ، زعيم الحركة الوطنية في مصر ، كان يقول : « ان الراية العثمانية هي الراية الوحيدة التي يجب أن نجتمع حولها » .

ثم كان الاستبداد الحميدي ، فظهرت الحركات المناوئة للجماعة العثمانية ؛ وقد وقف إعلان الدستور ، الذي تباشرت به العرب ، هذه الحركات ، ولكن غلو التبرك بقوميتهم قضى على آمال العرب فعادت الأفكار القومية والاقليمية الى الميدان وامتزجت بالدعوة الى الحرية والاصلاح ، وصهر عليها رواد ممتازون ، من طراز عبد الرحمن الكواكبي .

الباب الثاني - الاتجاه الاجتماعي - وقد مهد له المؤلف بكلمة قارن فيها بين الأدب القديم ، الذي كان يعيش « في كنف الملوك والأمراء أو من يتصل بهم من أرباب الثروة والجاه » وبين الأدب الجديد ، الذي يعيش « على موائد الشعب ومن عطائه وهبائه » لأنه « أدب ديموقراطي » . ثم أبرز لنا خمسة « اتجاهات » في هذا الأدب الاجتماعي الحديث ، وهي :

- ١ - الدعوة الى العلم والحضارة .
- ٢ - الحملة على المفاسد الناشئة عن التطرف في الحياة المصرية .
- ٣ - العطف على الطبقات البائسة .
- ٤ - المطالبة بالحقوق الانسانية والمدالة الاجتماعية .
- ٥ - مناصرة القضية النسائية ورفع المستوى العائلي .

الباب الثالث - الاتجاه الى التأمل الفكري - التأمل في الحياة الروحية ، والتأمل في الموضوعات المجردة ، والتأمل في الطبيعة والريف .

الباب الرابع - الاتجاه الفني - وهو خاص بتأثير الأدب الغربي في الأدب العربي الحديث ، فان العرب القدامى ، فيما يقول المؤلف ، لم ينقلوا عن الغرب

سوى العلم والفلسفة ، أما أدباء العصر ، فقد تقلوا عن الغرب الأدب والشعر ، وكان من آثار ذلك أن الأدباء الجدد انصرفوا عن السجع والصناعة البدئية الى البساطة ، وأخذوا في تأليف الروايات والقصص والمسرحيات ، وكلها ألوان جديدة في أدبنا . أما شعراؤنا فقد أفادوا من اتصالهم بالغرب وحدة القصيدة والتفنن البياني وحرية الاخراج .



المادات والأخلاق اللبنانية

تأليف أديب لحود

طبع مكتبة صادر بيروت في ٢٤٠ صفحة

كتاب يصف لنا فيه الأستاذ أديب لحود ، شيئاً من عادات اللبنانيين ، في ولاداتهم ومناكهم وأفراحهم وأحزانهم وزياراتهم ولهومهم ؛ وما نحسب هذه المادات الا آخذة بالتحول - وقد يكتب على كثير منها الزوال ! - ومن المفيد كثيراً تسجيلها قبل أن تحول أو تزول ، فانها قطعة من حياة وطننا ، ومرحلة من مراحل « تطوره » ، وما ينبغي لها أن تهمل ، فقد تعنى بها الأجيال التي تأتي بمدنا أشد من عنايتنا .

أعجبني في بداية هذا الكتاب وصف الأسرة اللبنانية ، فهو وصف جد موفق ، في بساطته ، وقد وجدت فيه للطفل اللبناني معجماً لا يختلف عن معجم أخيه الطفل اللبني ، فالطعام عنده « زن » والشرب « نيو » والمشي « دادي » والخروج « تش تش » والوجع « واوا » والشئ الجميل « دح » والشئ القبيح « كخ » وهكذا . . . ولكن نهاية الكتاب لم تعجبني ، فقد ملأها المؤلف نصائح وألغازاً وألغازاً لاصلة لها بالوضوع ، وكان يحسن به استبعادها من كتابه ، حتى لا يظن أنه إنما كتبها للعوام والبسطاء .

وبما بلغت النظر حقاً في هذا الكتاب الطريف - ويزيد في قيمته عندنا - أن كثيراً من العادات والمعتقدات والخرافات والأغاني التي ذكرت فيه لا يختلف في شيء عما نعرفه في الشام ، فوحدة الوطن التي تحجبها السياسات السطحية ، تكشف عنها هذه الأخلاق التي نهبر عن عبقرية الأمة العميقة .

•••••

خطرات

تأليف محمد مهدي البصير

١٩٠ صفحة . مطبعة للعارف ببغداد عام ١٩٥٢

(خطرات) : كلمات ، بل جوامع كلم ، خص فيها مؤلفها تجاربه في السياسة والاجتماع وآراءه في الأدب والفن ؛ وهو ، إجمالاً ، يدعو الى الفكرة الديموقراطية الصحيحة في السياسة ، والى الحق والجمال واخبر في حياة الناس الاجتماعية ، ويرى إقصاء المرأة عن الميادين العامة ولكن هذا الوصف لا يطمع بتلخيص أبحاث الكتاب ، ففي الكتاب موضوعات لا حد لها ، وهي كلها ملخصة ، وأكاد أقول « مقطرة » و « مكررة » ؛ فليرجع الى هذا الكتاب من يطلب المعنى الكثير في الكلام القليل ، فانه واجد فيه ألواناً كثيرة من الحكمة ، تبدو على بعضها مسحة من تشاؤم ، واليك طائفة من أقواله :

(- لا أدري كيف تصلح أمور قوم هم بين عارف لا يقدر ، وقادر لا يعرف ، وسكين لا يعرف ولا يقدر !

- يبلغ بعض الرجال بالطاعة ما لا يبلغ غيرهم بالكفاية والاخلاص .
- من الصعب أن تستقيم أمور دولة يديرها موظفون في شكل وزراء ، ووزراء في شكل موظفين .

- من وضع نفسه فوق حوادث الزمن ، لا تستخفه اذا واتته ولا تهزمه
 اذا تنكرت له وكان عبد عقله وسيد هواه دائماً فذلك هو الرجل الحق .
- البيت حجر الزاوية في بنيان المجتمع والمرأة عماده فاذا آثرت أن تجبا
 خارجه ، فمن يأخذ مكانها فيه ؟
- قال لي قائل في أحد مقاهي مونتيليه ذات يوم : « إنكم تبيعون المرأة ، أليس
 كذلك ؟ » فأجبت : نعم يا سيدي ، ولكن على أن يكون قلب الرجل ثمنًا لها !
- الدعابة الساخرة ، جد المارفين بالحياة !
- إن بخيلاً يملك ثروة لكيف يحمل مصباحاً .
- أقل الناس عملاً أولئك الذين لا يرضيهم عمل !
- كن حلواً في أفواه الناس ، ولكن على أن يكون فيك من المرارة
 ما يمنع من أكلك !
- لا يتحن الصبر بأشد من بلادة ترافقها عجزفة .
- قد تهدم العاطفة في لحظة ما يبني العقل في سنة .
- اذا عملت بوحى عقلك دون أن تقوله فانت حكيم ، واذا قلته فقط
 فانت أديب ، واذا جمعت بين القول والمعل جمعت بين الرجلين .
- اذا استمت الى سمفونية بتهوفن السادسة فكأنني أنتزه في غابة شجراء
 وأستمع بمحدث رجل مثقف وأنعم بزيارة امرأة جميلة في وقت واحد .



ديوان النبط

مجموعة من الشعر العامي في نجد . جمعه وفسر بعض ألفاظه السيد خالد بن محمد الفرج
طبع في مطبعة الترقى بدمشق عام ١٩٥٢

يتألف هذا الديوان من أثمان اربعة شعراء عاميين من نجد ، وهم : « حميدان
الشويبر » و « محمد بن لعبون » و « عبد الله بن ربيعة » و « عبد الله بن سبيل » ،
ونشهد لوجه الله شهادة خالصة أننا قرأنا هذا الديوان من بابہ الى محرابہ ،
وتحملنا في ذلك مثقة كبيرة ، ولكننا لم نجد فيه شيئاً يتنعم به الفكر أو القلب .
وقد تعجبنا كثيراً من قول جامع الديوان في مقدمته : « وبعد فلا بد لمن
يدرس الأدب العربي وتاريخه وتطوراتہ أن يبدأ بدراسة الأدب العامي في نجد
في الوقت الحاضر ، لأنه صورة صادقة عى ما كان عليه أدب اللغة العربية
في العصر الجاهلي » ! ..

لا والله ! ليس هذا الأدب أدب التطور ، ولكنه أدب التدهور .. وحرام
أن يشبه به شعر الجاهلية ، وحرام أكثر من ذلك أن يطبع مثل هذا الزجل
الفث للفخر ... فما أجد لطبعه الا فضيلة واحدة : العلم به ، للحذر منه .
إنه أدب العامة ، أدب الانحطاط الذي يوجد مثله في كل قطر ، ولم توجد
الجامع اللغوية إلا لتنقذ الشعوب من هذا اللون من الأدب ! .

كتب صغيرة

فلسفة غاندي الاقتصادية

كتيب في خمس عشرة صفحة صغيرة ، تلخص فيه مؤلفه السيد احمد الحسيني
فلسفة غاندي الاقتصادية في ستة أصول ، وهي : المبدأ الأخلاقي ، البساطة

في المعبشة ، الانتاج الاستعمال وليس لأجل الربح ، عدم المنف ، تقدير العمل
وتقديره ، تحديد استعمال الآلات وفقاً بالعمل (طبع لجنة التأليف والترجمة
والنشر بالقاهرة) .

الملكية في الاسلام

كتب في ٦٠ صفحة صغيرة ، تسبقه مقدمة كبيرة ، وتبعه فهارس كثيرة ،
في مثل عدد صفحاته ، مع أن فهرساً واحداً في صفحة واحدة يكفيه ويزيد .
ألفه السيد أحمد الحسيني ، ليثبت فيه أن الاسلام يحمي الملكية ، ولكنه
يكره التوسع فيها وإهمال استغلالها .

ينقل المؤلف تعاريف وآراء لبعض علماء الاقتصاد الغربيين في الملكية ويوازن
بينها وبين أقوال فقهاء مسلمين ، ويذكر أقوال المسلمين ويسبقه أقوال الغربيين ،
وهذا شيء يرضي غرور القارئ ، ولكنه أسلوب غريب عن العلم ، لأن المؤلف
لم يحسن ترجمة ما نقله من نصوص الغربيين وما أحسن ترجمته لم يحسن فهمه .
أما لغة الكتاب فخنة ، لولا أغلاط مشورة هناك هناك ، كقوله في
صفحة ٢٧ : (مادام ولدوا بعضهم حائزين موقف التمتع بها وولدوا غيرهم وهم
كثيرون فاقدين ذلك الموقف) وهي لغة (أكلوني البراغيث) ، وقوله في
صفحة ٢٩ : (وهو الذي كان لآرائه وأفكاره أثراً بليغاً) فجعل (أثراً)
خبراً لكان ، وقد وقع في مثل هذا خطأ كثيراً

الدكتور منير المعجلاني

م (١٠)

بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن

بقلم هنري غيز وتعريب الأستاذ مارون عبود

من منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة اللبنانية ، ونشر هذا الكتاب في جزئين الأول في (٢٩٤) صفحة والثاني في (٢٤٠) صفحة من قطع المتوسط . طبع في بيروت سنة ١٩٤٩ .

وهو من المباحث الأجنبية في تاريخ لبنان ويمتاز عن أمثاله من المباحث بدقه الوصف وأمانة النقل رغم ما جاء فيه من هفوات وأوهام التي لا يتخلو منها مصدر أجنبي . إن المؤلف هو افرنسي الأصل ومن مواليد الشرق العربي . نشأ فيه وأتقن لغته . ثم عين وقتئذ قنصلاً لبلاده في لبنان ، وقد أتاح له منصبه وطول اقامته الوقوف عن كثب على أمور قد لا يتيسر الوقوف عليها لغيره من غابري السبيل ممن كتبوا عن الشرق مستمدين أخبارهم من مصادر لا يركن لصحتها ، حتى ان كثيرين منهم تحدثوا عن أشياء لم يعرفوها الا بالسماع وحكموا على ذمة غيرهم في أمور كثيرة حكماً سطحياً وجائراً . وإن بعضهم تعتمد التشويه والتشهير . وأما مؤلف هذا الكتاب لم يذكر على زعمه شيئاً لم يره بأمر عينه ولم ينقل الا ما اجمعت عليه الآراء .

ويجد القارئ في هذا الكتاب وصف آثار اندرست معالمها وذكور عادات وتقاليده تطورت مع الزمن وعالج أبحاثاً سياسية وقضايا ادارية واقتصادية أهملها مدونو العرب . وكان الأستاذ مارون عبود موفقاً في ترجمته هذا الكتاب القيم فلم يخرج عن الأصل كما تقتضيه الأمانة العلمية ، غير أنه أسقط منه متعمداً بعض الفقرات التي رأى فيها ما لا يحتمل ذكره ولا يطاق وحبذا لو اتعت لها رحابة صدر الأستاذ وأثبت ما أسقط حتى ينقل البنا الكتاب كما وضعه مؤلفه لا كما نريده . ولماذا نكتم ما كتبه عنا أو اختلقه الأغيار ؟

وقد ترفع الأستاذ المترجم عن الرد على المؤلف في بعض ما ذهب إليه وتوهمه
 لئلا يضيع القارئ في أودية الحواشي ، ولكن هنالك بعض التعريف لا بد من
 الاشارة إليه ، كما جاء في الجزء الثاني ص : (٢٥) سنة ١٨٠٣ صوابه ١٠٨٣ ،
 وقوقوخ وصوابه تنش ، ومجبر الدين عبس وصوابه مجبر الدين ابق وفي ص :
 (٥١) : تاجانه Tyané وصوابه Teyamné .

• نشكر للأستاذ مارون عبود جهوده الموفقة وحسن صنيته .

فلسطين : وصفها الجغرافي وتطورها التاريخي

لمؤلفه نخري الدين المييدي ومحمد خالد الطائي

في (٢٥٦) صفحة من قطع الوسط طبع في بئداد سنة ١٩٤٨

بحث المؤلفان في هذا الكتاب أحوال فلسطين الطبيعية والاقتصادية وتاريخ
 اليهود فيها وبمخنا فكرة الصهيونية وأساليب زعمائها لتحقيق أهدافها واستمرضا
 جميع المراحل التي اجتازتها القضية الفلسطينية منذ اعلان الوطن القومي اليهودي
 في ظل الانتداب البريطاني الى أن حلت بالعرب النكبة المشؤومة في عام ١٩٤٨
 وانتهت بتأسيس دولة اسرائيل .

وشرح المؤلفان القضية شرحاً عملياً مجرداً عن العواطف والأهواء وعززوا
 دراستها بوثائق رسمية قلما جمعت في كتاب واحد ، وقد حققا فيه الغاية التي
 وضع من أجلها فهو بحق : « سفر لمن يريد معرفة وضع فلسطين ودليل لمن
 يتبنى النوجه والعمل خلاصها . وسجل لمن يقصد تقصي أحوالها ، فكان تنفيذاً
 لفكرة واضراراً لعقيدة » .

نفسى أن يجد جمهرة العرب في موضوع الكتاب العبرة واليقظة بعد غفلتهم
 الطويلة ، والعامل من اتمظ والصادق من عمل وأخلص .

Textes géographiques arabes sur la Palestine, recueillis et traduits par le R. P. Marmardji, Paris 1951.

يقع الكتاب في (٢٦٨) صفحة من قطع الوسط طبع في باريس سنة ١٩٥١ وينطوي على ترجمة كتاب بلدان فلسطين العربية الى الافرنسية الذي وعد الأب صمرجي في مقدمته بتحقيقها خدمة لدوي التخصص من أبناء الغرب ممن لا ينسئ لأكثرهم الاطلاع عليها في مصادرها العربية .

وقد جاءت الترجمة بجملتها صحيحة يركن اليها . وان الملاحظات التي نبينا اليها في الأصل العربي تكرر أكثرها في هذه الترجمة ويضاف اليها زيادة فصل في الصفحتين ١١٠ و ١١١ منقول من (زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك) للظاهري غير وارد في الأصل العربي ، كما أنه سقط من الترجمة (ص : ١٩٥) جميع مادة وصف بحرة المتننة أو بركة لوط .

نشكر حضرة الأب صمرجي على ما يبذله من جهد في خدمة تاريخ بلاده .



Fossatum Africae

لؤلفه جان براديز (Jean Baradez) ومن مطبوعات مديريةية الفنون الجميلة ودبوان الآثار القديمة في الجزائر ، ويبلغ عدد صفحاته (٣٦٠) صفحة من القطع الكبير بورق صقيل وطبع أنيق يتخللها عدد كبير من الصور والمخططات . طبع في باريس سنة ١٩٤٩ .

تناول المؤلف في هذا الكتاب سلسلة أبحاث في التدابير الادارية والعسكرية التي اتخذتها السلطات الرومانية لتوطيد دعائم سلطانها في الجزء المعمور من الجزائر وحمايته من خطر غزاة الصحراء . وقد حصر المؤلف دراسته في منطقة الحدود

الجنوبية التي يبلغ طولها (٧٥٠) كيلومتراً ويختلف عرضها بين (٦٠) و (٨٠) كيلومتراً باحثاً عن مواقع الحصون والمخافر التي أقامها الرومان على ثغور هذا الخط لدفع عدوان برابرة الصحراء ومنع تسربهم الى ماورائها .
ولم تكن محاولة المؤلف الأولى في بايما فقد سبقه اليها منذ احتلال الجزائر عدد من المشتغلين بتاريخ افريقية الشمالية في العهد الروماني ومن أبرزهم (رينه كانيا) (René Cagnat) و (ستفان جسيل) (Stéphane Gsell) وقد زعما أنها أحصيا جل الأبنية التي خلفها الرومان في الجزائر . وبدلاً في سبيل ذلك الجهد والمال في رحلات طويلة ، محفوفة بالأخطار وفي بلاد مترامية الأطراف ، وعرة المسالك وضيئة بأسرارها .

ان مهمة أمثال هؤلاء الرواد - وكانت تعتبر في الماضي مقاسرة وبطولة ولا يقدم عليها الا من تحلى بالشجاعة والصبر على مكاره السفر وانقحام أخطاره - أصبحت اليوم بفضل الطائرة والتصوير متعة تحدث الزمن وتحتط المقبات وكان السيد كريغورد (Crawford) أول من استعمل هذه الطريقة الحديثة وجربها في انكترا عقب الحرب العالمية الأولى ثم طبقها الأب بوادبار (Poidebard) على نطاق أوسع في سورية وقد أسفرت هذه التجربة عن أحسن النتائج اذا استطاعت عدسة آلة التصوير أن تلتقط من الجو بارتفاع معين وفي ساعات محدودة من النهار ما تعجز العين المجردة عن ادراكه . وصورت الأبنية التي حجبتها عن النظر الأتربة والرمال أو غمرتها الأمواه تصويراً ظاهراً واضحاً .

وقد زينت هذه النتائج لمؤلف هذا الكتاب وهو من قادة سلاح الطيران الافرنسي أن يخلق فوق بادية الجزائر مستطعماً المنشآت الدفاعية من حصون ومخافر وطرقا واقطاعات التي نظمتها الرومان في هذه المنطقة الجرداء . استغرق عمله ثلاث سنوات حثي خلالها النتائج الباهرة التي عرضها لنا في كتابه ويعتبر

هذا الأسلوب الحديث في البحث عن الأبنية الأثرية مرحلة جديدة في صحة المعلومات واختصار الوقت وحبذا لو تطبق هذه الطريقة في بقية الأعمال الحكومية. الواسعة كالتحديد والتحرير وغيرها من دراسات المساحة والتخطيط كسباً للوقت وتوفيراً للنفقات والجهد .



*Stéfan Zweig - Le Brésil terre d'avenir.
Traduit de l'allemand par J. Lougenille. Paris
1949.*

البرازيل أرض المستقبل

- مؤلفه ستيفان زويغ . ترجمه من الألمانية الى الفرنسية جان لوجنيل .
- عدد صفحاته (٣٣٥) صفحة من قطع الصغير . طبع في باريس سنة ١٩٤٩ .
- أكثر الناس لا يميزون بين البرازيل وغيرها من جمهوريات أميركا الجنوبية ، فهي في نظرهم محط رحال خليط من مقاصري الأمم ومشردتهم ، فرقتهم المنازعات العنصرية والدينية وشغلهم عن الحضارة والعمران وطاب لهم عدم الاستقرار .
- لبي مؤلف هذا الكتاب دعوة لزيارة البرازيل للتعرف اليها - وكان من هؤلاء المخدوعين . وحامل فكرتهم - وهو قانع انه سوف لا يجد في هذا البلد المنحط أكثر مما يعرف عنه هو وأمثاله من الأوربيين وبقية شعوب أميركا الشمالية .
- ويتساوى بالجهل بأحوال هذا البلد الخاصة منهم والعامه ، ومن طريف أوهامهم ما وقع فيه أحد كبار أدباء الانكليز الذي أرسل بطل روايته الى عاصمة البرازيل ليتعلم اللغة الاسبانية مع أن سكانها لا يتكلمون الا البرتغالية .
- لم تكف تظاً قدما المؤلف عاصمة البرازيل حتى تبددت أوهامه وهبط من عليائه وتضاهل في نظره ما كان يفاخر به أبناء العالم القديم غيرهم من شعوب

الأرض ، فقد شاهد في البرازيل على حداثة عهدها في الحضارة عمرانا يفوق عمران أعظم عواصم أوروبا ورأى من حسن التسيق وسلامة الذوق ما يفتقر مثله الغرب ؛ وقد تضافرت هنا الطبيعة وعبقريه الانسان فاجدعتا أروع نماذج العمران الحديث مستمدة من تقاليد البلاد الجميدة ، وصاغ قومها حضارة جديدة دون أن يزدروا بثقافتهم القديمة . وقد أكبر المؤلف في هذا الخليط من الناس التفاني حول قوميتهم الجديدة والاعتزاز بها دون تمييز عنصري أو اضطهاد ديني . وقد تأخى القوم في اعترايهم وبنذوا أحقادهم وعاشوا في سلام ووثام . وكان المؤلف على حق في قوله : ان البرازيل هي : « أرض المستقبل » في اقتصادياتها وعمرانها ، ونحن نزيد عليه بأنها ستكون أيضا خير مثال يحتذى اذا أراد العالم أن يسوده السلام .

Henry Valloton - Brésil terre d'amour et de beauté. Lausanne 1948.

البرازيل بلد الحب والجمال لمؤلفه هنري فالوتون . عدد صفحاته (٢٩٣) من قطع الوسط تخللها بعض الصور . طبع في لوزان سنة ١٩٤٨ . وصف المؤلف في هذا الكتاب رحلته الى البرازيل فأحسن وصفها ، وأخذ بسمه هذا البلد ووفرة ثروته الطبيعية ، وأعجب بنهضة شعبه ووحدته أمانيه على تعدد عناصره ومذاهبه ، وأكبر جهود حكومته وبسطها سلطاتها على هذا العالم المترامي الأطراف وتفوقها في استثمار خيراته . أقام المؤلف سنتين في تلك الديار قطع خلالها في رحلاته أكثر من (١٥٠٠٠) كيلومتر فأدرك أطرافها ولم يبلغ صميمها لتصر مدة اقامته ، والبرازيل كما يقول : « ليست دولة بل هي عالم لم تنته الى اليوم اكتشافات مجاهله »

وبكاد عمر المرء كله يكفي للاحاطة بأجوائه» . ويشتم القارىء في قوله ربح الدعاية رغم زعم المؤلف بأنه وفق الى دراسة هذا البلد ووقف على دخائله وعالج مشاكله بنزاهة واخلاص وتنسبه له بأطيب الآمال . ولم يكن مؤلفنا أول من فتن بالبرازيل وسكانها بل هذا هو شعور كل من زار تلك الجمهورية العظيمة وتعرف اليها ، فهو يحق بلد الحب الجمال والنبيل وكرم الوفادة . ونحن السوريين أول من يشارك المؤلف عواطفه نحو البرازيل ولنا من جاليتنا أصدق الشهود لما يلقونه فيها من كرم المثوى والتسامح والمعاونة .

*Xénophon - de l'art équestre, édité par
Edouard Delebecq.*

الفرسية

تأليف كزينفون . نشره وترجمه من اليونانية الى الفرنسية الدكتور ادوار لييك وعلق عليه . طبع في باريس سنة ١٩٥٠ .

احتل الفرس في العالم القديم مكانة عظيمة ، وكان منذ أقدم العصور موضع عناية الشعوب واهتمامهم ، وهو أكرم حيوان استصعبه الانسان وانتفع بخصائصه وعقد الخبير في ناصيته . وكثير الكاتبون في صفاته وفوائده وتوسعوا في طرق رياضته وتحسين نوعه . وقد عثر في بونغازكوي على كتابة حثية كتبت حول عام (١٣٦٠) ق . م ذكر فيها كاتبها القواعد التي يجب أن يعرفها سائس الخيل ومدربها لإتقان مهنته واعدادها لفنون الحرب في الكر والفر ومعالجتها في مرضها . وكانت عناية الحثيين بالخيل التي جلبوها من أواسط آسيا واعتمادهم عليها في هجماتهم الخاطفة في غزواتهم من أهم عوامل تغلبهم على شعوب الشرق الأوسط . وقد أدركت الشعوب المقالوبة خطر هذا الحيوان وفوائده في الحرب والسلم فتنافسوا

باقتنائه والعناية به . وقد عني اليونان بالفرسان وكرموا وأدخلوها أساطيرهم الدينية وأبدعوا بتشيل فرسانهم في فنونهم الجميلة .

ومؤلف هذه الرسالة هو من هواة الخيل في اليونان وفرسانهم ، عاش في القرن الرابع ق . م . وقد دون لولده في هذه الرسالة خبرته الطويلة في تربية الخيل وانتقاء جيادها ، فوصف لها محاسنها وعيوبها وما يلزمها من علف وماوى وما تتطلبه سياستها من فطنة وحكمة ، وأسهب في تعداد أساليب تدريب هذا الحيوان وتطعيمه للأغراض التي اقتني من أجلها .

كتب المؤلف رسالته بأسلوب بسيط ونغاب السجاجة على أحكامه على كثير الأمور التي يرونها ، فهو شاهد بدلي بمشاهداته دون تعليق أو تمنيق . ومحترف ماهر تموزه بلاغة البيان في مهنته وحسن التنسيق في بحثه . ولم يكن مؤلفنا من مفكري اليونان ونوابه المبدعين من وضعوا قواعد علمية مينة أو قرروا نظريات عامة . بل كان همه تخرج فرسان وتدريبهم في فنون الفروسية وتوابعها وإرشادهم إلى محاسن الجياد وعيوبها وأساليب تطعيمها والعناية بها ، وقد حقق هذا الكتيب غايته وخلف لنا صورة صادقة عن نظر الأقدمين في الخيل ومبلغ انتفاعهم بها . وكان الفضل لترجم الكتاب ونشره في توضيح غوامض النص اليوناني وبيان فوائده .

المدخل الى تاريخ الحضارة (الجزء الأول)

تأليف الدكتور جورج حداد أستاذ التاريخ في الجامعة السورية

يبعث الدكتور المؤلف في كتابه هذا في شروط الحضارة ومظاهرها وفي طلائع الحضارة ومصادرها ، وفي تفاعلات الحضارة وآثرها في بلاد الشرق القديم وفي العالم اليوناني الروماني حتى ظهور النصرانية . وقد استعرض فيه قصة الحضارة والعوامل التي أدت الى ظهور حضارات مختلفة ، وتناول أسباب غورها وانتشارها ثم انخطاؤها وقد جمع في هذا الكتاب على صفر حجمه عصارة ما كتبه في هذا البحث علماء أعلام في عشرات المجلدات . وقد بذل جهوداً محمودة حتى قدم الى مواظبه هذا الكتاب وهو الأول من نوعه باللغة العربية .

وكان الدكتور موفقاً بما كثر الألفاظ العربية التي اختارها أو وضعها للاصطلاحات الفنية الأجنبية ، وقد مهد بذلك السبيل لكل من يرغب باقتفاء أثره . وحيداً لو جمعها في مسرد ليسهل الرجوع اليها والافادة منها .

وقد توسع الأستاذ المؤلف في تعريب بعض أسماء الأماكن ، فقال في ص : (٥٩) تل غورا وتل حصار بدلاً من تبة غورا وتبة حصار مع ان الكتب الأجنبية تحرص على ذكر الأسماء كما اشتهرت بها فقالوا : تل الحريري وتل كوجك وتل العبيد الخ . وجاء في ص : (٥٩) القرميد التي مع أنه يقابلها لفظة اللبن ، وفي ص : (٧٣) اكيثوم وصوابها اكيثوم . وفي ص : (٨٣) منتصف الأول ق . م ولعله أراد منتصف القرن الأول ق . م . وفي ص : (٨٥) أساس سكان مصر والأفضل أن يقال أصل سكان مصر . وفي ص : (٨٦) الطوب الخفف يقابلها اللبن . وفي ص : (١٤٧) وفلمتان صوابه وفاعتان . وفي ص : (١٦٥) الطين المشوي يقابله الآجر .

ويبشر هذا المدخل الذي أنحف به الدكتور اخزانة العربية بأن أبحاث المتظرة

التي مهد لها صوف ، لا تقل عنه فائدة وتدقيقاً ينتفع بها الطالب والباحث .

—•••••—

الديارات

تأليف أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابتي المتوفى سنة ٢٨٨ هـ .
عني بتحقيقه ونشره الأستاذ كور كبس عواد . عدد صفحاته (٣٣٥) صفحة
من قطع الكبير ، طبع في بغداد سنة ١٩٥١ .

أحسن الأستاذ المحقق في اختياره هذا السفر النفيس ، وأجاد في نشره
والتعليق عليه . وكان يغلب على الظن ان هذا السفر كان نصيبه الضياع كالكثير
من تراث السلف وما أثرهم . ولكن عناية الأقدار شاءت أن تنجو منه نسخة
فريدة استقرت في مكتبة برلين العامة ، كتبت سنة ٦٣١ هـ . وعسى أن
يساعد نشر هذا الكتاب على ظهور نسخ جديدة منه محفوظة في خزائن الكتب
الخاصة تساعد على اتمام نقصه وتصحيح عبث الناصخ وتقويم تصحيحه وتحريفه .
ان كتاب الديارات منزلة أكبرها الأقدمون واعتمده في كتبهم لما يجوي
من أنباء البلدان والأحداث التاريخية وسير الرجال وما انطوى عليه من طرف
أدبية وغرر شعرية أغفلها غيره ، وهو كما قال عنه الأستاذ حبيب زيات :
« إنه دخر للمؤرخ وغنية لكل أديب وحقيق بالخدمة » . وقد نقل عنه كثير
من المؤلفين فصولاً أودعوا مؤلفاتهم منهم : أبو صالح الأرميني ، وياقوت الحموي ،
وابن شداد ، والقزويني ، وابن فضل الله العمري وغيرهم .

قد جاء في الحاشية (٥) من ص : ١٣٠ : فيق من مدن فلسطين القديمة
وصوابه من مدن سورية وهي اليوم مركز قضاء الزوية الغربية .
وجاء في ص : ١٣٧ في فصل دير البخت بأنه بدمشق وعلى فرسخين منها ،
وقد علق الأستاذ المحقق بما ذكره عنه الأستاذ (دوسو) في خططه بأنه في حوران
شمالي قرية الصنين . وأعتقد بأن الدير المذكور في الديارات هو غير القرية
التي ذكرها الأستاذ (دوسو) وهي على نحو ثمانين فراسخ من دمشق . ان اختلاف
البعد بين المكانين وتباين الأوصاف تبعد الالتباس بينهما ، وصف الأول بأنه

في موضع نزه فيه جنائن وماء جار بينما دير البخت الحورانية هي موضع موحش
لا ماء فيه ولا جنائن ، ولذلك يجب البحث عن دير البخت في غوطة دمشق
وما جاورها في حدود الفرسين حيث الماء والحدائق .

وجاء في ص : ٢٤١ : بكرة مقارنة بدل مطارئة وهي غلظة مطبعية لا تعيب
عن فطنة القارئ .

وقد ضم الأستاذ المحقق الى هذا الكتاب ذبلاً قيماً بقلعه وفهارس مطولة
دلت على غنير علم الزميل الكريم وسعة اطلاعه فجزاه الله على خدمة العلم خيراً
وبارك بجلده وجهوده .

تاريخ العرب قبل الاسلام

تأليف الدكتور جواد علي ، يقع الكتاب في مجلدين ويبلغ عدد صفحات
الجزء الأول (٤١٧) صفحة والثاني (٤٣٠) صفحة ، وهو من مطبوعات المجمع
العلمي العراقي وطبع الجزء ان في بغداد في سنتي ١٩٥١ و ١٩٥٢ . وزينا بكثير
من الرسوم والمصورات .

قدم الأستاذ المؤلف في هذين الجزئين القسم السيامي من تاريخ العرب قبل
الاسلام . وهذه الدراسة على ما أعلم هي أوسع ما كتب حتى الآن في هذا
الموضوع في العربية أو في أي لغة أعجمية . جمع في هذا الكتاب صفوة ما كتبه
الأقدمون والمعاصرون عن أخبار العرب في الجاهلية وأضاف إليها ما وصل اليه
علمه وثمرات أفكاره ونتيجة أبحاثه ، وكون من كل ذلك نواة لتاريخ العرب
قبل الاسلام ، وجعل من كتابه هذا نقطة انطلاق لكل راغب بمواصلة البحث
والتوسع فيه وكشف الكثير من غوامضه وخفاياه التي يميزها التحقيق والتدقيق ،
ولا يرجي للطامعين المزيد بعد أن استنفذ المؤلف معظم المصادر المعروفة
الا اذا أطلق للعلماء حربة التجول في مجاهل شبه جزيرة العرب للبحث عن آثارها
وجمع الجديده من أخبارها ، ويقع العبء الأوفر من هذه المهمة على عاتق الأثاريين

الناشئين العرب ومن واجب الحكومات العربية ومماهدا العلمية مساعدة هؤلاء العلماء على تحقيق هذه الخدمة العلمية والغاية القومية .

وقد بحث المؤلف في الجزء الأول من كتابه عن الجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلي ، ووصف جزيرة العرب ، وصلات العرب بالساميين ، وطبقات العرب وأنسابهم ، وتاريخ شبه جزيرة العرب ، وخص الجزء الثاني بتاريخ الحكومات والمشيخات والقبائل العربية التي عاشت قبل الميلاد وقد استخلص أخبارها من كتابات المسند القديمة ومن مصادر أخرى .

واني لأرجو من المؤلف أن يسمح لي بإبداء بعض الملاحظات وان لا أشاطره رأيه في حصر أثر العرب قديماً في بادية الشام لأن الاكتشافات الأثرية الجديدة والدراسات اللغوية والدينية أثبتت بأن توغل العرب في مختلف أجزاء الديار الشامية كان قديماً أعمق مما يظن اليوم . وقد فات المؤلف عند بحثه عن حدود بادية الشام في ص : (١ : ١٢٢) ذكر كتاب : (Poidebard - La trace de Rome dans le désert de Syrie) وهو أوفى بحث في هذا الموضوع . وجاء في (١ : ١٢٥) (قبائل عنيزة) والمتعارف عليه هو قبائل عنزة . وفي (١ : ٢٠٢) الجليل وصوابه جليل . وفي (٢ : ٢٢٢) (Azalla) موقع في بادية تدمر بين أرك ودمشق وصوابه : (Nazalla) وهي على الأرجح قرية القريتين الخالية بين تدمر ودمشق . وفي (٢ : ٣٣٦) وجعل عليها (Satrap) وأصح أن يقال وجعل عليها (مرزباناً) وفي (٢ : ٣٦٦) « ارتاس » وصوابه « الحارث » وهو الاسم العربي الذي اشتهر به .

نشكر المؤلف على جهوده القيمة كما نشكر المجتمع العلمي العراقي الذي أتاح له فرصة نشر ثمره أبحاثه المفيدة ونأمل أن يبذل المؤلف بوعده وينشر نتمة أبحاثه عن حضارة العرب وحالتهم الثقافية والاجتماعية قبل الاسلام ونحن بأمر الحاجة لمثل هذه الأبحاث الجديدة .

جعفر الحسني

آراء وأنباء

فجع المجمع العلمي العربي - بعد أن تم طبع هذا المجلد من المجلد - برئيسه
العلامة الكبير الأستاذ محمد كرد علي . اختاره الله يوم الخميس في الثامن عشر
من شهر رجب سنة ١٣٧٢ والثاني من نيسان سنة ١٩٥٣ .

والمصاب بالأستاذ الرئيس اذا خص بجمعنا العلمي العربي - وقد كان مؤسسه
الأول ورئيسه الدائم ربع قرن كاملاً يتمده برعايته ، ويرعاه بضائته ،
ويسهر على تقدمه وازدهاره . وينفق عليه من روحه ووقته وعلمه - فقد عم مصابه
الشام ، وهو مؤرخه الثبت في واسع اطلاعه ، وصحيح حكايته ، وجريء
روايته ، مقررًا للحوادث والوقائع ، مستخلصًا للحقائق ، بفكر نقاد ، وقريحة
صافية ، وأسلوب أدبي رفيع ، كان نسج وحده .

هذا الى ما كان له في العالمين العربي والاسلامي من الشهرة الواسعة
والمكانة العالية لما كان يبعثه من كنوزهما . وينشره من حضارتهما . داعياً مخلصاً
لنهضة صحيحة . بلسانه محاضراً ، وبقلمه كاتباً ومؤلفاً ، وفي مجالسه منبهاً ومحدثاً ،
وفي صحفه داعيةً ومرشداً ، ما وقفه مرض ، ولا عاقته شيخوخة ، عن هذه
الخدمة العلمية الصادقة النصوح ، لقومه ولأمته .

رحمه الله عداد حسناته وخدماته .

الدراسات الاجتماعية

أقام المجمع العلمي العربي في داره مساء السبت الواقع في اليوم الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ الموافق ٢٠ كانون الأول سنة ١٩٥٢ حفلة تكريم للمثلي الدول العربية والاسلامية في حلقة الدراسات الاجتماعية التي عقدت دورتها الأخيرة في دمشق فألقى العلامة الدكتور أسعد الحكيم أحد أعضاء المجمع الكلمة الآتية :

سيداتي . سارتي !

أحييكم بأحسن تحية . وأرحب بكم أجمل ترحيب ، بلسم هذا الصرح العلمي التاريخي ، الذي هو أول مجمع علمي عربي أنشئ في هذا الشرق الأوسط . فقد مضى على تأسيسه ثلاث وثلاثون سنة أدى فيها وما زال يؤدي رسالته في خدمة اللغة والأدب والتاريخ والثقافة العربية العامة بصدق وأمانة . وإذ أزدق اليكم تحيته فإنه يحسي فيكم المبدأ السامي الذي اجتمعتم من أجله ، والعناية الانسانية المثلى التي ترمي هذه الحلقة اليها ، والحكومات العربية التي عهدت اليكم بهذه الأمانة فأحسنتم أداءها كما ستحسن هي العمل بتوصياتكم بعون الله .

ومن بواعث سرور هذا المجمع أن يكون ختام اجتماعات هذه الحلقة الدراسية الاجتماعية في هذه الدار المباركة التي يرفد على مقربة منها ، ونفسه مطمئنة ، بانيتها ، المحقق الأول للمعادلة الاجتماعية التي جاء بها صاحب الشريعة الاسلامية . فقد كان للملك العادل في ميدان الخدمات الاجتماعية التي تقصد الى تحقيقها فخر سبق والحظ الأوفر : مستشفيات في كل بلد للمرضى مفتوحة الأبواب لكل من يؤمها ، وملاجئ للزمنى المقعدين والمصابين بالأمراض العقلية ، والمخدمين تعد من حيث نظمها وادارتها وغذاؤها وعدد الأطباء والمشارفين

والخدم فيها كأحسن المستشفيات والملاجئ في هذا العصر . ومكاتب للأيتام تجري عليها وعليهم وعلى معلميهم الجرايات . ومدارس ومساجد ومنازل للفرباء والفقراء لكل منها أوقاف معينة . كما أن هنالك أوقافاً لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ، وأوقاف تجهيز البنات الى أزواجهن ، وعن اللواتي لا قدرة لأهلبن على تجهيزهن (وهذا لم يلاحظ في أعمال هذه الحلقة) الى غير ذلك من أعمال البر والاحسان غير الممنون التي تمد لمشاعها من أجل الخدمات الاجتماعية وتخلد للملك العادل في تاريخ الانسانية والمدالة الاجتماعية أطيب الذكر ، لا سيما وهو القائل لأصحابه عندما تعرضوا لكثرة خروجه في هذه السبيل : « إنما أنتم ترزقون وتنصرون بضعفائكم . وهؤلاء القوم لم نصيب في بيت المال . كيف يحل لي أن أعطيه غيرهم ؟ » .

وكانني بروحه الزكية وقد انتمت لذكراها الآن فجاءت ترفرف فوق هذا الجمع الكريم تبارك مسماه وتشكر له سعيه ، وترجو لتوصياته التحقيق ، والله المستعان . والسلام عليكم . ا . ه .

* * *

فأجاب العلامة الأستاذ محمد العشماوي رئيس الوفد المصري عن هذه الحكمة بما عرف به من علم وطلاقة وبلاغة وسحر بيان فأثنى على الجمع العلمي العربي أقدم الجامعات العلمية العربية وعلى جهوده ونتاجه العظيم خير ثناء . وامتدح دمشق بأنها السباقة الى كل ما فيه فخر للعروبة . ثم شكر للأستاذ رئيس الجمع العلمي كريم دعوته وعظيم الحفاوة التي استقبل المدعوون بيا متمنياً لهذا الجمع الازدهار والتقدم .

م (١١)

الألفاظ المكررة

تعرض للكاتب الفاظ تلازمه في كلامه على غير قصد ، ولبست غلطاً بل غلط ذوق . وهل الكتابة الا كلام بذوق ؟ وما كانت المكررات يوماً تحلو في الذوق . والمكرر يمكن تفاديه لاتساع اللفة وما بالكاتب حاجة الى استعمال لفظه واحدة في صفحة واحدة عشر مرات وأحياناً أكثر . وبما وقع لنا ووقع لغيرنا وكثر استعماله على هذا الوجه لفظ « البلاد » وفي الألفاظ التي تؤدي معناها غنية عن هذا التكرار ، مثل : « الديار » ، « الأرض » ، « الممالك » ، « المملكة » ، « الأقطار » ، « القطر » ، « البلد » ، « الأرجاء » ، « الأقاليم » ، « الأصقاع » ، « الأوطان » ، « الموطن » ، « الوطن » ، « القارة » ، « البر » الخ .
يسعمل من كل أولئك ما يناسب المعنى المراد .

وتتصرف كلمة « البلاد » على كلمات كثير تردادها فابتذلت وبجتها النفوس وان كانت لا غبار عليها من حيث اللفة وهي كلمة : « فحسب » ، « اللهم » ، « أجل » ، « أي » . ووقع لأحدهم أن أتى بلفظ « أي » سبع مرات في مقطعين من كلامه . فقال : « أي شعب » ، « أية فلسفة » ، « أية أمة » ، « أية فلسفة » (مرة ثانية) ، « أي خلق » ، « أي مبدأ » ، « أية أمة » (مرة ثانية) . ووقع لأحد كتاب مصر أثناء كلامه على ديوان نشر حديثاً أن كرر لفظه فحسب نحو عشرين مرة في المقدمة . ومثله ما حدث لكاتب آخر أن كرر في حديث له في المذيع كلمة « اللهم » أكثر من عشر مرات .

واستعمال كلمة بعينها في قصد واحد ينعي على الكاتب عجزه وقلة بضاعته من الألفاظ وهي ميسورة له . وكثيراً ما يقع ذلك في كلام متأدبين فاذا لفت أنظارهم اليها يعتذرون عن تماديهم في ايرادها بانهم يقررون قضايا علمية ولا يهتمون لغير الافصاح عن المعنى ولذلك كان لهم أن يستعملوا من المفردات ما طاب لهم ،

وجمال العبارة لا يقدح في جوهر الكلام . أما الحقيقة فملي غير ما يصورون
فلقوال رونق وجمال ومن جملة الابداع افراخ الكلام في صورة مقبولة .
فان كنا نستهمجن من مخاطبنا أن يُعيد في كلامه ويكرر ويحشده بما هو مستغن
عنه فنحن أحرىء أن نشئز من التكرار في الكتابة وبخاصة فيما يفرض فيها
الخلود أو التداول زمناً .

قد يعذر المضطرون الى الاصراع في كتب ما يكتبون كأرباب الجرائد
ولكن ما عذر بعض المؤلفين وأرباب المجلات في تسطير ما يعاب وهم في سعة
من الوقت ، وما اخال معظمهم اذا حدقوا النظر قليلاً فيما ترعف به أقلامهم
الا عائدین علی ما خطوا بالحذف والتبديل . واذا أرجعوا أبصارهم علی ما كتبوا
مرتین في يومین يسقطون علی ما يرون من أنفسهم دافعاً لحذفه . وليس من شك
في أن كل كاتب اذا تأمل قليلاً فيما يكتب يتأني له أن يحذف ألفاظاً وجملاً
يستفيض عنها بأجل منها ويسلم كلامه من المجنة والفتنة . واذا قرأ ما فتح
على قريحته بادئ الرأي ، وصوره لساعته على الورق ، على رجل مرت على
الكتابة يصحح له الموعج ، وينبهه الى الركيك والمكرر السمج ، يأتي بعد ذلك
بالجيد من القول ويخرج أحسن ما عنده خصوصاً اذا كان على فضل ذكاء
ورغبة في الاتقان . والاتقان في كل شيء يتوقف على الاكثار من الصناية
والأناة . وقدیماً كان الكتاب بنقد بعضهم بعضاً فتصفوا كتاباتهم في العين والذوق
ويقبلها جهاينة الكلام ولا يرذلونها . وفي أيامنا عمت البلوى بالمكرر البارد
والدخيل غير الوارد حتى كاد بعض من اعتادوا سماع كلام البلفاء أن يعرضوا
جملة واحدة عن النظر في المنشآت الحديثة ، يتقزون من تلاوتها وان كانت
تحمل أفكاراً جيدة وعملاً طريفاً .

كان من عادة صديقي الشاعر حافظ ابراهيم رحمه الله اذا نظم قصيدة أن
يردها على مسامع اخوانه لينذكروا له رأيهم في ألفاظها ، وكنت أشكرهم منه

ذلك على تضامه من اللغة واستغنائه ببيانه عن كل بيان ، فكان يقول لا بد من أخذ آراء المعارفين وإن لم يكونوا شعراء فقد تكون لهم يد في اللغة ويبتدون إلى مواقع استمائها بما لا يهتدي إليه غيرهم . ويأجبنا لو تأمى الكتاب بشاعر النيل يحذون حذوه يوم يخطون أسطراً تنشر وتؤثر .

لو كانت جرائدنا وناشروا كتبنا على شيء من الفنى لاقتربت على كل جريدة وعلى كل مطبعة أن تعهد إلى أستاذ تحرير في البيان يقوم العبارات الضعيفة ويصقلها صقلًا يخرجها عن حد الكلام الفث التافه ، وبطول الزمن يدرك كل من يكتب ما يعاب على الكتاب فيتوقاه ويكتب الكلام المنقح المستلح .

• • • • •

أدب طه حسين

من قبيل تحصيل الحاصل الاشارة بيلاء صديقي العلامة الدكتور طه حسين في خدمة الآداب العربية ، وأثره المحسوس في ادخالها في طور جديد وبث أفكاره في جميع طبقات القراء . كان مجلياً في معظم ما خطته يمينه من بحث علمي وابداع أدبي وكان عمله عدل علم ظهر ظهوراً واسعاً في رئاسة الجامعة وفي وزارة المعارف . وما خلا مع هذا من حساد وأعداء ولكنهم قلائل جداً إذا قيسوا بالمعجبين به والمستفيدين من تفنانه ، فهو بلا صراء حسنة من حسنات مصر في هذا العصر وفضله على الأفراد والجماعة لا ينكره عليه الا مكابر .

ينشر الدكتور هذه الأيام في جريدة «الاهرام» مقالات في الأدب يعرض فيها للكتب الحديثة ولا سيما للقصص والروايات ويفيض في تقدها بلطف ولا يغفل عن الدلالة إلى ما فيها من مواضع احسان ، فهو كعلماء الافرنج في هذه الأيام يعلل تعليل حكيم عالم ، ويحلل تحليل نقاد منصف ، يعلم ولا يبرح ويتألف ولا ينفر . ولا يسع المرء مها كان معجباً بنفسه اذا قرأ ما كتبه فيه

نابهة مصر الا أن يشكره على عنايته ويفيد من نصائحه الثينة ، ويشفع لهذا
الأصلوب الجديد في النقد الصدق وقول الحق .
ولا صراء في أن للآداب خطة سيضطر كل من يمك القلم ليؤلف للناس
أن يحاسب نفسه بعد الآن قبل أن يحاسب غيره ويعلمها قبل أن يدعي
مقام المعلم .

كثر اتافه في التأليف الجديدة حتى نافت النفوس الكريمة كل ما يطلق
عليه اسم الأدب . ورأينا الجرأة على نشر الفث والخفيف الوزن توازي غرام
بعضهم اخراج للناس ما لا يفهمهم . يداري الدكتور طه فوضي الأفلام بدرباق
علمه وصحة حكمه وقد شتم القوم مصانعات الخلات والجرائد للمؤلفين والناشرين
ومجت الأذواق الكتابات التجارية الرخيصة .

محمد كرم علي

١٩٥٥م

(استدراك آخر)

كتب الأستاذ رئيس المجمع العلمي العربي تعليقا على ما ورد في جريدة
الأخبار المصرية بعنوان (بين الفصحى والعامية) منتصرا فيه لمجمع اللغة العربية
المصري ولوزارة المعارف أيضا ، يحرص المجمع على انتقاء كلمات عربية أصيلة ،
تحل محل الألفاظ الأجنبية الدخيلة ، على هذه اللغة الكريمة . وقد جاء في
آخر كلام الأستاذ محمد زكي عبد القادر : « ألا ينادي البعض اليوم بالعودة
الى النظم التي كانت سائدة في عصور الإسلام الأولى ؟ ألبت هذه ردة
عجيبة في وقت يدعو فيه كل شيء للتحرر والنقد ؟ ! » .

يقول هذا في معرض التنظير بين اللغة والدين ، وان كلاً منهما يعرض له
النسخ والتغيير ، فالأولى بمفرداتها ، والثاني بأحكامه ومعاملاته ، ولو أخذ
هذا القول على إطلاقه لما بقي لنا لغة ولا دين !! ولينه لم يستطرد ولم يعرض

لهذا الموضوع الديني الذي أوجب علينا بيان الحق فيه ، وإن لم يكن من موضوع مجلتنا العلمية .

وقد علق الأستاذ الرئيس على الأول منها ، وأناي أعلق على الثاني بإيجاز فأقول : ان النظم التي كانت سائدة في عصور الاسلام الأولى - وهي العصور العربية الذهبية - هي روح (الديموقراطية) الحرة ، ومن مميزاتا على سائر الحكومات المدنية ، أن قوانينها مبنية على النصفة والعدل : « لا ضرر ولا ضرار » بخلاف هذه القوانين التي تبيح كثيراً من الضرر بالنفس والعقل والعرض والمال . ومن مميزاتا أيضاً الرجوع - عند تنازع أولي الحل والعقد - الى ما كان أصح دليلاً ، وأوضح سبيلاً ، وأدنى في حكمه الى المصلحة العامة ، بخلاف المجالس (البرلمانية) التي كثيراً ما تحكم الأكثرية فيها بما تملي عليها المصلحة الخاصة والهوى ، وتخالف الحق الصريح مخالفة ظاهرة ، فلا هي معتقدة بصحة حكمها ، ولا الأقلية المنصفة مقتنعة بفساد رأيها ، ولكنها تكون مغلوقة على أمرها .

ونحن نورد شاهداً واحداً على ما سماه الأستاذ (التحرر والتقدم) وهو أن علماء الحقوق والاجتماع في هذا العهد قسموا العقوبة الى أدوار ثلاثة : انتقام وقصاص واصلاح ، والحق الى شخصي وإلهي وعام ، وجعلوا الإسلام في هذين المطلبين ، وسطاً بين طرفين ، فمقوبته قصاص ، أي لا تأديب واصلاح ، والحق فيه إلهي ، أي ما هو حق عام للأمة ، والصواب أن هذا التقسيم الثلاثي ، هو أمور اعتبارية ، لا حقائق ثابتة متفارية ، فانه لا منافاة بين كون العقوبة حقاً شخصياً وإلهياً وعاماً ، وإنما يختلف التعبير باختلاف الاعتبار ، فالحق شخصي من جهة قرابة صاحب الحق وذويه ، وإلهي من حيث ان الله تعالى قسم الحقوق بين العباد على قاعدة العدل والإحسان ، وشرع القصاص رحمةً بالعباد ، وذريعة لحسم مادة الفساد ، وحق عام من حيث وحدة الأمة وتضامنها ، وان ما شرع في مصلحتها ، فهي المكلفة بتنفيذ الحكم بواسطة حكومتها .

والانتقام قد يراد به التأديب ، والقصاص تكون غايته الحياة الطيبة والإصلاح ؛ وما يقال في الأمم يقال في الأفراد فان القتل والقطع والجلد ، يراد منها صلاح الفرد ، والمحافظة على المجموع ، فكم من قصة أورثت نعمة ؛ والعجب من ينكر القصاص العادل ، ولا يعظم الذنب ، إن الجريمة هي التي تفضي الى القصاص ، وهو الذي يأخذ المجرم بذنبه ، فيكون فيه حياة الباقى ، وإذعان القرابين للحكم ، وإزالة الوغر والضيق ، وكف الأذى والعدوان ، « فمن عني له من أخيه شيء ، فاتباع بمسروف وأداء اليه باحسان » .

ثم قال الأستاذ محمد زكي : « ولو دعوا أن الاسلام لم يقصد قط خلود حكم من الأحكام فيما عدا المبادات لأدركوا أي دين عظيم هذا الدين ، وأية شريعة سمحة هذه الشريعة . . ولكنهم بضيق التفكير ، وضالة الفهم ، يجنون على الاسلام أعظم جنابة » .

أقول : إن من الأحكام الثابتة الخالدة ما لا يغيره الزمان والمكان ، ولا يختلف باختلاف الشعوب والأقوام ، وهي الأصول الكونية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين كالتوحيد والصدق والعدل والإخلاص ، وتحريم الظلم والفواحش ، والشرك والإفك « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » فهل تقبل هذه الأوامر والنواهي تبديلاً أو تديلاً ؟ وقوله في العدل العام : « ولا يجرمكم شتان قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى » أي لا يمحنتكم بفض قوم لكم أو بفضكم لهم على ألا تقيموا سنة العدل فيهم ؛ ثم أمرهم بالعدل الكامل الشامل للمسلمين وغيرهم على اختلاف طبقاتهم بقوله : « اعدلوا » وحذف العمول يؤذن بالمحوم كما هو معلوم .

قال حكيم : « الاسلام هداية روحية ، وسياسة اجتماعية مدنية ، فأما الهداية الدينية المنحضة فقد جاء بها تامة أصلاً و فرعاً ، وفرضاً ونقلاً ؛ وأما السياسة الاجتماعية المدنية ، فقد وضع الإسلام أساسها وقواعدها ، وشرع للأمة الرأي والاجتهاد فيها ، لأنها تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وترتقي بارتقاء العمران ، وفنون العرفان ؛ ومن قواعده فيها ان سلطة الأمة لها ، وأمرها شورى بينها ، وأن حكومتها ضرب من الجمهورية ، وخليفة الرسول فيها لا يمتاز في أحكامها على أضعف أفراد الرعية » .

إن الأمة العربية الآن متجهة اتجاهاً قوياً الى أن تعيش في ظلال القوة والوحدة والثروة والنظام ، وهل في الاسلام ما يعارض هذا الاتجاه ؟ لا ، بل الاسلام قد سبق أوروبا بمئات السنين اليه ، وجرى ملوكة العدول أيام حضارتهم عليه ، وقد امتازت حضارته بالعدل والفضيلة على سائر المدنيات التي تبيح الظلم والذائل .

محمد بهجة السيطار

•••••

(استدرارك)

وقع سهواً في الصفحة (٩٧) من مقال : « أقدم تأليف في الحديث النبوي » المنشور في الجزء الأول من المجلد الثامن والعشرين ما يلي :

الآية : « ما كنت تحطه بيمينك إذا لارتاب البطلون » وصوابها : « ولا تحطه بيمينك إذا لارتاب البطلون » .

•••••

كيف تكتب (سورية)

تمددت الروايات عن كتابة (سورية) بالتاء المربوطة أو بالألف . وقد سئل
المجمع العلمي العربي عن هذا الغرض فأجاب بقوله ان (سورية ورومية وأمثالها
من أسماء الأقطار والمدن التي عرفها العرب تكتب بالتاء المربوطة . والسبب
في ذلك يرجع الى أن مؤلفي العرب وكتابتهم كانوا يكتبونها كذلك . أما ما لم
يكن للعرب به عهد من أسماء البلدان كفرنزوبلا و كندا مثلاً فيكتب بالألف) .
وقد قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية مثل هذا القرار أيضاً ونشر قراره في سجل
محاضر جلساته المطبوع سنة ١٩٣٩ .

ولكن من أين لنا أن نعرف الأعلام الجغرافية و كيف كتبها العرب ؟
ذلك سهل علينا ، ولا سيما على المتخصصين في فن تقويم البلدان (الجغرافيا)
والتاريخ : يرجع الى كتب التاريخ وتقويم البلدان وهي كثيرة في خزائنا : منها
المطبوع ومنها المخطوط . ومؤلفو الجغرافيا العربية الى أواخر القرن الرابع
كثيرون : منهم ابن خرداذبه وابن رسته واليعقوبي والاصطخري وابن حوقل
والمقدسي والمسعودي وابو الفدا . وقد طبَّع علماء المشرقيات مصنفاتهم وعنوانها
وبفهارسها . وقام بعد هؤلاء البكري والمروزي وياقوت الحموي والبغدادي
وأشهرهم كلهم الادريسي الذي ألف كتاب (تزمة المشتاق) لملك صقلية .
وفي هذا الكتاب خريطة جغرافيا أو أطلس جغرافي وقد أطلق عليه اسم
(صورة الأرض) . فمن تصفح كتب التاريخ وتقويم البلدان ومصورات الأرض
التي ألفت في العربية ووقع بصره على أسماء المدن الأعجمية وجد أن العرب
كتبوا أواخر أسمائها بالتاء المربوطة . فنكتب نحن هذه الأسماء كما كتبها
المؤلفون العرب . وما لم نظفر به من هذه الأسماء كتبناه بالألف كما بلفظه
أهله الأعاجم . أو قلنا فيها السلف فنكتبه بالتاء المربوطة .

أما الوصول الى هذه المراجع فهي كثيرة في خزائن المجمع العلمي العربي وهو مفتوح الأبواب للكتاب والمؤلفين والمراجعين . ولو ألقينا النظر على اصبايا (الأندلس) مثلاً لوجدنا أسماء مدنها تنتهي بالتاء المربوطة مثل (طليطلة سرقسطة غرناطة طرطوشة جزائر مبورقة منورقة الخ ٠٠٠٠) وإذا نظرنا الى صورة اوربا وجدنا فرانسة رومة جنوة الخ ٠٠٠ وهكذا يمكن لنا أن ندين بسهولة ما يكتب بالتاء . وما لا نجد فحج أحرار في كتابه .

فوجب والحالة هذه أن نكتب (سورية) كي كتبها العرب بالتاء المربوطة . فقد وردت في تاريخ الامام الطبري ٦ عقد المؤلف فيه فصلاً خاصاً في الجزء (٤) ص (١٥٥) بعنوان (ذكر اربحال هرقل الى القسطنطينية) وذكرت كلمة سورية فيه مراراً . ومنها ما قاله هرقل في وداعها (عليك السلام يا سورية) وتكررت هذه الجملة بسبب تكرار الروايات . ولم تختلف كتابتها في كل مرة كتبت فيها : هكذا (سورية) بالتاء المربوطة . ومثل ذلك في معجم البلدان لياقوت الحموي . فلا اشكال بعد هذا !

المصري

كتاب تقييد العلم

(لأبي بكر الخطيب البغدادي)

ابو بكر الخطيب البغدادي من أكابر المؤرخين . ولتاريخه مكانة في الأندلس العلمية ، وظهرت عظمته فسار على نهجه جماعة من الأعاظم في تدوين أخبار المدن وآثارها وما أنجبت من رجال في الثقافة نسجوا على منواله في (تاريخ حلب) ، و (تاريخ دمشق) ، و (تاريخ مصر الكبير) للموفق البغدادي ، وتواريخ مدن عديدة . وأثر فين ذيل على تاريخه مثل السهماني وابن النجار والديلمي وابن رافع والبنداري ، والذهبي ، والنقي الفامي . هذا ولم نحصل على احصاء كامل في علماء بغداد وثقافتها الثقافية التاريخية .

وتهمنا ناحية أخرى (الثقافة التاريخية في الحديث) . وأعتقد أنها لا تقل شأنًا عن سابقتها وربما كانت أصلاً لتلك أو ركنًا من أركانها . وهي ما نعتبر عنه بـ (مصطلح الحديث) . منها اقتبس المؤرخون أصول التاريخ . وهي التي ألحمت أصول تاريخه . ومن ثم أوضح عن (رجال الحديث في بغداد) وغيرهم تناول صحة الخبر ومطالب أخرى تتعلق بها . فهي أصول الحديث وأصول التاريخ معًا . ومؤلفاته في موضوعها كثيرة . ومنها (كتاب تقييد العلم) .

طلع علينا الأستاذ العشي بهذا الكتاب ، أوضح ما فيه تطبيقاته ، توصل منها إلي أن العلماء التاليين لم يزيدوا على ما قال . وإن إظهاره بهذه الحالة خدمة عظيمة لا تقدر .

وأقول : إن التأثير بكتابه هذا وأمثاله من كتبه الأخرى في فنون الحديث لا تقل ، أو لا تختلف عن درجة التأثير بتاريخه (تاريخ بغداد) . حصل ذلك في مجموع مؤلفاته في (علم الحديث) . وهي كثيرة ومهمة . ومنها ما طبع ، فلم يجل محدث من التأثير بها ، بل لم نر مؤرخًا مكينًا إلا تأثر بها من ناحية تدقيق الخبر والوثوق من صحته وطريق الأخذ به .

والخطيب لا ينكر أنه تأثر بمن قبله من المحدثين إلا أن العلماء شهدوا بأنه ناق من تقدمه ، وصار التالون عيالاً عليه ، ولعل النص التالي يؤيد وضعه التاريخي في (فنون الحديث) ، ويتميز به على غيره . قال الأستاذ الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر المصقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ في كتابه (ترهة النظر في توضيح نخبة الفكر) ما نصه :

« إن التصانيف في اصطلاح أهل الحديث قد كثرت للأئمة في القديم والحديث . فمن أول من صنف في ذلك القاضي أبو محمد الرامهرمزي كتابه (المحدث الفاضل) لكنه لم يهذب ولم يرتب ، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري لكنه لم يهذب ولم يرتب . وتلاه أبو نعيم الأصبهاني فعمل على كتابه مستخرجًا

وأبني أسياء للمتعب . ثم جاء بمدام الخطيب ابو بكر البغدادي ، فصنف في قوانين الرواية كتاباً سماه (الكفاية) ، وفي آدابها كتاباً سماه (الجامع لآداب الشيخ والسمع) . وقلّ فنٌّ من فنون الحديث الا وقد صنف فيه (كتاباً مفرداً) ، فكان كما قال الحافظ ابو بكر ابن تقيّة : كل من أنصف علم أن المحدثين بمد الخطيب عيال على كتبه .

ثم جاء بعض من تأخر عن الخطيب فأخذ من هذا العلم بنصيب ، فجمع القاضي عياض كتاباً لطيفاً سماه (الاماع) ، وابو حفص الميمني جزءاً سماه (ما لا يسمع المحدث جهله) . وأمثال ذلك من التصانيف التي اشتهرت وبسطت لمتوفر علمها ، واختصرت ليتيسر فهمها الى أن جاء الحافظ الفقيه تقي الدين ابو عمرو عثمان بن الصلاح عبد الرحمن الشهرزوري نزبل دمشق فجمع لما ولي تدريس الحديث بالمدرسة الأشرفية كتابه المشهور ، فهذب فنونه وأملاه شيئاً بمد شيء ، فلماذا لم يحصل ترتيبه على الوضع المناسب . واعتنى (بتصانيف الخطيب) المنفرقة فجمع شتات مقاصدها . وضم اليها من غيرها نخب فوائد فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره . فلماذا عكف الناس عليه ، وساروا بسيره ، فلا يحصى كما ناضم له ومختصره مستدرك عليه بمختصره ، ومعارض له ومختصره ثم كتب الأستاذ ابن حجر نفسه كتابه (نخبه الفكر) وشرحها بأمر (نزهة النظر) . ومن مخطوطاتها نقلنا النص المذكور . ويطول تمداً ما شغل به العلماء من الشروح والتعليق . وبيّنا بيان التأثير والتأثر بكتب الخطيب في (فنون الحديث) كما أثر في (فنون التاريخ) ، فتجلى عظمتها فيها وفي تاريخه . ومنها تكوّن ثقافة العصور التالية بما أله من آراء صديدة وجديدة . وصحّ ما قيل من أن المحدثين عيال على كتب الخطيب . وقد أجاد الأستاذ العش بما علقه على كتاب (تقييد العلم) ، فلم يشأ أن ينقطع عنه . وله الفضل فيما أسدى من هذه الخدمة .

عباسي المزاري

www.alukah.net

تصحيح سبعة أسطر

حينما طالعت (تاريخ داريا لابن المهنا) وجدت فيه من التحريف والتصحيح غرائب وبخاسة في ص (١٢٦) فقد ورد فيها من القموض والايهام ما جعلني أرجع الى تاريخ ابن عساكر فظهر لي أن الترجمة المذكورة بسبعة أسطر في الصفحة المذكورة ليست لشخص واحد وهو «خلف بن محمد» وإنما هي ثلاث تراجم لثلاثة أشخاص كل واحد منهم غير الآخر ، مزج الأستاذ سعيد الأفغاني محقق هذا الكتاب بعضها ببعض وجعلها ترجمة واحدة لشخص واحد . وان ما في هذه الصفحة من الخطأ الفادح دفعني الى نشر تصحيحها حتى لا يقع فيه من ينقل عن هذا الكتاب أو يفيد منه .

وهذه صورة ما ورد في (ص ١٢٦) من تاريخ داريا بتحقيق الأستاذ الأفغاني :

خلف بن محمد بن الفاسم بن عبد السلام بن محمد العنسي

حدث عن أبي يعقوب الأذري : حدثنا عنه أبو محمد عبد العزيز بن احمد ابن احمد بن عمرو بن معاذ ابيه [كذا؟] عبد الله بن احمد بن عمرو بن معاذ العنسي .

أبو الحسين يروي عن أبي اليمون بن راشد وأبي الحسن بن حذلم ، وأبي القاسم ابن أبي العقب ، وأبي يعقوب الأذري وغيرهم . توفيت بداريا^(١) في شوال سنة اربع عشرة واربعمائة .

وعلق المحقق على قوله « بداريا^(١) » ما يلي : (١) في ترجمة ابن عساكر له انه كان فاضي داريا - ٢٤٧/٣ أ - وفي ص ٢٤٧/٣ ب منه ان وفاته كانت سنة ٤٠٩ هـ . هذا ما جاء في ص (١٢٦) ويظهر الاضطراب بادياً بين متن الكتاب

من أن محمد بن خلف توفي سنة (اربع عشرة واربعائة) وبين ما عاق عليه الخفق
من ان وفاته سنة (٤٠٩) .
أما صواب ما تقدم فكما يلي :

خلف بن محمد بن القاسم بن عبد السلام بن محمد العنسي

حدث عن ابي يعقوب الاذري . حدثنا عنه ابو محمد عبد العزيز بن احمد
[الكتاني] ^(١)

أهمر بن عمرو بن معاذ العنسي

[روى عن] ابيه . [وروى عنه ابنه] عبد الله بن احمد ^(٢)

عبد الله بن أهمر بن عمرو بن معاذ العنسي

ابو الحسين . يروي عن ابي اليمون بن راشد ، وابي الحسن بن حذلم ،
وابي القاسم بن ابي العقب ، وابي يعقوب الاذري وغيرهم ، توفي بداريا في شوال
سنة اربع عشرة وأربعمائة ^(٣) .
هذا ما أردنا تصحيحه الآن ، ولعلنا نعود الى تصحيح ما ورد في هذا الكتاب
في فرصة أخرى .

محمد أهمر وهمان

- (١) هذه ترجمة مستقلة وقد انتهت راجع تاريخ ابن عساكر اختصار بدران (١٧١/٥)
ترجمة مستقلة مم تصحيح فيها .
(٢) وهذه ترجمة مستقلة أيضاً راجع للمصدر المذكور (٤١٨/١) تر ترجمة مستقلة مم
تصحيح فيها .
(٣) ترجمة ثالثة مستقلة . للمصدر السابق (٢٨٥/٧) بتحقيق الأستاذ احمد عبيد .

المدارس في الجمهورية السورية

بلغ مجموع المدارس الرسمية والأهلية والأجنبية في عام ١٩٥١ - ١٩٥٢ ما يأتي:

١ - المدارس الابتدائية : المجموع ٢١٨٤ مدرسة منها ١٥٢٤ مدرسة

للذكور و ٣١٣ مدرسة للإناث و ١٣ مدرسة مختلطة (رسمية) ٦ و ٩٨ مدرسة

للذكور و ٤٦ مدرسة للإناث و ١٥٢ مدرسة مختلطة (أهلية) و ١٣ مدرسة

للذكور و ١٠ مدارس للإناث و ١٥ مدرسة مختلطة (أجنبية) .

٢ - المدارس المتوسطة والاعدادية : المجموع ١٦٤ مدرسة . منها ٣٥

مدرسة للذكور و ٢٠ مدرسة للإناث ومدرستان مختلطتان (رسميتان) و ٦٥

مدرسة للذكور و ١٩ مدرسة للإناث و ٥ مدارس مختلطة (أهلية) و ٧

مدارس للذكور و ٩ مدارس للإناث ومدرستان (اجنبيتان) .

٣ - المدارس المهنية تدخل فيها المدارس الزراعية : المجموع ١٣ منها ١٠

مدارس للذكور ومدرسة واحدة للإناث (رسمية) ومدرسة واحدة للذكور

ومدرسة واحدة للإناث (أهلية) .

٤ - مجموع مدارس دار المعلمين عشر : منها ٦ للذكور و ٤ للإناث (رسمية) .

وقد بلغ مجموع موازنة وزارة المعارف لعام ١٩٥١ - ١٩٥٢ حوالي ٤٩

مليون و ٧٦٩ ليرة سورية وبذلك تكون النسبة المئوية لهذه الموازنة بالنسبة

للمجموع موازنة الدولة ١٨ و ٢٨ .

—————

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين

صفحة

١٦١	محمد عبده	للأستاذ محمد كرد علي
١٨١	بعض أمرار اللفظ المرية	« عبد القادر المقرني
١٨٧	الحزائن العامة في استانبول وأشهر مخطوطاتها (١)	للككتور سامي الدهان
٢١٦	من كتاب الأصباه والنظائر للخالدين	« مهل يوسف
٢٢٨	سفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام (٤)	للأستاذ طه الهاشمي
٢٤٢	تاريخ فكرة إعجاز القرآن (٥)	« نعيم الحمصي
٢٥٧	تاريخ علم الفلك في العراق (٢)	« عباس المزاري
٢٧٠	أقدم تأليف في الحديث النبوي (٢)	للككتور محمد حميد الله

التعريف والنقد

٢٨٤-٢٨٢	اللفظ المرية - طبقات فصول الشعراء	للأستاذ شفيق جبيري
٢٨٦	تصحيح حصاً مطبوع	
٢٨٧-٢٨٦	تهذيب الصحاح - رحلة ربيع في العراق	« عبد القادر المقرني
٢٩٤-٢٩٧	المدخل الفقهي العام - الثقافة المرية -	
٢٩٩-٣٠١	الاختصاصات الأدبية في العالم العربي الحديث -	
٣٠٢-٣٠٤	العادات والأخلاق اللبنانية - خطرات -	
٣٠٤	ديوان النسط - كتب صغيرة	
٣٠٦-٣٠٧	بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن -	
٣٠٨-٣٠٨	فلسطين وضواها الجغرافي ولطورهها -	
٣١٠-٣١١	كتاب بندان فلسطين (بالفرنسية) - حصون	
٣١٢-٣١٤	دفاعية رومانية في فريضة (بالفرنسية) -	
٣١٥-٣١٦	البرازيل أرض المستقبل (بالفرنسية) -	
	البرازيل بلد الحب والجمال (بالفرنسية) -	
	الفروسية (بالفرنسية) - المدخل التاريخي	
	الحضارة (الجزء الأول) - الديارات -	
	تاريخ العرب قبل الاسلام	

آراء وآباء

٣١٩	وفاة رئيس المجمع العلمي العربي الأستاذ الجليل محمد كرد علي	
٣٢٠	الدراسات الاجتماعية	للككتور اسمد الحكيم
٣٢٢	الألفاظ المكررة - أدب طه حسين	للأستاذ محمد كرد علي
٣٢٥	استدراك آخر	« محمد هبة البيطار
٣٢٩	كيف تكتب (سورية)	« عبد القادر المقرني
٣٣٠	كتاب تقليد العلم	« عباس المزاري
٣٣٣	تصحيح صيغة أسطر	« محمد أحمد دهمان
٣٣٥	المدارس في الجمهورية السورية	